الوحدة الإسلامية

من

منظور الثقلين

الوحدة الإسلامية
من
منظور الثقلين

شهيد المحراب
آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم قدس سره

هوية الكتاب

إسم الكتاب:..... الوحدة الاسلامية من منظور الثقلين
الناشر:.....مؤسسة تراث الشهيد الحكيم قدس سره
المطبعة:.....العترة الطاهرة
الطبعة الاولى..... .....١٤١٣ هـ ق
الطبعة الثانية.....١٤١٧هـ ق
الطبعة الثالثة.....١٤٢٥هـ ق
الطبعة الرابعة:.....١٤٢٩ هـ ق
العدد:..... ٥٠٠٠
الاخراج الفني:..... أحمد الزيادي

محفوظة جميع الحقوق
لمؤسسة تراث الشهيد الحكيم قدس سره

النجف الاشرف
صيف عام ٢٠٠٨م

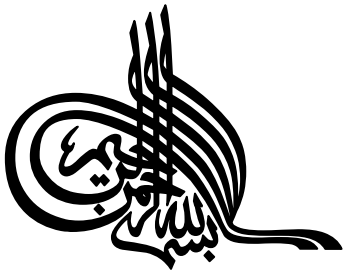

﴿ واعتصِموا بِحبل اللهِ جمِيعاً ولا تفَرقُوا ﴾

آل عمران: ١٠٣

كلمة المجمع العالمي لأهل البيت

لعلّنا لا نجانب الحقيقة لو قُلنا إنّ من أخطر القضايا وأدقّ المهمّات التي تصدّى لها أئمة أهل البيت عليهم السلام خلال حياتهم الزاخرة بالعمل والجهاد وسَعَوا بكلّ وجودهم من أجل تحقيقها في الواقع الخارجي على أُسس القرآن الكريم وسُنّة النّبي الأمين صلى الله عليه وآله هي وحدة الأمّة وتماسكها في إطار الكيان الإسلامي العام، حفاظاً على عظمته وهيبته أمام أعداء الإسلام والمتربصين به، وتحقيقاً لمصلحة الإسلام العُليا في بناء الأمّة ورُشْدها الأمثل في السير اللّاحب نحو الله سبحانه وتعالى في أجواء الحب والأُلفة والكلمة الطيبة والموقف الهادف، بعيداً عن الضغائن والتعصب والتنافر والتقاطع فيما بين فرقها ومذاهبها وتجمّعاتها ومحاورها التي نَمَتْ في أجواء تَرِكَات الجاهلية الأُولى وأهواء بعض الحكّام المنحرفين والسلاطين الذين نزوا على سدة الحكم وعاثوا في بلاد الله وعباده ظلماً وفساداً، ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ**﴾[1] ﴿**وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾[2].

وقليل مَنْ تناول هذه القضية بدراسة شمولية مترابطة تتناولها كمحور موضوعي في البحث والتحليل في آيات الكتاب الكريم وسيرة أهل البيت عليهم السلام ومن هذا القليل المُسدّد هو سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم (حفظه الله) مؤلف هذا الكتاب، الذي جمع في عطائه الإسلامي الوحدوي

---

(١) البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) الرعد: ٢٥.

بين النظرية والتطبيق، وناغمت أُطروحته تَجربته، ولعل السرّ في التوفيق الذي أحرزه في هذا الكتاب وأمثاله يكمن في هذا الجمع الفريد، فقد عاش في كنف أكبر المرجعيات الإسلامية المعاصرة المتمثلة في مرجعية والده آية الله العظمى السيد محسن الحكيم ﵀ التي شهدت انفتاحاً شاملاً بين فرق المسلمين ومذاهبهم على صعيد المطارحات العلمية والفكرية، وعلى صعيد الممارسة السياسية والاجتماعية، وكذلك مرجعية آية الله العظمى المجاهد الإمام الخميني ﵀ التي خاضت كفاحاً مريراً وجهاداً متواصلاً من أجل إقامة حكومة الفقيه الإسلامي العادل، وقادت دفة هذه الحكومة المباركة بعد قيامها، وأثبتت للعالم كله عظمة الإسلام وقدرته على توحيد الأُمّة وتفجير طاقاتها وإثراء قدراتها، لا على صعيد مواجهة الطاغوت المُتَفَرْعِنْ بكلّ وسائل القدرة المادية والهيمنة الاستكبارية وحسب، بل على صعيد الأُمّة ذاتها في إثبات هويتها الرسالية الواحدة وقدرتها على الصمود والبناء، وطرح النموذج الحيوي الرائد للأمم الإنسانية المعاصرة، كما أنه عاش في كنف التجديد العلمي والطرح الرسالي الهادف للإسلام بأُفقه العالمي المعاصر من خلال مرجعية الشهيد السعيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر ﵀، بالاضافة إلى التجربة التي عاشها في قضية الوحدة من خلال الأوضاع السياسية والاجتماعية في الساحات الإسلامية، وخصوصاً الساحة العراقية، ومحاولات الاستعمار وبعض الحكومات العميلة التي حَكَمَتْ وسيطرتْ على العراق وشعبه على أساس سياسية (فرِّق تسُد)، والتركيبة المذهبية في بلده العراق، وقدرة المسلمين في مثل هذا البلد الإسلامي الأصيل على التّعايش والتّكافل الإسلامي فيما بينهم.

كل ذلك أثمر أُفقاً واسعاً في قلمه وترابطاً موضوعياً في رؤاه نجدها

واضحة في مضامين مفردات هذه الدراسة البكر، التي بدأت بتمهيد عن الوحدة الإسلامية من منظور حضاري، كاشفاً فيه عن أهميتها، ومستعرضاً لمستلزمات الموقف الإسلامي في مواجهة التحديات المعاصرة، وكيفية معالجتها، وأساليب تطوير وتدعيم الحالة الإسلامية في هذه المواجهة، والضرورة الواقعية والحضارية لقيام الوحدة الإسلامية.

ثم يُؤَسِّس هذه الدراسة على أُسسٍ من الثّقلين المباركين مبتدئاً بالمنظور القرآني للوحدة الذي تناول في آياته الكريمة ظاهرة الوحدة والاختلاف في التأريخ الإنساني، وعلاج أسباب الانحراف عن الدِّين الحقِّ فيها، ويربط ذلك منطقياً بأُسُسِ الوحدة في المجتمع الإسلامي عقائدياً وأخلاقياً، مستوعباً فيها الوسائل الشرعية من القرآن الكريم والسنّة الشريفة، لتحقيق هذه الوحدة، مشيراً فيها إلى الثمرات والفوائد التي يكشف عنها تأريخ أهل البيت عليهم السلام، باعتبارهم رُوّاد هذه الوحدة والقادة إليها.

ثم يسبر غور التأريخ المشرق لأهل البيت عليهم السلام وهم يخوضون غمار مسيرة الوحدة الإسلامية في الأمَّة في مختلف المراحل والأدوار، مقرراً فيها المباني التي أسسوا عليها منهجهم العملي في إرساء هذه الوحدة المباركة، مستنبطاً منها نظرية متميزة لأهل البيت عليهم السلام في الوحدة الإسلامية، والتي كانت رائدة للمسلمين في مسيرتهم الإسلامية عبر التأريخ، ولم يهمل البعد النقدي من خلال المقارنة بين نظريتهم عليهم السلام والنظريات الأخرى، التي تعاطاها البعض هنا أو هناك.

ثم يخلص سماحته إلى نتيجة عملية قائمة على أُسُس الثقلين الكريمين، مدعومة بالواقع التأريخي الرائد لأهل البيت عليهم السلام في أُسُس ومنهج التقريب بين المذاهب الإسلامية في مرحلتنا المعاصرة.

والمعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام إذ تُقدِّم هذا السف

الجليل إلى القرّاء الكرام، تعدهم بأنها ستواصل طرح المزيد من هذه الدراسات البناءة، مشاركة منها في التعريف بمعالم مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وتقديم أُطروحتهم المُثلى لقيادة المسلمين نحو العدل والقسط، وإنقاذ البشرية من الظلم والجور، وإعلاء كلمة الله في الأرض ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[1]. صدق الله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين.

المعاونية الثقافية

للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

(١) الأنبياء: ١٠٥.

مقدمة الطبعة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد واله الطاهرين ...

تعرضت الأمة الإسلامية - عبر مسيرتها الطويلة - إلى مؤامرات شتى وتحديات خطيرة، بعضها وفد من خارج الكيان الإسلامي، وكان لأعداء الإسلام النصيب الأوفر منها، والبعض الآخر من الداخل إذ جرى على أيدي حكام مفسدين انحرفوا بالمسيرة الإسلامية عن خطها الأصيل بعد أن اتخذوا من الإسلام دثارا يستترون به أمام أعين السذج من الناس، وهؤلاء هم أشد غضاضة وتأثيرا على الشارع الإسلامي، حيث ينجرف في تيارهم من لا حريجة له في الدين، ولعلنا نستطيع أن نتلمس ذلك في أزمان مختلفة، كالتطرف العرقيّ الذي ساد في العصر الأموي، والتأريخ يحدثنا عمّا آل إليه الكيان الإسلامي من تصدع بعد وفاة الرسول ﷺ لولا الإيمان والحكمة والصبر اللامحدود الذي اتسم به أمير المؤمنين عليه السلام ، كما تعرض الكيان الإسلامي إلى هزات عنيفة إبان العصر العباسي بعد الانفتاح الذي شهدته الساحة الإسلامية ودخول ثقافات مختلفة وتيارات الإلحاد والزندقة وفلسفات ورؤى تقف بالضد من الإسلام، وكادت تلك الفتن أن تعصف بالدولة الإسلامية لولا الموقف العظيم الذي وقفه أهل البيت الكرام عليهم السلام ولاسيما الإمام الصادق عليه السلام وما اتسم به من نشاط علمي وفكري و تربوي واجتماعي، وتزعمه لمدرسة عظيمة كان لها الدور الكبير في الوقوف بوجه تلك الضلالات والحملات المشبوهة يقابلها الموقف الهش للحكام وانغماسهم باللذائذ والموبقات وابتعادهم عن روح الإسلام العظيم.. وما زالت الأمة الإسلامية تنوء بمذاهب متطرفة ورؤى وتوجهات وبدع تطمح

إلى تفتيت المسلمين إلى محاور وكيانات ومذاهب متصارعة حتى وصل الأمر بالبعض منهم إلى استعمال لغة التكفير والعنف، ورمي التهم على الأخر، فسفكت الدماء، وأزهقت الأنفس، وعاثت في الأرض فسادا، وارتكبت الجرائم المريعة باسم الإسلام ...

إن هذه التوجهات والتجاوزات التي ألقت بظلالها على الساحة الإسلامية لم تكن غائبة عن رؤية القرآن الكريم وسيرة أهل البيت عليهم السلام إذ نرى أن القرآن الكريم يجعل من مفاهيم الوحدة والتوحد والتكافل والألفة المادة الرئيسية في خطاباته للأمة الإسلامية، كما يرفض التعصب والتقاطع والتناحر بين المسلمين، حيث وضع القاعدة العامة لوحدة المسلمين وفق أرضية مشتركة وثوابت لا يمكن مغادرتها، وهي بمجموعها تشكل اللّحمة العامة للوحدة الإسلامية، قوامها الطاعة لله والرسول مع سيادة الإخوة الإيمانية وفق قاعدة أخلاقية عريضة...

أما الدور الذي نهض به أهل البيت عليهم السلام في مجال الوحدة الإسلامية فهو دور ريادي ومتشعب وواسع يضع أسس وأساليب التعايش الاجتماعي موضع التطبيق، فكانوا المصاديق الحقيقية لرؤى القرآن الكريم وسنة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كما اهتموا بموضوع وحدة المسلمين وقدموها على الكثير من الواجبات الخاصة بهم عبر تبنيّهم قضايا الأمة الكبرى بدلا من القضايا الجزئية أو المذهبية أو الفئوية ...

وقد كان لآية الله الشهيد السيد محمد باقر الحكيم دراسة قيمة لموضوع الوحدة الإسلامية عبر كتابه "الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين" الذي كشف من خلاله عن دور القرآن الكريم وآل البيت الأطهار في تبني مشروع الوحدة الإسلامية والحث عليها... وهو المشروع الذي حمله الشهيد الحكيم قدس سره وجعله أحد متبنياته الأساسية، وظل يجاهد من أجله لعقود طويلة عبر

الطرح الرسالي الهادف من خلال المشاريع العلمية والفكرية والاجتماعية والسياسية التي نظّر لها أو على مستوى التطبيق، حيث كان يمثل الوسطية والاعتدال والتسامح، كما ترجم ذلك عبر مشاركاته الفاعلة في مؤتمرات التقريب بين المسلمين.

ونظراً لنفاد كل طبعات الكتاب المذكور بادرت مؤسسة تراث الشهيد الحكيم قدس سره بمراجعته وإعادة طبعه من جديد. سائلين المولى عز وجل قبول الأعمال وزيادة أجر وثواب شهيد المحراب قدس سره.

رحم الله شهيدنا العظيم.. وحشره مع أجداده الطاهرين.

قسم التأليف والتحقيق

مؤسسة تراث الشهيد الحكيم قدس سره

تمهيد

الوحدة الإسلامية

من منظور حضاري

أهميّة الوحدة الإسلامية

لا شك أنَّ الوحدة الإسلامية هي مِنْ أهمّ الموضوعات التي نواجهها في عصرنا الحاضر، والتي يجب أن نتناولها بالبحث والتمحيص، وتحديد المعالم الأساسية لها، ليتضح الموقف تجاهها بشكل كامل، خصوصاً بعد وجود الكيان السياسي الإسلامي المتمثل بالجمهورية الإسلامية في إيران، ووجود النهوض الإسلامي الواسع، الذي جعل المسلمين يتوجهون إلى وضع الحياة الاجتماعية لهم على أساس النظرية الإسلامية والمصالح الحقيقية للمسلمين، الأمر الذي أدى بعد عقد من الزمن تقريباً إلى قيام دولتين إسلاميتين أخريين (السودان وأفغانستان)، وحدوث صراع واسع بين المسلمين والأنظمة الحاكمة في بلاد المسلمين التي لا زالت تتمسّك بمنهج الظلم والطغيان والتبعية والمصالح الأنانيّة الضّيقة، وتحرص على البقاء في مستنقع الحضارة الغربيّة، وتحمل جميع مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية، بل القبول بالمظاهر الغربيّة، بعيداً عن العلم والتطور التكنولوجي، أو العزة والكرامة الإنسانية.

ويزداد الموضوع أهمية، عندما ننظر إلى الظروف العالمية، وطبيعة الصراع القائم في عالمنا اليوم، على المستوى الحضاري والاجتماعي والاقتصادي بعد سقوط المعسكر الإشتراكي وانهياره، وخروجه من محاور الصّراعات الإنسانية الأساسية، حيث يلاحظ أن الاتجاهات الجديدة لرياح الحرب الباردة تعطي لموضوع الوحدة الإسلامية أهمية خاصة في هذه المرحلة من التطور الحضاري.

اتجاه رياح الحرب الباردة

لقد تحوّلت رياحُ الحرب الباردة بسقوط المعسكر الاشتراكي إلى اتجاهين

رئيسيين:

الأول: اتجاه الانْكفاء على الذات - إذا صحّ هذا التعبير - حيثُ نجد الحضارة الغربيّة بسبب انتهاء المواجهة ذات الوتيرة والمستويات العالية مع المعسكر الاشتراكي، وعدم وجود ذلك المستوى من المخاطر والمحفزات للدفاع عن النفس، التي كانت تجعل القوّامين على هذه الحضارة يغضّون الطرف - سابقاً - عن الاهتمام بمشاكلهم الداخلية الاساسية المُعقَّدة، لِيُولوا الصراع والمواجهة والخطر العسكري والعقائدي والسياسي مع الأعداء الخارجيين، القدر الأكبر من الاهتمامات، كلّ هذا التطور سوف يؤدّي إلى أن ينكفئ الغربيون على أنفسهم في الاهتمامات الداخلية، والصراعات والتنافس غير الشريف بينهم، من أجل المصالح الذاتية الضيّقة.

وهنا ترشح التوقّعات بعض المحاور الأساسية للصراعات الذاتية:

أ) الصراع الأوربي الأمريكي، لا على المستوى العسكري ولا العلمي، حيث بلغ التنافس في هذين الميدانَيْن إلى القمّة ثم الطريق المسدود، بل على مستوى الحرب الاقتصاديّة، والمزيد من الترف والرفاه على حساب شعوبهم والشعوب الفقيرة.

وقد بَدَتْ في الأُفق بعض المؤشرات في هذا المجال سواء في حرب الخليج التي حاول الأمريكيون فيها الاستيلاء على مصادر النفط، والهيمنة على هذه المنطقة الغنيّة من أجل أن يُمسكوا بزمام المبادرة في هذا المجال الحيوي والطاقة المؤثّرة في جميع اقتصاديّات العالم، وكذلك في قضيّة فرض الرسوم على الصادرات الزراعية الأوربيّة إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن رفض الأوربيون أن يُلغوا الدعم الزراعي الذي يقدمونه للمنتوجات الزراعيّة في بلادهم للمحافظة على انخفاض الأسعار، وكذلك في نتائج

الانتخابات الأمريكية الأخيرة[1] التي كان العامل المؤثّر فيها هو الاهتمامات الداخلية الاقتصادية والاجتماعية، بعد الاضطرابات الواسعة التي شهدتها بعض الولايات الأمريكية في العامين الماضيين، وتنامي خطر المخدِّرات والأمراض الفتّاكة التي هي وليدة التفسخ الأخلاقي، والغرق في مستنقع الشهوات والتحلل غير المحدود، وفي مقابل ذلك السعي الأوربي للوحدة الأوربية ومعاهدة (ماستريخت) والمشاكل الاقتصادية التي أحدثتها لبعض البلدان الأوربية، فضلاً عن المشاكل الاجتماعية والإنسانية الأخرى التي تواجهها أوربا وأمريكا في داخل شعوبها، أو في علاقاتها مع العالم الثالث.

ب) الصراع الغربي - الشرقي، الذي يدور الآن بشكل واضح بين (الولايات المتحدة الامريكية) و(اليابان)، واختلال التوازن التجاري بينهما، وبروز بعض الدول الشرقية مثل (كوريا الجنوبية) و(تايوان) في هذه المعادلة، إلى جانب المشكلات الحادَّة التي ولّدها انهيار (الاتحاد السوفياتي) و(يوغسلافيا) إلى كلٍّ من هذين المحورين، واحتمال بروز العملاق الصيني إلى ميدان الصراع، أو انهياره تبعاً للاتحاد السوفياتي، الذي سوف يولِّد على كلا الحالتين مشكلات عميقة وواسعة في داخل الحضارة الغربيّة، بعد أن أصبحت هذه الحضارة هي الرائدة والقدوة لكلّ هذه المساحات، ممّا

---

(١) انتخابات عام «١٩٩٢م» التي فاز فيها «بيل كلنتون» مرشح الحزب الديموقراطي على منافسه رئيس الجمهورية «بوش» مرشح الحزب الجمهوري، بعد استمرار الاتجاه السياسي لصالح الحزب الجمهوري لمدة اثني عشر سنة، هي فترة بداية النهوض الإسلامي وحتى الآن مع أن «بوش» حقق انتصاراً كبيراً - كما يدعي – في حرب الخليج، والعامل في فوز المرشح الديموقراطي كما يقال هو الاهتمام بالأوضاع الاقتصادية ومعالجتها.

سوف يسلِّط الضوء بشكل أفضل على طبيعة وحقيقة المشاكل التي تعاني منها هذه الحضارة.

الثاني: اتجاه الحرب الباردة لمواجهة النهوض الإسلامي بسبب تنامي الخوف من الصحوة الإسلامية.

إنَّ الصراع بين الحضارة الغربيّة والحضارة الإسلامية ليس صراعاً جديداً، بل هو صراع امتدَّ في عمق الزمن إلى قرون، وكانت الحرب العالمية الأولى في أحد أبعادها المهمَّة، هو تقسيم تَرِكة الدولة الإسلامية الكبرى المتمثلة بالدولة العثمانية والاستيلاء أو الهيمنة على ما تبقى في العالم الإسلامي، وقد تحقق هذا الهدف للحضارة الغربيّة بعد الحرب العالمية الأولى، وبدا العالم الإسلامي وكان قد استسلم عسكرياً وسياسياً للحضارة الغربيّة طيلة العقود الماضية منذ الحرب العالمية الأولى، وإنْ بقيت بعض الزوايا والجيوب والمنعطفات تشهد شيئاً من المقاومة - خصوصاً في مجالَي الفكر والثقافة - ولكنَّ الواقع الذي كانت تعيشه البلدان الإسلامية طيلة هذه الفترة، لم يكن واقعاً يتمثل فيه الصراع الشامل مع الحضارة الغربيّة، بل ولا حتى المقاومة الشاملة لها، إذا أردنا أن ننظر إلى الساحة نظرة عامة وشموليّة، نعم كانت هناك أعمال مجيدة وبطولية قام بها بعض علماء الإسلام والمفكرين المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي في الدفاع عن الإسلام، وكان لها دور عظيم بعد ذلك في استمرار المقاومة وإحياء روحها، ومن ثمَّ تصعيد المواجهة مع الحضارة الغربيّة.

وقد حدث تحول عظيم في الأوضاع السياسية والثقافية للعالم الإسلامي بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران، وتأسيس الحكم الإسلامي فيها، حيث انتشرت روح المقاومة والتصدي والنهضة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، بل وفي صفوف المسلمين المغتربين، والذين كان يبدو للناظر لأول وهلة أنَّهم

تحوَّلوا في جميع أبعاد حياتهم ووجودهم إلى جانب الحضارة الغربيّة.

وهنا حاول القيِّمون على الحضارة الغربيّة أنْ يُعالجوا هذه الظاهرة بالطريقة التي عالجوا وواجهوا بها ظاهرة النهوض القومي والوطني، وحركة التحرر في العالم العربي والإسلامي، ومن دون الحاجة إلى التحول إلى الحرب الباردة في مواجهة عالمية شاملة، فكانت الحرب العدوانيّة على الجمهورية الإسلامية، والتدخل الأجنبي الواسع في منطقة الخليج، والحصار الاقتصادي والسياسي والتكنولوجي للجمهورية الإسلامية، ثم حرب الخليج ضد النظام العراقي لإخراجه من الكويت، والتواجد العسكري فيه، وكذلك ممارسة الضغوط المستمرة لإنهاء المشكلة الفلسطينية لصالح الهيمنة الصهيونية، وإثارة المخاوف والشكوك ضد الجمهورية الإسلامية ونواياها المستقبليّة وعمليات القمع الواسعة للنهوض الإسلامي تحت شعار محاربة الارهاب والتطرف الديني والتخلّف الحضاري، وإحياء أُسلوب التحالفات الجانبيّة، بعيداً عن الأُطر العامّة للجامعة العربية، أو منظمة المؤتمر الإسلامي أو حركة عدم الانحياز، بل وحتى أبعد من ذلك في محاولة تسخير الأمم المتّحدة ومؤسساتها خصوصاً في مجال حقوق الإنسان، لتحريض بعض الأنظمة في العالم الإسلامي للقيام بالمزيد من الانتهاك لحقوق الإنسان ضد شعوبها تحت هذه الشعارات.

ويبدو حتى الآن أنَّ هذه المحاولة باءت بالفشل، وبدأ الصراع يأخذ أبعاداً جديدة في المواجهة مع الحضارة الغربيّة، يمكن أن نُؤشِّر فيها على عدة نقاط ذات تأثير كبير في هذا الصراع:

أ) ارتفاع درجة حسّاسية الأُمّة تجاه محاولات الحضارة الغربيّة في الانتقاص من الإسلام والعقيدة الإسلامية، وازدياد الشعور بالمظلوميّة من قِبَل الحضارة الغربيّة من ناحية، والاعتزاز بالكرامة الإسلامية وقيمها ومثلها

من ناحية أُخرى، وقد تكشَّف هذا الأمر في قضيّة المرتد (سلمان رشدي) والتي تبدو في البداية أنَّها قضية عادية، ولكن الغربيين في توجيههم للصراع، حوَّلوها إلى قضية ذات أبعاد عالميّة كشفت في تفاعلاتها عن عمق جذور الصراع الحضاري الغربي، الإسلامي، فالغربيون يسمحون لأنفسهم أن يُحوِّلوا قضية الطائرة التي سقطت في اسكتلندا إلى قضيّة عالمية، ويطالبوا بمحاكمة المتهمين بارتكاب الجريمة، وهي جريمة في حقِّ جماعة من الرّكاب المدنيين العاديين، ولكنَّهم لا يسمحوا بماحكمة شخص ارتكب جريمة بحق الإسلام والأُمّة الإسلامية جمعاء، ولا يسمحوا بمحاكمة وإصدار الحكم الذي تقرّه الشريعة الإسلامية، وجميع الأديان السماويّة.

ولكنَّ المهم في هذه القضية ليس هذا الجانب، بل في ما تكشفت عنه من مدى ارتباط المسلمين بالإسلام والثقافة الإسلامية، واستعدادهم لتوحيد موقفهم في الصراعات ذات البُعد المركزي[1]، وكذلك في بُعْد الإجماع الإسلامي في هذه القضيّة على مستوى الأُمّة وحتى دول العالم الإسلامي، حيث لم يجرؤ أيّ أحد من حُكّام المسلمين أن يقف موقف المخالف لها. في جانب آخر مهم هو موقف المسلمين المغتربين، وحتى المولودين في الغرب منهم، والذي كان في قوَّته لا يقل عن موقف مسلمي العالم الإسلامي إن لم يكن أشد وضوحاً.

ب) التراجع الحضاري والسياسي للحضارة الغربيّة وأطروحاتها واتباعها في العالم الإسلامي أمام التطورات السياسيّة في تيّار النهوض

---

(١) لأن هذه القضية كانت تمس واحدة من أهم وأكبر القضايا الإسلامية التي يجمع المسلمون على الالتزام بها، وهي قضية النبي محمد ﷺ.

الإسلامي الذي لا نحتاج إلى الحديث الواسع فيه، وخصوصاً ما حدث في (جمهوريّة السودان الإسلامية) أو في (جمهويّة أفغانستان)، حيث تمكّن التيّار الإسلامي من خلال صراع طويل، وفي أبعاد متعددة أن يكسب الجولة ويقيم الحكومة الإسلامية، تحت سمع وبصر الحضارة الغربيّة والأنظمة التابعة لها، بما تملك من امكانيات وقدرات ماديّة وبشريّة، وكذلك الصورة الرائعة والمروعة التي حصلت في (الجزائر) من إدلاء الأُمّة برأيها، وفي مباراة مفتوحة، وعلى الطريقة الغربيّة في الاختيار إلى جانب الحكم الإسلامي والنهضة الإسلامية.

ج) ازدياد الشعور لدى أتباع الحضارة الغربيّة ومنظّريها، بالعجز واليأس بالرغم من سعة دائرة التآمر والتوظيف للإمكانيات والقدرات، حيث يعبّر عن ذلك طبيعة رد الفعل الغربيّ بشكل مباشر أو عن طريق (الأتباع) من خلال تصعيد وتيرة القمع في العالم الإسلامي في عصر النظام الجديد، الذي ينادي بالدفاع عن حقوق الإنسان، ويرفع شعار تهدئة مناطق التوتر والاضطراب وحل المشكلات الاقليمية المستعصية والخروج من مُخلّفات الحرب الباردة إلى الأوضاع السلمية، والأمن السياسي والاجتماعي.

إنّ ما حصل في بلدان مثل (أفغانستان) و(فلسطين) و(العراق) و(الجزائر) و(مصر) و(تونس) وغيرها في محاولة للقضاء على النهوض الإسلامي وعدم التمكن من ذلك حتى الآن، بالرغم من استخدام جميع الوسائل الممكنة والمتيسرة، حتى الأسلحة الكيميائية وحرب الإبادة، ثم محاولة إلصاق التّهم بالعوامل الخارجية كإيران والسودان، أو اطلاقها بشكل عشوائي كتهم التطرف والإرهاب.. كل ذلك يُدلّل بوضوح على حقيقة هذا الشعور بالعجز وفشل الاطروحة الغربيّة وأنظمتها الهزيلة.

د) تطور الخطاب السياسي الإسلامي بشكل واضح من خلال ما طرحته

الثورة الإسلامية في إيران، من خطاب إسلامي أصيل يهتم بالكرامة الإنسانية، كما يهتم بكرامة الله تعالى والرسول والدين، وبالحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للإنسان، كما يهتم بالشعائر والآداب الإسلامية، وبالعلم والفضيلة، ومعالجة المشاكل الإنسانية، كما يهتم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إنَّ هذا التطوير للخطاب السياسي، والتأكيد على البُعد الحضاري الأصيل في الإسلام، هو الذي جعل هذا النهوض الإسلامي صامداً أمام عمليات القمع والاستئصال، بل ومتعالياً عليها، وإنَّ تخلي الدولة العثمانية عن هذه الهموم الحقيقية للإنسان هو الذي جعلها تتراجع وتتداعى بعد ذلك أمام الضربات التي واجهتها من قِبَل الحضارة الغربيّة.

إنَّ شعور الأنظمة في العالم العربي والإسلامي بالعجز أمام حل مشكلاتها الداخلية الاجتماعية والسياسية، وبالتالي عدم قدرتها على مواجهة النهوض الإسلامي، هو الذي أعطى هذا المؤشر الجديد للصراع، حيث بدأ القوّامون على الحضارة الغربيّة يشعرون بالخوف من نتائج هذه المواجهة الجديدة، ويدركون الأخطار التي تهدد مفاهيمهم ومصالحهم في المنطقة، بحيث يجعلهم يُصعِّدون من حِدّة القمع والاضطهاد والعدوان وعمليات التضليل، ويؤشّرون على محاور وخلفيات هذا الصراع الإسلامي الغربي.

إنَّ هذه الأحداث تُرشِّح النهضة الإسلامية أنْ تكون المحور الحضاري الجديد في الصراع مع الحضارة الغربيّة، وبأساليب وإمكانات جديدة، قد لا تخطر على بال المحلّلين والدّارسين الغربيّين.

مستلزمات الموقف الإسلامي في الصراع

ولكنّ السؤال المطروح على المسلمين في هذا المجال هو أين تكمن المستلزمات الحضارية والماديّة للوقوف في مواجهة هذا الصراع؟.

ويمكن تقديم صورة عامة عن الجواب من خلال ملاحظة الأبعاد الثلاثة الآتية، التي تشكل بمجموعها هذه المستلزمات الأساسية في تشخيص الموقف لهذه المواجهة من وجهة نظر إسلامية:

أ) مواجهة التحديات المعاصرة

ولهذه التحديات أبعاد حضارية وسياسية واجتماعية أفرزتها ظروف العصر الحديث، وتطوراته في جوانبها الإنسانية والمدنية والعلمية، ومنها بالذات إفرازات الحضارة الغربيّة، والهيمنة العالمية لها، خصوصاً بعد تراجع الحضارة الغربيّة وانهيار المعسكر الاشتراكي، حيث يمكن أن نشير إلى بعض هذه التحديات والقضايا:

الأولى: قضية التوفيق بين متطلبات الحرية الإنسانية على المستوى الفردي، أو الاجتماعي والاستقلال والإرادة في القرار السياسي، والتحرر من الهيمنة أو التبعية الأجنبية في الاقتصاد والثقافة والعلوم من ناحية، ومتطلبات العدالة الاجتماعية والرفاه الاقتصادي والتعايش السلمي من ناحية أخرى.

فإنَّ هذه الأمور وإنْ كانت قد تبدو متجانسة في النظرة الأولى لها، ولكنَّ التوفيق بين متطلباتها وضمان تحقيقها عملياً وواقعياً في الحياة الإنسانية المعاصرة والمتداخلة يحتاج إلى جهد حضاري وسياسي وبذل تضحوي استثنائي، وإلى روح معنوية عالية، خصوصاً وأنَّ الحضارة الغربيّة لا زالت تزداد جفافاً وتصحُّراً في معالجتها للمشكلات الإنسانية، بسبب فقدانها

للعنصر الروحي، والعلاقة بعالم الغيب، والارتباط بالله تعالى، الأمر الذي لا يمكن معالجته إلاّ مِنْ خلال الرسالة الإسلامية التي تمثل بتكاملها الحل الصحيح لهذه المشكلات.

فقد كان أحد الأسباب الرئيسية لسقوط الشيوعية التي نادت بالعدالة الاجتماعية ومعاداتها للفطرة الإنسانية، وخصوصاً الاتجاه الفكري للإيمان بالله، كما أنَّ أحد أسباب ظهور الرأسمالية التي نادت بالحرية هو الفراغ الذي كانت تعيشه المسيحية في معالجتها للتطور العلمي والاجتماعي، ولا يمكن معالجة هذه التناقضات إلاّ من خلال رسالة الدين التي تعالج المشكلات الإنسانية، كالحرية، والعدالة الاجتماعية، والمسألة الروحية، إلى جانب العلاقة بعالم الغيب، وهذه هي خصوصية الرسالة الإسلامية.

ومن هنا يبدو التحدي الجديد في معالجة مشكلة العدالة الاجتماعية، لأنَّ المجتمع الإنساني بعد سقوط أسطورة الاشتراكية العلمية (الشيوعية) كأطروحة لتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة والقضاء على مظاهر التمييز بين طبقات المجتمع، وإلغاء معالم الظلم والاستئثار والاستغلال الذي مارسته الرأسمالية الديموقراطية تحت شعار الحريات العامّة والفردية، وتحقيق التطوّر من خلال استنفار وتوظيف الدوافع الذاتية، والمصالح الخاصة.

بعد كل هذا تبرز الآن أخطار عظيمة في طغيان الظلم والاستغلال وبأشكال جديدة، وليس على حساب مجموعات وشرائح اجتماعية فحسب، بل على حساب شعوب وأُمم بشرية بكاملها، ومن خلال النظام العالمي الجديد الذي أصبحت (أمريكا) وحلفاؤها فيه، هي القوّة الوحيدة التي تحاول الهيمنة على العالم.

الثانية: قضية الصراع بين الاستكبار والاستضعاف، حيث لابُدَّ للحالة

الإسلامية أنْ تتحوّل من حالة الدفاع وامتصاص الهجمات المتوالية التي تشنها قوى الاستكبار العالمي ضدها - باعتبار أنّ الحالة الإسلامية كانت تعيش ضمن دائرة ومساحة الاستضعاف العالمي - إلى حالة المبادرة، وتقديم الأطروحات المناسبة لحل مشكلات الإنسان، أو الوقوف على الاقل في المواجهة مع الاستكبار دفاعاً عن كل مستضعفي العالم الذين سوف يقعون - بطبيعة الحال - لقمة سائغة هَيِّنة في يد الاستكبار العالمي المتفرِّد، إذ لا يوجد من يدافع عن حالة الاستضعاف غير الأُمّة الإسلامية والحالة الإسلامية.

الثالثة: قضية النظام العالمي الجديد الذي أصبح حقيقة قائمة من خلال التطور العلمي والمدني، والعلاقات الإنسانية الجديدة، وبالتالي فلابُدَّ من بناء هذا النظام وتطويره باتجاه التكامل الإنساني، وخدمة المسيرة المتطورة للبشرية.

إنَّ وجود نظام إنساني واحد للبشرية جمعاء هدف مقدَّس وأمل كبير تعيشه البشرية منذ العصور الأُولى للتأريخ، وقد بشَّرَت به الرسالات الآلهية، ولذا فمن الضروري أنْ يتمَّ التحرُّك بهذا الاتجاه، ولكنْ بشكل تكاملي يحقق أهداف البشرية في تكاملها من خلال ارتباطها بالله سبحانه وتعالى، والتزامها بعهودها ومواثيقها، وتجسيدها لفطرتها الأصيلة، وحبّها للخير والعدل والصلاح والرُّقي والتَّقدم والاستقرار والأمن، والعلاقات الإنسانية التي تسودها المحبة والود.

وعلى أساس هذا التطور نجد الحاجة الملحة إلى أن يقوم علماء الإسلام والمفكِّرون وقادة الحركات الإسلامية وغيرهم من حواري هذه الأُمّة، بحملة تعبوية واسعة، على المستوى السياسي والاعلامي والثقافي، لطرح نظام عالمي جديد متكامل، يقوم على أساس العقيدة الآلهية، ومبادئ الإسلام

الحنيف، المستنبطة من القرآن الكريم والسنَّة النَّبوية الصحيحة، يخاطب البشرية جمعاء، ويحل مشكلاتها، ويملأ فراغها وخواءها، ويطلب منها الايمان به والالتزام بأسسه وقوانينه، ولابُدَّ أنْ تُبذل الجهود الخيِّرة والتضحيات الكبيرة من أجل إيصال هذا البلاغ، وهذه الدعوة العالمية للبشرية كلّها، وعندما نتحدث عن هذه الجهود والتضحيات والدعوة والبلاغ، لابُدَّ أنْ نضع أمام أعيننا مسيرة الأنبياء والرّبانيين والأحبار والعلماء والصدِّيقين في التأريخ الآلهي، وخصوصاً مسيرة سيد الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليه - والتي تحدَّث عنها القرآن الكريم كثيراً، فإنَّ مثل هذه المسؤولية الكبيرة لا يمكن أن تتحقق أهدافها إلاّ من خلال هذه الجهود والتضحيات.

إنَّ هذه القضية تعدّ من أهم التحدّيات المعاصرة التي يواجهها الإنسان المسلم، وتواجهها الحالة الإسلامية، وتكتسب أولوية في مجمل الحالة الإسلامية.

كيفية معالجة هذه التحديات

وبعد هذا الاستعراض للتحدّيات يبرز أمامنا هذا السؤال: كيف نعالج هذه التحديات الحضارية؟

ويأتي الجواب على ذلك من خلال قضية الوحدة الإسلامية التي وضع أسسها القرآن الكريم، وعالجها أهل البيت عليهم السلام من خلال نظرية سوف نشير إلى معالمها في بحث قادم، ولكن بصورة إجمالية نجد أنَّ هذه المعالجة تأخذ بعدين رئيسيين: البُعد النظري، والبعد العملي، وقد أشرت إلى البعد العملي في الأسطر الماضية، من خلال الاقتداء والتأسي بمسيرة الأنبياء والرّبّانيين والصالحين.

وأمّا البُعد النظري فيمكن أنْ نجد معالمه في الحرية الفكرية والسياسية التي تبنتها نظرية أهل البيت عليهم السلام في الوحدة الإسلامية، حيث يمكن على المستوى الفكري العودة إلى دراسة المصادر والمنابع الإسلامية، والتَّعرُف على عناصر القوّة فيها، واستنطاق هذه المصادر للجواب على المشكلات الأساسية ضمن القوانين والضوابط الشرعية، وفتح باب الاجتهاد الصحيح، ونفض غبار الماضي عن النصوص الإسلامية، وكذلك فسح مجال الممارسة السياسية الحرّة المُقَنَّنَة والمشروعة على المستوى الاجتماعي، والاتّصاف بسعة الصدر في فهم واحترام آراء العلماء من جميع المذاهب الإسلامية، ونظرياتهم ودراستها بشكل موضوعي... فإنَّ كل ذلك أمور ضرورية في مواجهة هذه التحديات الحضارية.

ب) تطوير المضمون المعنوي للحالة الإسلامية

لاشكَّ أنَّ المضمون المعنوي العقلي والعاطفي الذي تملكه الحالة الإسلامية، يُمثِّل أعظم طاقة وأكبر قوَّة تمتاز بها الحالة الإسلامية، في موقفها العام تجاه هذا الصراع الحضاري؛ لأنَّ الإيمان بالله تعالى وبالرسالة واليوم الآخر، والمضمون الأخلاقي والتشريعي ومشاعر الحب والولاء لله تعالى، والعداء للشيطان وكل معالم الشر، والخوف من العذاب، والأمل في الفوز بالجنة، والأهداف السامية النَّبيلة المتمثِّلة بالرضوان الأكبر، هو القوَّة الحقيقية التي تتنزَّل عليها الملائكة ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾[1].

---

(١) فصلت: ٣٠.

وبذلك يصبح هذا المضمون المعنوي والروحي أهمّ بُعد في مستلزمات الموقف في هذه المواجهة، ومن هنا يكون تطوير هذا المضمون وتصعيده والارتفاع به أهمّ قضية في هذا المجال.

ولاشك أنَّ تعميق حالة الإيمان بالله تعالى، والشَدّ الروحي والعاطفي للإنسان المؤمن بالله وبالرسالة والرسول واليوم الآخر تأتي في مقدمة أبعاد هذا التطوير، وهذا الأمر يحتاج إلى منهج للعقيدة وللتزكية والتربية النفسية والروحية.

بين العقل والعاطفة

وهذا المنهج التربوي نجد معالمه في نظرية أهل البيت عليهم السلام في التزكية، وهو جانب مهم في معالجتنا لقضيّة الوحدة الإسلامية، ولكنَّ الشيء الذي قد نغفل عنه في فهمنا لهذا المضمون الروحي، هو قضية العقل والعلم والتمييز بينهما، وبين العاطفة والشعور.

إنّنا بلاشك بحاجة إلى العاطفة والمشاعر الجيّاشة المُتَّسمة بالحب والولاء لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين، وهذه العاطفة تُعتبر الطاقة الحركية الدافعة، والشعلة السرمديّة التي لا تَنْضب، ولكنَّ المواجهة الإسلامية بحاجة في الوقت نفسه أيضاً إلى منهج عقلي وعلمي في التخاطب والعمل والمواجهة، كما هي بحاجة إلى العواطف والمشاعر، بل إنَّ هذه العواطف والمشاعر إذا أُريد لها الاستمرار والبقاء والثبات، فلابُدَّ أن تقوم على أساس عقلي وعلمي، وبالتالي فلابُدَّ من تصعيدها من الحالة العاطفية والشعورية إلى المستوى العقلي والعلمي.

وهذا الأمر - بالإضافة إلى أنَّ النظرية الإسلامية تؤكده وتدعمه، حيث دعا القرآن إلى التّدبّر والتَّعقُّل والعمل بمنهج العلم والحُجَّة - تفرضه طبيعة

التطور التأريخي لمسيرة البشرية التي بدأت تتحول إلى هذا المنهج، ولابُدَّ لها أنْ تستَّقر عليه في المستقبل، وهذا ما يُفسِّر لنا ظاهرة اتِّصاف الرسالة الإسلامية بالرسالة الخاتمة، لأنَّ البشرية وصلت في تطورها الإنساني إلى مستوى الاعتماد على العقل والعلم من ناحية، والرسالة الإسلامية هي رسالة العقل والعلم، والمنهج الذي يمكن للإنسان أنْ يفهمه في كل أدواره المستقبلية من ناحية أخرى.

إذن، فهناك حاجة إلى المناهج العلمية والعقلية في التعبير عن مواقفنا، ولابُدَّ من الصعود بالحالة الإسلامية مِنْ حالة مُجرّد ردِّ الفعل والانفعال تجاه العهود الطويلة لاضطهاد الإسلام والمسلمين، والعدوان على القيم الإسلامية، ونهب ثروات الإنسان المسلم، و استغلال الإنسان في العالم الإسلامي... إلى غير ذلك من أسباب الظلم والضَّيم الذي يثير في الإنسان مشاعر الحقد والمقت والثورة والرَّفض والتحدي.

بل لابُدَّ من تحويل الحالة الإسلامية إلى حالة الفعل الذي يتَّسم بالثّبات والتطور، وضمن الصيغ العلمية والعقلية في التحليل والتخطيط والبرمجة، ووضع الحلول لتشمل كل مجالات الحياة المهمة، ونقاط التماس الساخنة، وقضايا الصراع والاضطراب الاجتماعي، والتي يمكن أنْ نشير إلى بعضها في النقاط التالية:

١) الرؤية والبرنامج الاقتصادي الواضح، الذي يكون قادراً على توظيف ثروات الأُمّة واستثمارها، وتعبئة طاقاتها الواسعة والكبيرة، وحل مشاكلها الاجتماعية والفردية، وتحقيق الرفاه المعيشي، والاستقلال الاقتصادي، والتوازن التجاري، والوفرة في الإنتاج، والعدالة في التوزيع، والتكافل الاجتماعي، وحفظ القدرة على المواجهة الحضارية.

٢) الخطة والبرنامج الاجتماعي الذي يكون قادراً على معالجة قضايا

الشباب والمرأة والأُسرة بشكلٍ خاص، وتأثيرات التطور العلمي والمدني على الاوساط الاجتماعية، والاستفادة من هذه الطاقات الهائلة في خدمة التنمية، والابتعاد بها عن مساقط الانحراف والتبعية والشهوات، وتحقيق حالة الانسجام بين تطلعاتها وأحاسيسها، والصيغ الإنسانية والشرعية والمُثُل والقيم الآلهية.

٣) البرامج الثقافية والروحية التي تكون قادرة على مواجهة تطورات الفكر الإنساني نحو الغيب والمجهول، من خلال التقدّم العلمي وفرص الدراسات العلمية المُعمَّقة، والإمكانيات الهائلة في المعلومات والاحصاءات والوسائل، وبالتالي مواجهة التيارات الثقافية الأُخرى، التي تعتمد بشكلٍ أساسي على عناصر الشيطان والهوى وإثارة الغرائز والشهوات وسيطرة الملذات والمنفعة الشخصية.

إنَّ تقديم مثل هذه الرؤية العلمية، والتي تعتمد على مخاطبة العقل الإنساني، وتربية إرادته والجانب الروحي والمعنوي فيه، هو المنهج النظري السليم الذي لابُدَّ للحالة الإسلامية أن تقدمه للمجتمع الإنساني في هذه المواجهة.

ج) الوحدة الإسلامية

تعتبر الوحدة الإسلامية من أهمِّ مستلزمات الوقوف في وجه هذا الصراع الحضاري الذي يجب على المسلمين جميعاً، والحركة الإسلامية بشكل خاص، الإهتمام بها وتوفير ظروفها، وتبيين مناهجها وأساليبها، والعمل على تحقيقها، بل يمكن أن نقول إنها الأرضية والقاعدة التي يمكن أن تقوم عليها جميع المستلزمات، ولا شك أنَّ الرغبة الأكيدة في نفوس المسلمين، والأمل الكبير الذي يعيشه أبناء الأُمّة الإسلامية لتحقيق الوحدة، يشكِّل

أفضل أرضية يمكن أن يقام عليها بناء الوحدة الإسلامية، حيث تتطلع الأُمّة بإيجابية لإقامة هذا البناء.

كما أنَّ أعداء الإسلام و الأُمّة الإسلامية يعملون باستمرار من أجل التركيز على نقاط الخلاف، وإبراز معالم التناقض والفرقة بين أبناء الأُمّة، بل يضعون العدسات المكبِّرة في كثير من الأحيان، ويطلقون الأصوات المنكرة، ويملؤون الدنيا ضجيجاً من أجل تأكيد ذلك.

كل هذا يؤكِّد حقيقة لابُدَّ من الاهتمام بها في مسألة الوحدة، وهي تحويلها من حالة الشعار والعواطف والمشاعر الجياشة إلى عمل هادف له (مبرِّراته) و(مجالاته) الواضحة، لأنَّ الوحدة الإسلامية ليست مجرد رغبة أكيدة، وأمل كبير فحسب، بل هي عمل واجب من الناحية الشرعية والإسلامية، وفي الوقت نفسه ضرورة من ضرورات الحياة الإسلامية، وشرط من شروط القدرة على المواجهة في الصراع الحضاري.

ومن هنا سنتناول (المبررات) و(المجالات) بشيء من التفصيل والتحليل.

أ) مبرِّرات الوحدة الإسلامية

وعندما نطرح موضوع مبرِّرات الوحدة الإسلامية يمكن أن نشير إلى نقاط ثلاث:

الأولى: إنَّ الوحدة الإسلامية توفر القدرة الحقيقية التي يمكن أن يستند إليها المسلمون في صراعهم الحضاري بعد الله سبحانه، فإنَّ الأُمّة الإسلامية، وإنْ كانت تملك طاقات بشرية كبيرة وإمكانيات مادية هائلة، ومواقع ستراتيجية هامَّة، وروح معنوية عالية، وحضارة، ونظرية عقائدية وفكرية متكاملة في نظرتها إلى الحياة، ولكن بدون هذه الوحدة بين أطرافها وأشلائها سوف تتحول - كما هي الآن - إلى مجرد فريسة للأعداء الذين

يملكون كل هذه الإمكانيات المادية والشيطانية الكبيرة والهائلة، ويمدَّهم رصيد من الهوى والرغبات والشهوات، وحبّ الجاه والسلطان قائم في نفوس الضعفاء المظللين الشرسين، أو تتحول الأُمّة إلى إفراغ طاقاتها في الصراعات الداخلية أو الجانبية بعيداً عن الأهداف الحقيقية لها.

الثانية: إنَّ الوحدة الإسلامية يمكنها أن توفر فرصاً كبيرةً وواسعة للبحث والتقصي والاجتهاد والاستنباط للنظرية الإسلامية بما يخدم مواجهة التحديات الفكرية والنظرية، ومعالجة المشكلات الإنسانية التي خلَّفتها الحضارة المادية والتطوّر العلمي والمدني، فإنَّ مثل هذا التطوّر في الأبحاث والدراسات والفهم، إنّما يمكن أن يحصل في ظل الاستقرار والتفاهم وحرية الرأي واحترامه، وتكامل الجهود بعضها إلى جانب البعض الآخر.

الثالثة: إنَّ الوحدة الإسلامية يمكنها - أيضاً - أن توفر فرص التطور والنمو في العالم الإسلامي، على المستويين المادي بجميع أبعاده، والمعنوي، وبذلك يمكن للنظرية الإسلامية أنْ تثبت من خلال تحقيق النموذج الاجتماعي الإسلامي القدوة، والتطور القادر على حل المشكلات الاجتماعية، فان التكامل الاقتصادي والسياسي والثقافي والروحي والاجتماعي بين أطراف الأُمّة الإسلامية وإمكانياتها المتوزّعة سوف يحقق ذلك إلى حدٍّ بعيد.

وبذلك يمكن للوحدة الإسلامية أنْ تُساهم في خدمة الإنسانية والتَّطوّر الحضاري للبشرية جمعاء، وفي الوقت نفسه الذي تحقق فيه أهدافها على مستوى الأُمّة الإسلامية.

ب) مجالات الوحدة الإسلامية

ومن أجل اكمال الصورة في الوحدة الإسلامية، لابُدَّ أن يتضح منذ البداية أنَّ المقصود من الوحدة الإسلامية ليس هو تحويل جميع النظريات

العقائدية، والاجتهادات الفقهية، والآراء السياسية للمسلمين، إلى نظرية واجتهاد ورأي واحد، وإنّما المقصود من ذلك هو معالجة مجمل القضايا الأساسية التي تهم المسلمين، بموقف واحد منسجم يحقق هذه (الوحدة) بينهم وبالتالي يوضح على أرض الواقع مبرراتها السابقة.

ويمكن تلخيص هذه القضايا في المجالات التالية:

الأول: النظرة الكليّة العامّة لدور الدين في الحياة الإنسانية، وأنَّه هل هو مجرد علاقة روحية وإلتزامات قلبية بين الإنسان وربه، وممارسات عبادية وسلوك أخلاقي يمارسه الإنسان، أو أن دور الدين أوسع من ذلك وأشمل، بحيث يُعالج الحياة السياسية للإنسان بأبعادها الاجتماعية، والاقتصادية، والادارية، والعلاقات الإنسانية... وكذلك دور الشريعة الإسلامية في تنظيم هذه الحياة؟

وعندما نتحدث عن النظرة الكليّة لا نقصد بطبيعة الحال المواقف السياسية التفصيلية التي تتخذها هذه الجماعة أو تلك، فإنَّ ذلك يدخل في مجال الاجتهادات المتنوعة. ولا شك أنَّ هناك شبه اتفاق عام بين العلماء والمفكرين المسلمين حول هذه النظرية الكلية، بالرغم من الإثارات ذات الطابع السياسي الذي تصطنعه الاتجاهات السياسية للدول المعادية، أو الأشخاص الذين يَقَعون تحت تأثيرها السياسي.

الثاني: الموقف العام تجاه الحقوق الإنسانية العامّة في الفكر والرأي والعمل السياسي، والممارسة العبادية للمسلمين، والحقوق المدنية لأتباع المذاهب الإسلامية في العالم الإسلامي، بحيث لا يجوز حرمان أتباع هذا المذهب أو ذاك، من هذه الحقوق العامّة، والتي يشتركون فيها مع بقية المواطنين المسلمين لمجرّد انتمائهم إلى هذا المذهب أو ذاك، وأنْ لا يتحول عامل الانتماء المذهبي إلى امتياز أو نقطة عيب أو ضعف لصالح الأشخاص

أو ضدهم.

الثالث: النَّظرة الكليّة تجاه أعداء الإسلام الأساسيين، سواء على المستوى العقائدي، مثل حركة الإلحاد والتحلل من الالتزمات الأخلاقية الفطرية، أم على المستوى السياسي، كحركة الكفر العالمي المتمثلة بقوى الهيمنة والتَّسلط والاستغلال القائمة على أساس المصالح والمنافع المادية، بعيداً عن جميع القيم والمثل الإنسانية، والمصالح والمنافع المتبادلة، وكذلك قوى الصهيونية العالمية والصليبية الطائفية الحاقدة، التي تعمل ليلاً ونهاراً في سبيل الكيد بالمسلمين، أو نهب المزيد من أراضيهم وثرواتهم، انطلاقاً من الأحقاد التأريخية.

إنَّ هذه القوى الشيطانية بما تملك من وسائل مادية للتضليل والإغراء، والامكانيات السياسية والعسكرية والعلمية لممارسة مختلف الضغوط النفسية تمثل العدو الأَلَد للمسلمين الذي يجب الحذر منه، وبالتالي لابُدَّ من تشخيصه ومواجهة أساليبه وأضاليله النفاقية.

الرابع: الخلافات المذهبية التي لابُدَّ من توحيد النظرة الكلية والمنهج الذي يتم على أساسه التعامل معها، فإنَّه لا معنى لافتراض الوحدة في هذا المجال على أساس توحيد المذاهب الإسلامية في مذهب واحد مشترك، فإنَّ هذا المنهج في الوحدة غير واقعي، بل هو غير منطقي، وإنّما لابُدَّ من وضع المنهج على أساس احترام آراء الآخرين من أصحاب المذاهب وممارساتهم العبادية والشخصية أولاً، وتوحيد مناهج البحث وأساليب النقاش والنقد بعيداً عن النوايا والظنون والشبهات ثانياً.

وسوف نطرح في آخر هذا البحث المنهج الذي نراه صحيحاً وقادراً على معالجة موضوع الوحدة في هذا المجال.

الخامس: توحيد النّظرة الكليّة إلى صيغة الحكم الإسلامي، ودوره في

الحياة السياسية والإنسانية، بحيث لا يكون هناك تناقض في الصيغ المطروحة للحكم، كما هو الحال في معالجة هذا الجانب في العالَم الديموقراطي، فإنَّه بالرّغم من وجود صيغ متعددة في بلدان العالم الديموقراطي، ولكنّها مُتَّفقة في أساسيات ومقوِّمات النظرة الكلية للحكم، تشترك فيها كل هذه الصيغ، ويتفق عليها الديموقراطيون.

والنظرة الإسلامية من خلال تراثها الشرعي وتجاربها الطويلة، قادرة على استيعاب الصيغ وتقديم المتعدد منها.

ولا شك أنَّ الأُمّة الإسلامية في مجال توحيد الموقف السياسي تحتاج إلى قيادة واحدة مركزية، يمكن أنْ تبرز من خلال حركة الواقع العملي عندما تتوفر ظروف هذه الوحدة، وتتحقق مستلزماتها.

الباب الأول

الوحدة الإسلامية
من منظور قرآني

لقد تناول القرآن الكريم موضوع الوحدة والاختلاف بشكل واسع، حيث تحدث عن ظاهرة الاختلاف في التأريخ الإنساني، وتناول أسبابها وعواملها، وقدَّم العلاج لها، كما تناول موضوع الوحدة وأسسها، والطرق والأساليب التي يمكن من خلالها الوصول إلى الوحدة والاتفاق، والى جانب الحديث القرآني عن ظاهرة الاختلاف في تأريخ البشرية، تحدث أيضاً عن الوحدة والاختلاف في المجتمع الإسلامي، وبالتّالي عالج موضوع الوحدة بين المسلمين أنفسهم، الذين كانوا يتعرضون إلى الاختلاف من خلال حركة المجتمع السياسية وتطوراتها، أو من خلال فعل أعداء الإسلام، والأُمّة الإسلامية من المشركين والكُفّار مِنْ أهل الكتاب، وكذلك المنافقين الذين كانوا يعيشون في ضمن المجتمع الإسلامي، ولكنهم ليسوا من المسلمين، ولا من أهل الكتاب: ﴿**مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ**﴾[1].

فهنا بحثان:

الأول: ظاهرة الوحدة والاختلاف في التأريخ الإنساني.

الثاني: الوحدة في المجتمع الإسلامي.

---

(١) المجادلة: ١٤.

الفصل الأول

ظاهرة الوحدة والاختلاف في التأريخ الإنساني

ومن خلال البحث في هذا الموضوع نرى من الوضوح أنه يمكن أنْ نقسمه إلى قسمين:

القسم الأول: الاختلاف والوحدة كظاهرة إنسانية.

القسم الثاني: الاختلاف والوحدة بين الديانات الآلهية.

أما القسم الأول: فنحن نلاحظ من خلال القرآن الكريم أنَّ البشرية كمجتمع بدأت مُتَّحدة في سلوكها وعلاقاتها، كما نصَّ القرآن الكريم على ذلك في بعض المواضع:

﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[1].

﴿**وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾[2].

ويبدو أنَّ هذه الوحدة كانت تقوم على أساس قاعدة النظرة الإنسانية التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان، وهيأه لهذه الخلافة الآلهية في الأرض والتي تتمثل بالعقل والعلم والإرادة:﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ۞ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[3].

---

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) يونس: ١٩.

(٣) البقرة: ٣٠ - ٣١.

وقد كانت الظروف الإنسانية والحياتية في البداية ملائمة لأن تأخذ هذه النظرة دورها في تحقيق الوحدة واستمرارها، باعتبار بساطة الحياة الاجتماعية، وعدم وجود التعقيد في ظروفها، سواء على مستوى حاجات هذا الإنسان ومتطلباته التي تفرضها عليه غرائزه وشهواته، أم على مستوى الامكانيات والقدرات التي يملكها هذا الإنسان، والتي تجعله غير قادر على بسط نفوذه والتوسع والامتداد ليشمل مساحات جديدة من الحياة الاجتماعية بحيث يؤدي إلى دخوله في التناقض مع المساحات الأخرى، أم على مستوى المعرفة والفهم للوسائل والأسباب التي تخلق له أنواعاً جديدة من الآفاق والطموحات والأهداف والمقاصد، ويمكن أن نتصور هذه المرحلة الاولى من الحياة الإنسانية التي كانت تتحكم فيها الفطرة وتُسيِّرها في ظل الظروف الملائمة، أنَّ الإنسان فيها قد يحدث له بعض التجاوزات الفردية التي كانت تظهر بسبب الهوى، ولكن سرعان ما يرجع إلى فطرته عندما تهدأ سَوْرَة الهوى من حقد أو حسد أو غضب أو شهوة، كما يشير القرآن الكريم إلى ذلك في حادثة ابني آدم:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۞ لئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ ۞ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۞ فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[1].

(١) المائدة: ٢٧ – ٣١.

ظاهرة الاختلاف

وبعد هذه المرحلة ومرور فترة زمنية معينة تكامل بها المجتمع البشري وتوسَّع في أعداده وحاجاته ومتطلباته، وجاءت فترة الاختلاف في البشرية.

ويبدو من القرآن الكريم أنَّ البشرية في جميع أدوارها كانت محكومة بما يمكن أنْ نسميه بقانون الاختلاف: ﴿**وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾[1]، حيث نجد أنَّ الاختلاف كواقع خارجي كان موجوداً وقائماً في مختلف المراحل التأريخية، وقد كان هذا الاختلاف نتيجة طبيعية لقانون آخر وضع الله تعالى البشرية في إطاره، وهو قانون الامتحان والاختبار، والذي شكَّل المنهج الوحيد لعملية البناء والتكامل للأُمم والأفراد الصالحين، في إطار المخلوق العالِم والمختار، الذي يعلم في نفسه الشعور بالحاجة والرغبات والشهوات، والذي هيأ الله تعالى له حياة طويلة ومتنوعة وهي الحياة الدنيا والآخرة، حيث كانت فترة الامتحان له في الحياة الدّنيا، وهي فترة العمل من أجل هذا التكامل وفرصة الاختبار فيه، وكانت الحياة الأُخرى هي فترة الحساب والثواب والعقاب وتحقق الأهداف (الحياة الحقيقية):

﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[2].

---

(١) هود: ١١٨ - ١١٩.

(٢) العنكبوت: ٦٤.

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[١].

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[٢].

الاختلاف بسبب الهوى

وقد بدأ الاختلاف في الإنسانية بسبب تأثير الهوى الذي أودعه الله ﷻ في النفس البشرية كقوة جاذبة، والذي يوازن عملية الإرادة والاختيار قوة العقل والفطرة الإنسانية، حيث يعتمد الهوى بالأصل على رؤية الأمور عملياً من خلال المحسوسات المادّية فقط، والحاجات الأمنية الدنيوية التي تتطلبها الغرائز الإنسانية، ويعتمد على المشاعر والأحاسيس التي تخلقها المصالح الوقتية، في مقابل العقل الذي يعتمد على الرؤية الصحيحة والدقيقة لواقع الكون والحياة، والنظرة إلى الحياة الإنسانية على أساس أنّها حياة لها امتداداتها الغيبيّة في المبدأ والمعاد، وأنَّ لها حاجات مادّية وروحية معاً لابُدَّ من تكاملها في المتطلبات والالتزامات، وأهمية إيجاد التوازن بينها في العمل والسلوك:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّه الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِه وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٣]، ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ

---

(١) العنكبوت: ٢.

(٢) الملك: ٢.

(٣) الأعراف: ٣٢.

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[1].

وكذلك ينظر العقل إلى المصالح الإنسانية بنظرة شمولية ترتبط بالفرد والمجتمع والحياة الدنيا والآخرة.

ومن هنا نجد الهوى يدعو عملياً إلى إطلاق العنان للغرائز والشهوات، ويدعو أيضاً إلى الاهتمام بالمصالح الخاصة الذاتية من خلال رؤية الإنسان لذاته وحركتها في هذه الحياة الدنيا فقط، والتي قد تضيق وتتسع حسب فهم هذا الإنسان لهذه الحياة، ومدى حركته وسعة وجوده أو اندفاعاته الغرائزية التي قد يقوم بعضها على البعض الآخر عندما تتزاحم فيما بينها، ومن هنا نجد هذا النوع من الناس (المادّيين) مختلفين في اهتماماتهم بالذات، حيث إنَّ بعضهم يُرَكِّز على شخصه أو عشيرته أو أسرته أو على القضايا الجنسية أو المالية أو الجاه والمناصب أو غير ذلك من الشهوات، لأنَّ نظرته لحركة ذاته في الحياة الدنيا تفرض عليه هذا النوع من الاهتمام أو ذاك.

وفي مقابل ذلك نجد العقل يدعو إلى السيطرة على الغرائز وإخضاعها إلى الضوابط والقيود، وتوجيهها في السلوك وفقاً لما تقتضيه المسيرة الطويلة للتكامل الإنساني الشامل، وكذلك يدعو العقل إلى الاهتمام بالمصالح الإنسانية العامّة والخاصة من خلال رؤية الإنسان لذاته وحركتها في الحياة الدنيا والآخرة معاً، حيث يصبح حب الذات الذي هو من الأُمور الفطرية

---

(١) آل عمران: ١٤ - ١٥.

والغريزية في الإنسان، وكذلك حب الخير والشهوات واللَّذات، له مداليل أُخرى في حياة الإنسان تنسجم مع هذا الفهم، وكذلك التضحية والفداء والمعاناة والآلام والبذل والإنفاق والإيثار، وكذلك العشيرة والأُسرة والقبيلة والوطن والناس لها معان أُخرى تصب في سبيل الله ورضوان الله، والوصول إلى درجات الأنبياء والصّديقين والشهداء والصالحين وَحَسُنَ أولئك رفيقاً:

﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[1].

ويمثل هذا المشهد القرآني هذه الرؤية:

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۞ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۞ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۞ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ

---

(١) النساء: ٦٩.

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1].

وعندما يتبع الإنسان الهوى ويخرج عن توجيه العقل يوجد الاختلاف، بسبب عدوان أصحاب الهوى على الناس والكون والتناقض بين المصالح والارادات، والتنافس غير الشريف على الجاه والسلطة والشهوات بين الناس.

ويبدو من القرآن الكريم أن هذا النوع من الاختلاف هو أول الأنواع التي ظهرت في التأريخ الإنساني، والتي توقعها الملائكة من خلال طبيعة خلق هذا الإنسان كما يتحدث القرآن الكريم:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2].

الاختلاف بسبب العقائد

لّما برز الاختلاف بسبب الهوى، اقْترن ذلك بتطور الحياة الإنسانية ووجود التعقيد والتركيب فيها، وأصبح الإنسان عاجزاً أن يقوم بمفرده ومن خلال عقله وفطرته عن حل المشكلات الصعبة والعميقة في حياته، عندئذ حدث تطور جديد في الحياة الإنسانية، حيث تفضَّل الله سبحانه على عباده بإنزال الكتب والرسالات السماوية وإرسال الأنبياء ليرشدوا هؤلاء الناس إلى طريق الهدى والصلاح، وليحكموا في الخلافات والنزاعات بينهم بالحق والعدل، كما تؤكد على ذلك آية سورة البقرة السابقة وغيرها من الآيات: **﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ**

---

(١) الحديد: ١٨ - ٢٣.

(٢) البقرة: ٣٠.

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيه...﴾[1].

وقد كان لهذا التطور الجديد أنْ يرتقي بالحياة الإنسانية في فهمها للحياة وللكون، وفي تشخيص معالم الفطرة في النفس الإنسانية وتوضيحها ضمن صيغ وقوانين محددة، كما تمَّ تشخيص مواضع القسط والعدل والظلم والجور، ومعالم الصلاح والفساد، والخير والشر، والحسنة والسيئة، والمعروف والمنكر، والاختلاف بجانبيه المحمود والمذموم، كما توضَّحت سبل وأساليب الارتباط بالله تعالى وعبادته وحمده وشكره وتسبيحه وتقديسه، كل ذلك من خلال الرسالات السماوية.

وفي مقابل هذا التطور الجديد والضروري الذي يمثل الرحمة الآلهية، تطور الامتحان والاختبار لهذا الإنسان متناسقاً مع درجة التكامل الجديدة التي أخذ يواجهها هذا الإنسان، فحدث نوع جديد من الاختلاف، وهو الاختلاف في العقائد الآلهية، من خلال تأثير الهوى في الإنسان، حيث سيطر على سلوك بعض الناس وتحول إلى إله يعبد من دون الله، فانحرف هذا الإنسان عن فطرته التي اختفت تحت رُكام السيئات والذنوب والانحرافات والآثام والشهوات، الأمر الذي أدى إلى التّمرُّد على الله، ورفض الإنسان الاستماع إلى نداءات الرسل والأنبياء في التوحيد الإلهي، أو في الإيمان بالوحي والرسالة، أو الإيمان بالمعاد والنّشور، وحتى النداءات الأخلاقية والإصلاحية للمجتمع وللأنسان، وفي تحقيق العدل والقسط، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التحول في الأوضاع الإنسانية، وهذا النوع من التّمرُّد في مثل قوله تعالى:

---

(١) البقرة: ٢١٣.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[1].

وتمثّل سورة نوح عليه السلام صورة رائعة عن هذا التطور والمواجهة التي حصلت في بدايات هذا التحول في التأريخ البشري كما يظهر:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۞ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۞ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[2].

كما أشار القرآن الكريم في مواضع عديدة إلى هذا النوع من الاختلاف بشكل عام في الآية (٢١٣) من سورة البقرة السابقة، وفي مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[3].

﴿تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[4].

---

(١) الجاثية: ٢٣ – ٢٤.

(٢) نوح: ٥ – ١١.

(٣) آل عمران: ١٩.

(٤) النحل: ٦٣ - ٦٤.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ۞ وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[1].

ولعلَّ هذا النوع من الاختلاف هو الذي أشار إليه إبليس في محاروته مع الله سبحانه وتعالى وتوعّده للإنسان، تعبيراً عن الحالة التي كان عليها إبليس في موقفه من السجود لآدم وتمرّده على الله تعالى، حيث انطلق في ذلك من الهوى والأنا والشعور بالتميّز الذاتي على آدم عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۞ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۞ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[2].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ۞ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ۞ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[3].

وفي تطور آخر إلى جانب الاختلاف العقائدي بَدا سبب آخر للاختلاف ينطلق من الهوى أيضاً، وهو الاختلاف بسبب الجهل والطغيان، وتحوُّل

---

(١) الشورى: ٧ - ٨.

(٢) الأعراف: ١١ - ١٣.

(٣) الحجر: ٢٨ - ٣٣.

بعض الممارسات السلوكية إلى عادات ثابتة أو تقاليد مقدسة لوراثتها عن الآباء والأجداد، وبفعل الاجتهادات والتغيّرات القائمة على الهوى والأغراض الشخصية، أو الظنون والأوهام، الأمر الذي أدى إلى انقسام الناس إلى جماعات متعصبة وأحزاب متفرقة، يقتل بعضهم البعض الآخر، ويشرده من دياره، أو يستعبده ويستغله من أجل مصالحه وحاجاته وإرضاءً لرغباته وشهواته:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(١).

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾(٢).

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾(٣).

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾(٤).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾(٥).

---

(١) الروم: ٤١.

(٢) القصص: ٤.

(٣) آل عمران: ٧.

(٤) البقرة: ٧٨.

(٥) المائدة: ٩٠ – ٩١.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾(١).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾(٣).

وهناك المئات من الآيات الكريمة التي تناولت معالم الفساد والانحراف في العقائد والسلوك والاجتهادات، وتحدثت عن مفردات الهوى وزخارف الدنيا وآثارها في الحياة الإنسانية.

وقد شرَّع الإسلام الدعوة إلى الله، والبلاغ بالهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله لمواجهة هذه الأنواع من الاختلافات بحسب مستوياتها وطبائعها، كما تنص على ذلك الآيات الكريمة الكثيرة:

﴿فَلا تُطعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيراً﴾(٤).

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(٥).

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

---

(١) البقرة: ١٧٠.

(٢) المائدة: ١٠٤.

(٣) الأنعام: ١٥٩.

(٤) الفرقان: ٥٢.

(٥) التحريم: ٩.

الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢).

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٣).

وقد أكَّد القرآن الكريم أنَّ الله سبحانه وتعالى من أجل تنبيه الناس ووعظهم في الحياة الدنيا للقضاء على أسباب الاختلاف وفتح طريق التكامل أمام مسيرة البشرية على المستوى الفردي والعالمي وضع قانونين آخرين:

أحدهما: قانون الاستغفار والتوبة والإنابة والعفو، ليكون أمام الإنسان فرصة الرجوع عن أخطائه وذنوبه حيث يتكامل بهذه التوبة، ويتفضل عليه الله ﷻ بالمغفرة.

ثانيهما: قانون الانتقام الدنيوي للجماعات عندما تتفاقم حالة الانحراف وتتزايد الذنوب والجرائم والسيئات، ليكون هذا الانتقام عِبرة للأجيال القادمة والامم الآتية.

---

(١) آل عمران: ١٠٤.

(٢) التوبة: ٧١.

(٣) الأعراف: ١٥٧.

ومن هنا نجد القرآن الكريم يؤكّد على هذين القانونين سواء في العطاء النظري والفكري أو في قصص الأنبياء والأقوام، من أجل معالجة هذه الأسباب وتوضيح الرؤية والطريق للناس في طريق الكمال، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّه لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾(١).

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٢).

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾(٣).

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾(٤).

﴿قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۞ فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۞ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾(٥).

---

(١) النساء: ١٧.

(٢) آل عمران: ١٣٥.

(٣) يونس: ٧٣.

(٤) هود: ٦٧ - ٦٨.

(٥) هود: ٨١ – ٨٣.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۞ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيد﴾[1].

كما حدَّد القرآن الكريم المعالم الأساسية التي يمكن أنْ تقوم عليها وحدة المجتمع البشري في نهاية المطاف، حيث ستصل مسيرة البشرية إلى هذا الهدف في أواخر أيامها الدنيوية كما وعد الله سبحانه وتعالى بذلك.

وسوف نتحدث عن هذه الأُسس التي تقوم عليها الوحدة في نظر القرآن الكريم في الفصل الآتي عند الحديث عن الوحدة في المجتمع الإسلامي.

الاختلاف والوحدة بين الديانات الآلهية

من الواضح من خلال النظرية القرآنية أنَّ فكرة الوحدة لابُدَّ لها من قاعدة ووسائل، كما سوف نتحدث عن ذلك في الفصل الآتي. ولكن هنا لابُدَّ أنْ نشير إلى أنَّ الوحدة بين أبناء البشر يمكن أن تتحقق فيما إذا كان هناك قاسم مشترك رئيسي يكون منطلقاً لهذه الوحدة، ومقبولاً في العمل من أجل الوحدة، ومن وجهة نظر القرآن الكريم يمكن تحديد هذا القاسم المشترك على مستوى البشرية على أساس الأمرين التاليين:

الأول: الإيمان بالله تعالى والوحي والرسالات واليوم الآخر.

الثاني: القبول بالعزة والكرامة الإنسانية والاحترام للإنسان وحرِّيته في العقيدة والفكر والعمل.

ولذا فلا مجال للوحدة في نظر القرآن الكريم بين المؤمنين والكافرين في مجتمع واحد حقيقي، فقد يجمعهم مكان واحد ووطن واحد وتكون بينهم

---

(١) هود: ١٠١ - ١٠٢.

(الهدنة)، ولكنَّهم لا يمكن أن يكونوا مجتمعاً واحداً من وجهة نظر الإسلام، فلا يمكن في الوحدة التنازل عن هذا الأمر، لأنَّ الشرك ظلم عظيم، ويُغفر كل ذنب دونه، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيماً﴾(١).

وبالتالي فهو يُمثِّل حاجزاً نفسياً وتناقضاً اجتماعياً وظلماً لا يمكن التجاوز عنه، بل يمثل التّمزّق والاختلاف بين الناس على أساس التّعدُّد في التّدبير، بخلاف التوحيد الذي يمثل الوحدة الحقيقية في الكون والمجتمع.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(٢).

ولاشك أنَّ هذا الموقف الذي يذكره القرآن لإبراهيم عليه السلام وأتباعه من أجل التأسي به، يُجسِّد هذه النظرة القرآنية للوحدة، ولكن إنَّما يتم اتخاذه بعد إقامة الحُجّة والبلاغ بالحكمة والموعظة الحسنة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٣).

كذلك لا مجال للوحدة في نظر القرآن بين الطُّغاة والمساكين، والمتجبِّرين

---

(١) النساء: ٤٨.

(٢) الممتحنة: ٤.

(٣) التوبة: ٢٣.

والمستضعَفين، والظالمين والمظلومين، في مجتمع واحد حقيقي، فقد يجمعهم - أيضاً - مكان واحد ووطن واحد، ولكنَّهم ليسوا مجتمعاً واحداً في نظر الإسلام، بل يتحول المجتمع إلى مجتمع متمزِّق ومتفرِّق في واقعه:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[1].

بل إنَّ الإسلام فرض القتال على المُستضعَفين عندما يكونون قادرين على ذلك، والقتال هو النزاع والاختلاف والفرقة:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۞ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً﴾[3].

ومن هذا المنطلق نجد القرآن الكريم عالج بشكل خاص قضية الوحدة والاختلاف بين المسلمين وأهل الكتاب (أهل الديانات الآلهية)، باعتبار توفّر القاسم المشترك بينهما، فإنَّ القرآن الكريم في البداية دعا أهل الكتاب إلى دين الحق وهو الإسلام، وحثهم على الدخول فيه:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ

---

(١) القصص: ٤.

(٢) الحج: ٣٩ - ٤٠.

(٣) النساء: ٧٥.

الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

معالجة أسباب الانحراف عند أهل الكتاب

وقد حاول القرآن الكريم أن يعالج مجمل الانحرافات وأسباب الاختلاف التي كانوا عليها، خصوصاً قضية الشرك بالله تعالى، ونقضهم للمواثيق، وذلك من أجل توحيدهم في دين واحد وجعلهم أمة واحدة:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ ۞ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۞ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ۞ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[2].

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

---

(١) المائدة: ١٥ - ١٦.

(٢) المائدة: ٧٧ - ٨١.

(٣) المائدة: ١٧.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾[1].

ويمكن تلخيص أهم هذه الأسباب بالنقاط التالية:

١) الانحراف في العقيدة من خلال الكفر بآيات الله وقتل الأنبياء والغُلوّ في العقيدة، كنسبة الولد إلى الله، أو تصور أنَّ الله ثالث ثلاثة، أو أنَّ يد الله مغلولة، أو اتخاذ الرهبان والأحبار أرباباً من دون الله، أو غير ذلك من الموارد التي أشار اليها القرآن الكريم.

٢) التمسك والتعصب للأسماء والشعارات بعيداً عن الالتزامات العملية والسلوكية كقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وزعمهم أنَّهم أولياء الله الذين لا يتعرضون إلى العذاب والمؤاخذة، لتمسكهم بهذه الدِّيانات:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[2].

٣) نقض المواثيق والعهود التي أخذها الله عليهم في الإيمان به، والدفاع عن الحق والمظلومين، وفي التَّصديق بالنَّبيّ الأميّ العربي، قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[3].

﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ

---

(١) المائدة: ٧٠.

(٢) المائدة: ١٨.

(٣) آل عمران: ٨١.

فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[1].

٤) الاهتمام بالمناصب والمواقع الاجتماعية وجمع الأموال عن طريق المتاجرة بالدين وآيات الله وكلماته، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[2].

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾[3].

٥) تأويل النصوص الدينية وتفسيرها حسب الأهواء والآراء والأماني، وعن طريق الاجتهادات الخاطئة البعيدة عن العلم واليقين والاعتماد على الظن والوهم، قال تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ۞ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً

---

(١) آل عمران: ١٨٧.

(٢) البقرة: ١٧٤ - ١٧٥.

(٣) البقرة: ٨٥ - ٨٦.

قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[1].

إطار الوحدة بين الدِّيانات الآلهية

وضع القرآن الكريم إطاراً للوحدة بين التأريخ والديانات الآلهية إلى جانب محاولته لمعالجة مُجمل الانحرافات التي أصابت الأُمم والجماعات التي آمنت بهذه الرسالات، وذلك من أجل إبقاء العلاقة النفسية والروحية بين المسلمين وأتْباع هذه الديانات، وتهيئة الأرضية للتعايش الاجتماعي والسياسي بين هذه الديانات من ناحية، وإيجاد صف واحد للمؤمنين بالله واليوم الآخر في مواجهة قوى الوثنية والشرك والالحاد.

ويمكن أن نجد معالم هذا الإطار وأبعاده في النقاط التالية:

النقطة الأولى: الإيمان بالله الواحد، والوحي الإلهي واليوم الآخر، والكتب والرِّسالات، حيث يمثِّل هذا الإيمان الأساس المشترك لهذه الديانات كلّها.

وبالرغم من الإشارات القرآنية إلى وجود الانحراف عن هذا الأصل في بعض هذه الديانات، بحيث عبَّر عنه القرآن الكريم بالكفر، ولكن يبدو أنَّ تقييم القرآن الكريم لهذا الكفر والشرك لم يكن بالدرجة التي تؤدي إلى القطيعة والانفصال، ولعل ذلك - والله العالم - ينطلق من أنَّ هذا النوع من الكفر والشرك ليس بالدرجة العالية من الانحراف، لأنَّه يرتبط بتصور الذات الآلهية تصوراً منحرفاً، أو الغُلوّ في فهم بعض أفراد الأنبياء، والصعود بدرجاتهم إلى مستوى يجعلهم يمثلون امتداداً لله الواحد نفسه، كما يبدو ذلك في تصور بعض طوائف النصارى للمسيح وأمّه، بحيث تصبح الذات الآلهية ذات أبعاد ثلاثة، أو مراحل ثلاثة، تشبه المراحل التي

---

(١) البقرة: ٧٨ - ٧٩.

تمرّ بها بعض الموجودات البشرية أو المادية (الأب، والإبن، وروح القدس):

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ﴾[1].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ﴾[2].

﴿وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ﴾[3].

ويبدو أنَّ القرآن الكريم لم يستخدم كلمة (الشرك) و(المشركين) من أهل الكتاب، بل وضع (الذين كفروا) في مقابل أهل الكتاب بالرغم من انتقاد القرآن الشديد لأهل الكتاب أحياناً، ووضعهم إلى صف المشركين في إدانتهم، والمصير الذي سوف ينتهون اليه أحياناً اخرى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾[4].

كما أنَّه قرنهم بالمشركين في أوَّل السورة:

﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[5].

ويبدو من سياق الآيات في بعض الموارد كما في الآية السابقة وغيرها، ومن التصريح في بعض الموارد الأُخرى وجود الفرق بين أهل الكتاب أنفسهم من اليهود والنصارى، حيث اصطف اليهود إلى جانب، فكانوا أشد الناس عداوة وايذاء للمسلمين، شأنهم في ذلك شأن المشركين، على

---

(١) المائدة: ٧٣.

(٢) التوبة: ٣٠.

(٣) التوبة: ٣٠.

(٤) البينة: ٦.

(٥) البقرة: ١٠٥.

خلاف النصارى الذين فيهم القسّيسون والرُّهبان:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[1].

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[3].

وبعد أن يستعرض القرآن الكريم مواقف طوائف أهل الكتاب وانحرافاتهم وما يجب على المسلمين من مواقف تجاههم يختم هذا المقطع بقوله تعالى:

﴿لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۞ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾[4].

---

(١) المائدة: ٨٢ - ٨٣.

(٢) آل عمران: ٧٥.

(٣) آل عمران: ٦٩.

(٤) آل عمران: ١١٣ - ١١٥.

وانطلاقاً من هذا التصور نجد القرآن الكريم يدعو أهل الكتاب إلى كلمة التوحيد باعتبارها الكلمة الجامعة، والتي تمثّل القاسم المشترك بينهم وبين المسلمين:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(١).

كما نلاحظ القرآن الكريم يضع أهل الكتاب بأصنافهم المتعددة في صف واحد مع المسلمين في النهايات، وذلك انطلاقاً من هذه الرؤية الواقعية، والتمييز بين بعضهم والبعض الآخر ويضع قضية الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح أساساً لذلك:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٢).

ومثلها في اللفظ وفي المعنى مع اختلاف بسيط، الآية الكريمة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٣).

النقطة الثانية: التأكيد على وحدة الرُّسل والرسالات، فالأنبياء وما جاءوا به من الوحي إنَّما هو من مصدر واحد، وهو الله سبحانه وتعالى، وهم يتحملون مسؤولية من نوع واحد، وهي مسؤولية إبلاغ رسالات الله،

---

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) البقرة: ٦٢.

(٣) المائدة: ٦٩.

وإصلاح البشر، ودعوتهم إلى الخير والهدى والصلاح، وتحذيرهم من الشر والضلال والفساد، وكذلك قيامهم بين الناس بالعدل والقسط وحلّ الاختلاف بالحق من خلال الحكم الإلهي، لا بالهوى والميول والرّغبات، وقد أكّد القرآن الكريم هذه الوحدة بأساليب متعددة:

فتارة يصرح بها من خلال استعراض مسيرة الأنبياء ودعواتهم وبعد بيان أعمال مجموعة منهم ثم يختم ذلك بقوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾(١).

وكذلك قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيم ۞ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾(٢).

وأخرى بأسلوب تأكيد وحدة مضمون دعوة الأنبياء المتعدّدين عند استعراض رسالتهم إلى أقوامهم، كما نلاحظ ذلك في عِدَّة سور قرآنية كالشعراء.

وثالثة بالإشارة إلى أنَّ العقيدة الإسلامية الصحيحة هي عدم التفريق بين الرسل، والإيمان بهم جميعاً مع احترامهم، والإنكار على من يُفرِّق بين هؤلاء الرّسل لأنهم جميعاً رسل الله تعالى:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(٣).

---

(١) الأنبياء: ٩٢.

(٢) المؤمنون: ٥١ - ٥٢.

(٣) البقرة: ٢٨٥.

﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1].

وكذلك قوله تعالى:

﴿لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ۞ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۞ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيماً﴾[2].

ورابعة من خلال التركيز في الحديث على الأنبياء المعروفين لدى أوساط أهل الكتاب وقصصهم، كآدم، ونوح، وإبراهيم، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وداوود، وسليمان، وزكريا، وعيسى عليهم السلام وغيرهم.

النقطة الثالثة: الدعوة إلى تطبيق الأحكام الآلهية المشتركة الثابتة في التوراة والإنجيل، ليتضح مدى التقارب والوحدة بين هذه الأديان، خصوصاً وإنَّ هذه التشريعات يُكمِّل بعضها البعض الآخر، حيث نجد القرآن الكريم يتناول هذا الموضوع بأساليب متعددة:

---

(١) البقرة: ١٣٦.

(٢) النساء: ١٦٢ - ١٦٥.

أ) أشار إلى الأحكام التي كانت ثابتة في الديانات السابقة، كما تم ذلك في الصوم، والقصاص، والربا، وغيرها، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون..﴾(١).

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنف وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون﴾(٢).

﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيماً﴾(٣).

ب) المطالبة بالرجوع إلى التّوراة والإنجيل في فصل الاختلافات التي تواجه أهل الكتاب، وتشخيص الأحكام المقارنة بينها وبين ما هو موجود في التوراة والانجيل:

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٤).

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(٥).

---

(١) البقرة: ١٨٣.

(٢) المائدة: ٤٥.

(٣) النساء: ١٦١.

(٤) آل عمران: ٩٣.

(٥) المائدة: ٦٨.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۞ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[1].

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2].

ج) أسلوب الدعوة إلى أهل الذّكر والمعرفة من علماء أهل الكتاب لتبيّن الحقائق التي جاء بها الإسلام بعد تذكريهم بها، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[3].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[4].

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ

---

(١) المائدة: ٤٣ - ٤٤.

(٢) المائدة: ٤٧.

(٣) النحل: ٤٣.

(٤) الأنبياء: ٧.

هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٢).

النقطة الرابعة: الدعوة إلى التسليم والقبول بالرسالة الإسلامية وأُصولها الآلهية، واحترام النَّبيّ الأميّ العربي المتمثِّل برسول الله ﷺ حيث إنَّ الإسلام يعترف بشكل طبيعي بالرسالات السابقة والأنبياء السابقين، وبالتالي بأقوالهم وأتباعهم الذين آمنوا بهم، وباعتباره الرسالة الخاتمة فلابُدَّ له من تصديق الرِّسالات السابقة في الوقت الذي يُمثِّل الهيمنة عليها، وإكمالها وتصحيح الانحرافات التي طرأت عليها من خلال التراكم الزمني والتأريخي، والرّواسب والمخلَّفات الاجتماعية والقومية، والانحطاط الأخلاقي.

وقد توسل القرآن الكريم إلى هذه الدعوة بأساليب متعددة أيضاً:

أ) ارجاع الإسلام إلى الأصل الإبراهيمي، والتأكيد على موقع إبراهيم عليه السلام في الرسالة الإسلامية، باعتباره أب الأنبياء الإسرائيليين، والنَّبيّ الذي تلتقي به الرسالات السماوية، ومن هنا جاء التأكيد على أنَّ اسم الإسلام كان من إبراهيم عليه السلام وأنَّه كان مسلماً حنيفاً، ولم يكن يهودياً ولا نصرانياً:

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّه حَقَّ جِهَادِه هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ

---

(١) الأعراف: ١٥٧.

(٢) البقرة: ١٤٦.

الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾(١).

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ۞ هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ۞ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢).

ب) دعوة أهل الكتاب للاعتراف بالنبي ورسالته من خلال التأكيد على بشارة الأنبياء والكتب السماوية به، حيث تمَّت الإشارة في القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في عدَّة موارد.

منها: ما ورد في سورة الأعراف في سياق الحديث عن موسى ودعائه الله تعالى وجوابه تعالى له:

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُون ۞ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون ۞ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ

---

(١) الحج: ٧٨.

(٢) آل عمران: ٦٥ - ٦٧.

يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ ومِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾(١).

ومنها: ما ورد في سورة الصَّف من قوله تعالى على لسان عيسى بن مريم بعد الإشارة إلى موقف قوم موسى وقوم عيسى منهما:

﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(٢).

ومنها: ما ورد في سورة البقرة من قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(٣).

ومنها: ماورد في سورة آل عمران من قوله تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾**(٤).

ج) مناقشة الأفكار المختلفة والمهمة عند أهل الكتاب، وإرجاعها إلى أُصولها الصحيحة، وتذكيرهم بما يخفون من الكتاب، كما هو الحال في فكرة تولّد المسيح من غير أب التي كانت سبباً لاثارة الاتهام تجاهه عند

---

(١) الأعراف: ١٥٦ - ١٥٩.

(٢) الصف: ٦.

(٣) البقرة: ٨٩.

(٤) آل عمران: ٨١.

اليهود، والاعتقاد بانه تجسيد للإله عند النصارى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾(١).

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(٢).

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣).

وكذلك فكرة أنَّ اليهود والنصارى هم أبناء الله وأحباؤه وأنَّهم لا يتعرضون للعذاب والعقاب:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾(٤).

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٥).

وكذلك فكرة الفقر والبخل الإلهي التي كان يقول بها اليهود:

---

(١) المائدة: ١٥.

(٢) آل عمران: ٥٩.

(٣) المائدة: ١٧.

(٤) المائدة: ١٨.

(٥) الجمعة: ٦.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء﴾(١).

﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ۞ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ۞ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٢).

النقطة الخامسة: الاعتراف بالوجود الديني والاجتماعي لأصحاب هذه الديانات ضمن المجتمع الإسلامي على مستوى علاقات المواطنة أو العلاقات الاقتصادية أو علاقات الأُسرة والروابط الاجتماعية، كما تدل على ذلك بعض الآيات الكريمة، ويؤكده التعامل السياسي في الدولة الإسلامية، واتفاقيات المواطنة التي تسمى (بالخيرية)، وإبقاء وجودهم الديني من المعابد والشعائر الدينية، والأحكام في الأصول الشخصية، وكذلك إبقاء الأراضي المفتوحة عنوة في أيديهم، وفتح الأبواب لهم في مختلف المجالات الاقتصادية والعلمية والثقافية، ومن الآيات التي تناولت هذا الموضوع هي آيات الجزية:

﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾(٣).

---

(١) المائدة: ٦٤.

(٢) آل عمران: ١٨١ - ١٨٣.

(٣) التوبة: ٢٩.

فإنَّ هذا الاستثناء لا يشمل المشركين ولا غيرهم من المُلْحِدين المرتدّين، خصوصاً وأنَّها جاءت في سياق البراءة من المشركين:

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

فإنَّ هذه الآية تشير إلى العلاقات التجارية في قوله تعالى: **﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُم﴾**.

وكذلك في العلاقات الزوجية، خصوصاً اذا قارنَّاها بالموقف من المشركين في قوله تعالى:

﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾[2].

﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾[3].

كما يؤكد القرآن في بعض الآيات على الجانب الروحي والعاطفي الموجود في أوساط بعض أهل الكتاب كالنصارى، كما أشرنا إلى ذلك في آية سورة المائدة، وكما في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ

---

(١) المائدة: ٥.

(٢) الممتحنة: ١٠.

(٣) البقرة: ٢٢١.

أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُون﴾[١].

إنَّ هذه النقاط الخمس التي ذكرناها ووضعنا بعضها إلى جانب الآخر، وجدنا أنَّ القرآن الكريم في الوقت الذي كان يسعى إلى تصحيح انحرافات أهل الكتاب، ودعوتهم لدخول الإسلام والالتزام بدين الحق... في الوقت نفسه كان يسعى أيضاً لإيجاد صف واحد من المؤمنين بالله والوحي والرِّسالات واليوم الآخر، ليكونوا في مواجهة صف الشرك والوثنية والالحاد، ولولا موقف يهود الجزيرة العربية من ناحية، وموقف الطغاة الحاكمين في أوساط النصارى والمجوس، لوجدت هذه الدعوة آذاناً صاغية في أوساط أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس والصابئة.

ويؤكد هذا الفهم التعاطف النفسي والروحي الذي كان يشعر به المسلمون تجاه أهل الكتاب، وخصوصاً النصارى منهم، كما تشير إلى ذلك القصة التي تشير اليها الآية في أول سورة الروم: ﴿**الم ۞ غُلِبَتِ الرُّوم ۞ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُون ۞ فِي بِضْعِ سِنِينَ**...﴾[٢]، حيث يذكر التأريخ أنَّ المشركين أظهروا الشَّماتة وأثاروا الشبهات حول الإسلام، عندما تعرض الروم إلى هزيمة على أيدي الفرس، حيث كانوا يُصنَّفون إلى جانب الوثنيين لعبادتهم النار بخلاف الروم النصارى.

وكذلك القصة التي تحدثنا عن موقف ملك الحبشة تجاه المسلمين ورفضه لطلب المشركين تسليم المسلمين إليهم، وبعد ذلك الرعاية الخاصة التي وجدها المسلمون في الحبشة، كما يؤكِّد ذلك تعايش أهل الكتاب بشكل

---

(١) الحديد: ٢٧.

(٢) الروم: ١ - ٤.

عام، وخصوصاً النصارى، فهم مع المسلمين في مختلف أدوار الدولة الإسلامية وأقطارها، بحيث كانت تتم الرعاية لهم والتعايش معهم أحياناً اكثر من رعاية بعض فرق المسلمين المعروفة.

وهذا الفهم يعرض علينا في هذا العصر موقفاً سياسياً وثقافياً واجتماعياً تجاه أهل الكتاب، وخصوصاً النصارى منهم في العالم المسيحي والكنائس المختلفة المتعددة، وضرورة التمييز بين الموقف الاستعماري أو الصليبي لهذا العالَم والحقيقة الدينية والثقافية، وبالتالي السعي إلى تبيين القواسم المشتركة، ومعالم الوحدة الحقيقية، كما صنع القرآن الكريم ذلك في الصدر الأول، فإنَّه لم يخلط بين المواقف الحاقدة لبعض أهل الكتاب وكذلك الانحرافات العقائدية والأخلاقية والسياسية، والمواقف المتعاطفة والأفكار المشتركة.

ويمكن الانطلاق في ذلك من منطلقين واقعيين في هذا العصر:

الأول: منطلق الإيمان بالله والقضية الروحية والمعنوية التي تمثل قضية مشتركة.

الثاني: قضية حقوق الإنسان، حيث جاء الإسلام بالكثير من هذه الحقوق، بل تقدم البشرية في مجال طرحها والاهتمام بها وتطويرها، وكانت الرسالة الإسلامية دعوة عالمية ذات طابع سياسي إنساني جهادي لإحقاق هذه الحقوق.

الفصل الثاني

الوحدة
في المجتمع الإسلامي

بعد أن تناولنا في البحث السابق ظاهرة الاختلاف والوحدة في التأريخ الإنساني، وتفسير القرآن الكريم لهاتين الظاهرتين وأسبابهما وكيفية معالجتهما إنسانياً، يحسن بنا أن نتناول موضوع الوحدة والاختلاف في المجتمع الإسلامي، وفي ظل العقيدة الآلهية.

وبهذا الصدد سوف نتناول هذا الموضوع من خلال الأبعاد الثلاثة التالية:

١) الأُسس التي وضعها القرآن الكريم لوحدة المجتمع الإسلامي، بحيث تقوم هذه الوحدة وتثبت إذا توفرت هذه القواعد والأركان الأساسية لها.

٢) الوسائل التي استخدمها القرآن الكريم، ووضعها أمام النبيﷺوبني الإنسان، والتي تضمن بقاء هذا البنيان الإلهي واستمراره والمحافظة عليه، وصيانته وتحقيقه.

٣) النتائج والآثار التي تترتب على قيام الوحدة وتحقّقها في المجتمع الإسلامي.

البعد الأول: اسس الوحدة الإسلامية

مِنْ خلال مراجعة سريعة للقرآن الكريم، تظهر أمامنا مجموعة من الأُسس والمنطلقات الرئيسية للوحدة في المجتمع الإسلامي.

الأساس الأول: عقيدة التوحيد

إنَّ الإيمان بالإله الواحد وما يستلزمه من الايمان بالغيب والملائكة والكتب والأنبياء واليوم الآخر، يمثل أهمّ الأُسس التي تقوم عليها الوحدة في المجتمع الإسلامي؛ لأنَّ نظرية التوحيد هي نظرية وحدوية، بعد أن يكون مركز النظام التكويني والتشريعي هو الأُمّة الواحدة، كما أنَّ الناس والمخلوقات جميعاً تخضع وتسبح بحمد هذا الإله الواحد، وهو الذي يملك يوم الدين والجزاء من ثواب وعقاب، ويأخذ للمظلوم ظلامته، وينتقم من

الظالم، ويحقق الميزان والقسط بين الناس، من خلال اليوم الآخر:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[2].

ومن هذا المنطلق نجد القرآن الكريم، أكَّد على هذا المفهوم في تصوره للوحدة بين المسلمين، ووضع صورتها في هذا الإطار، إذ ليس المهمّ في نظر القرآن الكريم والإسلام هو مجرد اجتماع المسلمين واتفاقهم على شيء أو أشياء، بل المهم أن تكون هذه الوحدة والاتفاق في الله ومن أجل الله وفي سبيل الله.

ويمكن أن نلاحظ ذلك جلياً في المشاهد القرآنية التالية:

أ) مشهد الوحدة من خلال اعتصام جميع المسلمين بحبل الله سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۞ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ...﴾[3].

وهذا المشهد يؤكده مشهد آخر وهو التمسك بالعروة الوثقى:

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

ب) مشهد تأليف القلوب وانسجامها بعضها مع البعض الآخر، من

---

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) الشورى: ١٣.

(٣) آل عمران: ١٠٢ - ١٠٣.

(٤) البقرة: ٢٥٦.

خلال العامل الغيبي المتمثل بالنّعمة الآلهية والتأييد والنصر الرّباني.

﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾[1].

ويؤكّد القرآن الكريم هذه الحقيقة عندما يشير إلى الأوضاع الجاهلية التي كان عليها الناس، بحيث كان من المستحيل إجتماعياً أنْ يتحقق هذا التآلف بالوسائل المادية:

﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِين ۞ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

ج) مشهد الأُمّة الواحدة، بالرغم من اختلاف أزمنتها وتأريخها ولغتها وأمكنتها وترابطها في العقائد والمفاهيم والأهداف والغايات والوسائل، لأنَّها كانت تعبد الإله الواحد، وتؤمن بكتبه ورسالاته، كما نلاحظ ذلك في المشاهد التي يُقدِّمها القرآن الكريم عن الأنبياء في مختلف العصور ووحدتهم، وبالخصوص عندما يتحدث عنهم في سورة الأنبياء والمؤمنين، حيث ختم تلك المشاهد من رسالاتهم ومعاناتهم مع أقوامهم بقوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[3].

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[4].

حيث يتحدث القرآن بعد هذا المشهد عن حالة التقطيع إلى الأحزاب

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) الأنفال: ٦٢ - ٦٣.

(٣) الأنبياء: ٩٢.

(٤) المؤمنون: ٥٢.

والجماعات بدون هذا المبدأ الإلهي.

د) مشهد البراءة والعداوة والبغضاء بين أبناء الاسرة الواحدة والقوم الواحد، بسبب الكفر بالله تعالى وعدم الإيمان به:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(١).

وكذلك الآية الأخيرة من سورة المجادلة وهي قوله تعالى:

﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٢).

الأساس الثاني: الطاعة للرسول ﷺ

تعتبر الطاعة للرسول ﷺ والالتزام بأوامره وتعليماته وأحكامه، واتِّباع مواقفه وقراراته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية والقضائية في الدرجة الثانية من حيث الأهمية في تحقيق وحدة المجتمع الإسلامي، فضلاً عن الآثار الروحية والمعنوية التي تترتب عليها.

---

(١) الممتحنة: ٤.

(٢) المجادلة: ٢٢.

وهذه (الأهمية) تنبع من مجموعة من العوامل والمنطلقات العقائدية والأخلاقية والمصالح السياسية والقضايا الاجتماعية، ويمكن أن نشير بهذه العُجالة إلى بعضها:

أ) إنَّ الرسول هو المُبلِّغ للرسالة، والناطق بالوحي الإلهي:

﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**...﴾[1].

فتُمثِّل طاعته طاعة الله سبحانه وتعالى، والإيمان به إيماناً بالرسالة الآلهية، فهو الخليفة الآلهية في الحياة المادِّيَّة:

﴿**مَّنْ يُطعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً**﴾[2].

﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا من رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيماً**﴾[3].

ب) إنَّ الرسول يمثل في النظرية الإسلامية جانب الإمامة إلى جانب النّبوّة والبلاغ، ومعنى ذلك أنَّ طاعة الرسول تمثل التزاماً في أحد جوانبها بالكيان السياسي الإسلامي، وهذا يعني أهمية الدَّور الذي يعطيه القرآن والإسلام للكيان السياسي في المجتمع، والذي يُمكِّن الرسول من القيام بمجموع مهماته الأساسية في المجتمع الإنساني، وبطبيعة الحال ينسحب هذا المبدأ على جميع الحالات الأُخرى للكيان السياسي الإسلامي الشرعي:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ منكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ**

---

(١) النجم: ٣ - ٤.

(٢) النساء: ٨٠.

(٣) النساء: ٦٤.

الآخرِ ذَلكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْويلا ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ من قَبْلِكَ يُريدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعيدًا ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافقينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۞ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْديهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفيقًا ۞ أُولَئكَ الَّذينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا في قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ في أَنفُسهِمْ قَوْلاً بَليغًا ۞ وَمَا أَرْسَلْنَا من رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحيمًا ۞ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْليماً﴾[1].

فإنَّ هذه الآيات الكريمة تتحدث عن جانب الدولة في شخصية الرسول، وتذْكر بشكل واضح بأنَّ هذه الطاعة لها دور عظيم في توحيد المجتمع الإسلامي، وحل النزاعات والخلافات فيه.

كما توكِّد آيات أُخرى عديدة تتناول قضية الأعمال السياسية المضادة للنظام الإسلامي، والتي يطلق عليها القرآن الكريم اسم (النِّفاق) وعلى القائمين بها (المنافقين)، أهميَّة الطاعة في معالجة تأثير هذه الحالة في تخريب وحدة المجتمع الإسلامي، سواء على مستوى إيجاد المناعة من وجود هذا المرض، أم مستوى مقاومته والقضاء عليه، حيث يصفهم القرآن الكريم بالصدود والإعراض والتولي:

---

(١) النساء: ٥٩ - ٦٥.

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۞ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۞ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[1].

ج) إنَّ مجالات طاعة الرسول متحركة ومتعددة ومعقدة تتداخل فيها المصالح الاجتماعية العامّة مع الأهواء الفردية الخاصة، والقضايا اليوميَّة الآنيَّة مع القضايا ذات الطابع المستمر الثابت، بالإضافة إلى مشاكل الأمزجة المتعددة، والآراء والاجتهادات المختلفة، والأوضاع النفسيّة والرواسب العقائدية والفكرية والأخلاقية، والمؤثرات والضغوط الاجتماعية والاقتصادية، هذه المجالات والأمور التي تفرض المزيد من الاختلاف والتباين والتناقض والتضاد في المواقف، والتي لا يمكن معالجتها إلاّ مِنْ خلال القوانين والضوابط، وأساليب الفصل والحكم أو الردع، وهذا إنَّما يتحقق كلّه من خلال النظام والتشريعات المتحركة والمواكبة لحركة المجتمع وتفاعلاته، وهذا هو دور ولي الأمر والحكومة، حيث يمكن للقوانين أنْ توحد

(١) النور: ٤٧ - ٥٤.

المجتمع الإنساني وتحفظ تماسكه وتلاحمه، ومن هذه المنطلقات نجد هذا التأكيد الواسع في القرآن الكريم على دور الطاعة للرسول، بحيث قُرِنَت في آيات كثيرة بطاعة الله تعالى، سواء على مستوى الأوامر الآلهية، أم على مستوى الدعوة إليها من قبل الرسل أنفسهم، وإرشادهم الناس عندما كانوا يدعونهم إلى تقوى الله وطاعتهم: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾[1]، أم على مستوى تقويم هذه الطاعة، وبيان قيمتها وأهميتها والآثار المترتبة عليها.

وقد كان أحد الآثار المهمَّة لهذه الطاعة التي صرح بها القرآن الكريم، هو أنَّها تحقق الوحدة بين المسلمين، وتعالج أسباب الخلاف والنزاع، كما عرفنا ذلك في بعض الآيات السابقة، وكذلك في: ﴿**وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ...**﴾[2].

﴿**وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾[3].

الأساس الثالث: رعاية القيادة الإسلامية للأمَّة

إنَّ المركز المهم الذي تتمتع به القيادة الإسلامية في المجتمع الإسلامي، يُؤهِّل هذا المنصب القيام بدور كبير في تحقيق الوحدة بين المسلمين، لما عرفنا من أنَّ هذا الموقع القيادي يمثل أحد الأُسس الهامَّة في الوحدة الإسلامية،

---

(١) آل عمران: ٥٠، الشعراء: ١٠٨ ، ١١٠، ١٢٦، ١٣١، ١٤٤، ١٥٠، ١٦٣، ١٧٩؛ الزخرف: ٦٣.

(٢) الأنفال: ٤٦.

(٣) النساء: ٨٣.

وفي الإطار والضوابط والقوانين التي تنتظم فيها هذه الوحدة، وحينئذ تصبح في غاية الأهمية رعاية هذا الموقع لهذه العلاقات وتحويلها من علاقات جامدة وجافة إلى علاقات روحية وعاطفية تتسم بالطراوة والحب والمودة والمشاعر الإنسانية الخيرة، حيث تكون قادرة على تحقيق آثارها في حفظ الوحدة واستمرارها وبقائها، وهذا ما أشار اليه القرآن الكريم بشكل واضح في بعض الآيات:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(١).

ومن هنا نجد القرآن الكريم يتحدث عن هذا الخُلُق العالي للرَّسول ﷺ في قوله تعالى:**﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾**(٢)، وفي وصفه لرسول الله ﷺ: **﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**(٣).

كما أنَّ الله سبحانه أدَّبَ رسوله ﷺ بهذا النوع من الأدب الرسالي الذي يمكنه أن يحقق هذا الهدف:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(٤).

وعلَّم رسوله الاستغفار للمؤمنين كما علَّم المسلمين أنفسهم الطريق لهذه المغفرة، حتى تتطور هذه العلاقة بين الأُمّة والقيادة:

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) القلم: ٤.

(٣) التوبة: ١٢٨.

(٤) الأعراف: ١٩٩.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيماً﴾[1].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

الأساس الرابع: الأُخوّة الإيمانية

إنَّ الأُخوّة الإيمانية تمثل بنظر القرآن الكريم إطار الوحدة الإسلامية؛ لأنَّها تعطي هذه الوحدة شكلها الاجتماعي وقيمتها الإنسانية، لأنَّ الوحدة بين الأشياء المتعددة تحتاج إلى إطار واحد يجمعها، فأمَّا العِرْق والجنس، أو اللُّغة والقوم، أو الجغرافيا والأرض والتراب، أو المصالح والمنافع، أو القيم والمُثُل الإنسانية، والنظرية القرآنية في هذا الأطار الواحد تنطلق من هذا التصور الذي يقول:

إنَّ البشرية كلّها من أصل واحد: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى﴾[3]، فهي متَّحدة في أصل وجودها، كما أنَّ المجتمع الإنساني كان واحداً باعتبار وجود هذا الأصل له، وهذه العلاقة الرحمية:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ

---

(١) النساء: ٦٤.

(٢) النور: ٦٢.

(٣) الحجرات: ١٣.

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيه...﴾[١].

والاختلاف بين بني الناس بسبب الظروف الحياتية والتعدد الشعوبي والقبلي، إنَّما هو اختلاف طارىء، يُراد منه تنظيم الحياة الإنسانية والاجتماعية:

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[٢].

والاختلاف بسبب الأهواء وتنازع المصالح والمنافع وتدافع الغرائز والنزعات يمكن حَلّه عن طريق الهدى والرسالات والنبيين، والمبشرين والمنذرين...

ومن خلال الالتزام بهذه الحلول والأحكام والشرائع والحدود يتميز الإنسان المصلح من المفسد، والحسنة من السيئة:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٣].

كما أنَّ الاختلاف بسبب العقائد والدين، أو الشيطان والأوثان له مبرراته الواقعية التي تميز الإنسان عن الإنسان الآخر، وتقسِّم الناس إلى صنفين حقيقيين:

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ﴾[٤].

وانطلاقاً من هذه النظرة كانت العلاقة الإيمانية والأُخوّة الإسلامية: **﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾**[٥]، هي العلاقة التي تُمثِّل الوحدة الحقيقية بين

---

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) الحجرات: ١٣.

(٤) السجدة: ١٨.

(٥) آل عمران: ١٩.

بني البشر جميعاً على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأقوامهم وقبائلهم وأماكن سكناهم، ومن هذا المنطلق نجد القرآن الكريم يقدِّم هذا الإطار ضمن الأبعاد والخطوات التالية:

١) طرح مفهوم الأُخوّة الإسلامية بعيداً عن كل أسباب الفرق والاختلاف، غير الفرق والاختلاف على أساس التوحيد لله والالتزام بحدود الله وشرائعه:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُم﴾(١).

﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِه إِخْوَاناً﴾(٢).

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾(٣).

وفي تحوّل علاقة العداء القائم بين المشركين والمسلمين إلى حالة الأُخوّة بمجرد التوبة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة:

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيم ۞.... لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ۞ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٤).

ويبدو من مفهوم هذا الطرح، ومن بعض الإشارات القرآنية، أنَّ هذا

---

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) الحجرات: ١٢.

(٤) التوبة: ٥ – ١١.

الطرح يقوم على أساس الربط بين علاقتين وإعطاء أحداهما دور الأُخرى، وهما:

أ. العلاقة الإنسانية ‹‹التوالدية›› ذات الطابع التعددي، وهي العلاقة بين الإنسانين الذين يكونان من أب واحد أو من أم واحدة قريبين أو بعيدين، والتي هي أقوى رابطة إنسانية بشرية بين متعددين يربطهما أصل واحد.

ب. العلاقة بين بني الإنسان التي تقوم على أساس الدين والمعتقد، والالتزامات والحدود الآلهية، التي جاءت بها الكتب والرسالات المُنزّلة.

فإنَّ القرآن الكريم لم يستخدم هذا المفهوم إلاّ في هذين الصنفين من العلاقة، وربط في بعض الأحيان بينهما، وانتقل من أحداهما إلى الأُخرى، تعبيراً عن هذه الوحدة الاجتماعية[1]:

﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُم ﴾[2].

---

(١) لقد استخدم القرآن الكريم كلمة الأخ، في الأخ للأبوين وللأب والأم الواحدة، وفي موارد كثيرة، كما في قصة موسى ويوسف وابني آدم وغيرها، كما استخدم الأخ في القوم كما في مثل قوله: ﴿**واذْكُر أَخَا عادٍ إِذْ أَنْذَر قومه**﴾، الأحقاف: ٢١، وغيرها من الموارد المتعددة، أو:﴿**الذين قالُوا لإِخْوانِهم وقعدوا لو أَطاعونَا ما قُتِلُوا**﴾، آل عمران: ١٦٨، وفي موارد الأُخوة في الدين سواء كانت إسلامية كما في الآيات المذكورة في المتن، أو غير إسلامية كما في مثل: ﴿**إن المبذرين كانُوا إِخْوان الشياطِين**﴾، الاسراء: ٢٧، ﴿**وإِخْوانُهم يمدونَهم فِي الْغَي ثُم لا يقْصِرون**﴾ الأعراف:٢٠٢، ﴿**أَلم تَر إِلى الذين نَافَقُوا يقُولُون لِإِخْوانِهم الذين كفَروا**﴾، الحشر:١١، ومن خلال هذه الموارد يمكن أن نعرف أن مفهوم الأُخوة إما أن يراد منها الأُخوة الرحمية مع التوسعة فيها، بحيث تشمل الأب البعيد نسبياً، بحيث تبقى الارتباطات القبلية والقومية القريبة قائمة، أو الأُخوة الدينية والعقائدية.

(٢) الأحزاب: ٥.

ومِنْ أجل إعطاء الصورة الرائعة والكاملة لهذا المفهوم في العلاقة الإنسانية عندما تنعكس على المجتمع الإنساني الصالح، نجد القرآن الكريم يطلق هذا المفهوم لتصوير العلاقة القائمة بين بني الإنسان في مجتمع الجنّة الذي يمثل المجتمع التكاملي الأفضل في مسيرة الإنسان، عندما يصفهم في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ۞ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۞ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾(١).

٢) تأكيد قاعدة هذه الأُخوّة بتطوير العلاقة العقائدية والايديولوجية إلى علاقة ذات بُعد ‹‹نفسي›› و‹‹روحي›› و‹‹عملي››، من خلال التعبير عنها بعلاقة ‹‹الولاء››، وتترتب عليها حقوق وواجبات:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢).

وقد جاء التأكيد على هذا المفهوم في آيات عديدة من القرآن الكريم، ولعلَّ أكثرها تفصيلاً في هذا المجال قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ

---

(١) الحجر: ٤٥ - ٤٨.

(٢) التوبة: ٧١.

فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۞ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(١).

بل قُدِّمت هذه العلاقة الإيمانية في القضية المعنوية على العلاقات الرَّحميّة الأُخرى، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِه...۞ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ...﴾(٢).

كما قُدِّمت على الاستحقاقات الاجتماعية والتأريخية مثل قوله تعالى:

﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(٣).

٣) إنَّ هذا الولاء بين المؤمنين، ينطلق من الولاء لله تعالى ولرسوله، ويرتبط به، وعلى أساسه تتكوّن الكتلة المسلمة في حركتها السياسية والاجتماعية، فالله سبحانه هو مولى المؤمنين نعم المولى ونعم النصير:

﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾(٤).

---

(١) الأنفال: ٧٢ - ٧٥.

(٢) آل عمران: ٦٥ - ٦٨.

(٣) الأنفال: ٣٤.

(٤) البقرة: ٢٥٧.

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[1].

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۞ وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[2].

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾[3].

بل إنَّ الملائكة تنزل على هؤلاء المؤمنين، وتتحول إلى أولياء لهم، باعتبار هذه العلاقة الايمانية بالله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ...﴾[4].

كما تمَّ التأكيد بشكل واسع في القرآن الكريم على نفي ولاء الله تعالى للكافرين والتبري منهم، بل نفي كل ولي لهم من دون الله في الدنيا والآخرة:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ...﴾[5].

---

(١) الحج: ٧٨.

(٢) المائدة: ٥٥ - ٥٦.

(٣) محمد: ١١.

(٤) فصلت: ٣٠ - ٣١.

(٥) العنكبوت: ٤١.

﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[١].

﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيراً﴾[٢].

﴿وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾[٣].

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[٤].

٤) الدعوة إلى ترك جميع الولاءات الأُخرى التي لا ترتبط بالولاء الإيماني، سواء العائلية أم القَبَلية منها، أم الجماعات الدينية الأُخرى، فضلاً عن الكفار والمشركين، وهذا الأمر يجعل محور الولاء الأصلي في الحياة الاجتماعية والسياسية هو الولاء الإيماني، أي: ولاء المؤمن لله تعالى وللرسول وللمؤمنين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِيناً﴾[٥].

بل يشتد القرآن في هذا الموضوع، ويتصاعد التأكيد إلى المنع المطلق:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٦].

ويتّسع هذا النهي ويشْتدّ حتى يشمل الآخرين أيضاً بل كل الحياة الإنسانية:

---

(١) الشورى: ٨.

(٢) الفتح: ٢٢.

(٣) التوبة: ٧٤.

(٤) الأحزاب: ٦٥.

(٥) النساء: ١٤٤.

(٦) المائدة: ٥١.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(١).

ويُقيّم القرآن الكريم هذه الدرجة العالية من الولاء لله وللمؤمنين بجانبيها الإيجابي والسلبي، والتي تشكّل الإطار الحقيقي للجماعة الصالحة الموحدة في قوله تعالى:

﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٢).

فإنَّ هذه الآية الكريمة تُكْمل الصورة في الآيات الكريمة ‹‹٥١ – ٥٦›› التي وردت في سورة المائدة، والتي أشرنا اليها آنفاً.

٥) ولم يترك القرآن الكريم قضية هذا المضمون للعلاقة المتمثل بالولاء أمراً عاماً، بل تحدث عن أبعاده ومواصفاته المختلفة، حيث تمَّت الإشارة في القرآن الكريم إلى ضرورة أنْ يتّصف هذا الولاء بالحب والإيثار

---

(١) التوبة: ٢٣ - ٢٤.

(٢) المجادلة: ٢٢.

والرحمة والتواضع والنُصرة، ومن هنا يتحول هذا الولاء من مجرد عاطفة قلبية إلى مضمون روحي واجتماعي وسياسي يصلح لأنْ يقوم على أساسه المجتمع الإسلامي الواحد ويمثِّل رباط الوحدة الإسلامية القوية، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً...﴾[٢].

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٣].

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ منكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ...﴾[٥].

﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾[٦].

﴿فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ

---

(١) الحشر: ٩ - ١٠.

(٢) الفتح: ٢٩.

(٣) المائدة: ٢.

(٤) آل عمران: ١١٠.

(٥) المائدة: ٥٤.

(٦) الأنفال: ٧٢.

هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].

﴿ثم جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾[٢].

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾[٣].

الأساس الخامس: القاعدة الأخلاقية

تُشكِّل القضية الأخلاقية في النظرية الإسلامية قاعدة أساسية في مجمل التصور الإسلامي تجاه مختلف قضايا العقيدة والعلاقات الاجتماعية والسياسية، والتكامل الإنساني الجماعي والفردي، في الدنيا والآخرة، بل يمكن إنْ نقول أنَّ محتوى النظرية الإسلامية العام، إنَّما هو محتوى أخلاقي، كما ورد في ذلك الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: ((**إنَّما بُعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق**))[٤].

ولذلك نجد القرآن الكريم يتحدث عن الأخلاق ليس في علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان، وإنَّما في علاقة الإنسان بربه بمختلف جوانبها، وفي علاقة الإنسان بالكون، ومسؤوليته تجاه نفسه، وفي مستقبل حياته.

ومن هذا المنطلق يمكن أن نعرف أنَّ القاعدة الأخلاقية تشكل أرضية أساسية لقضية الوحدة الإسلامية، وبالإضافة إلى هذا الجانب نجد القرآن الكريم يتحدّث عن القضية الأخلاقية، في مجال وحدة المجتمع الإسلامي، ورسم معالم طبيعة العلاقات القائمة فيه، بشكل خاص، وبالشكل الذي

---

(١) الأعراف: ١٥٧.

(٢) آل عمران: ٨١.

(٣) الشورى: ٣٩.

(٤) مستدرك الوسائل٢: ٢٨٢.

يجعله منيعاً عن تعرضه لمختلف أسباب الخلاف وعوامله، ويمكن أن نجد معالم القضية ‹‹الأخلاقية›› فيما يتعلق بموضوع الوحدة الإسلامية في النقاط التالية:

أ) العهد والميثاق

لقد أكَّد القرآن الكريم على ضرورة الوفاء بالعهد، والالتزام بالميثاق بشكل عام في جميع المجالات، ومع ذلك جاء التأكيد على ذلك في العلاقات الاجتماعية والسياسية كقضية أساسية وحتى مع الأعداء، فضلاً عن المسلمين والمؤمنين، الأمر الذي يعني أنَّ هذا الجانب الأخلاقي، يمثِّل قضية مهمة في حفظ وبقاء وحدة المجتمع، ويمكن أن نتبيَّن هذه الصورة بأبعادها المختلفة من خلال هذه الآيات الكريمة:

﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُون ۞ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُون ۞ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلكِن يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُون ۞ وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيم﴾[1].

---

(١) النحل: ٩٠ - ٩٤.

﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

﴿... ۞ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۞... إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ...﴾[2].

فإنّها توضح أهمية العهد في العلاقات السياسية الدولية.

ب) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يُعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهمّ القضايا الأخلاقية التي تحفظ وحدة المجتمع والأُمّة، كما يعبر عملياً عن الإحساس بالمسؤولية تجاه المجتمع والأُمّة ضمن الإطار الواحد، والتكامل في الحركة والالتزام.

ومن هذا المنطلق جاء التأكيد على هذا الأمر في سياق الأمر بالوحدة وعدم التفرق في التعبير عن ذلك بالأُمّة الواحدة:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم ۞... كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

---

(١) الأنعام: ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) التوبة: ٤ – ٧.

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ...﴾[١].

ولقد جاء وصف الجماعة الإسلامية في وحدتها وترابطها وولائها بهذا الوصف في عدَّة موارد من القرآن الكريم:

﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[٢].

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ...﴾[٣].

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ...﴾[٤].

ج) الحكم بالقسط والعدل

لاشكَّ أنَّ القسط والعدل في الأُمّة يمثل قاعدة أخلاقية وسياسية تحفظ وحدة المجتمع، ولذلك نجد القرآن الكريم يؤكِّد على هذا الجانب في حفظ وحدة المجتمع، والمنع من وقوع الخلافات أو تصاعدها:

﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيراً﴾[٥].

---

(١) آل عمران: ١٠٤ – ١١٠.

(٢) الحج: ٤١.

(٣) التوبة: ٧١.

(٤) الأعراف: ١٥٧.

(٥) النساء: ٥٨.

حيث جاءت هذه الآية الكريمة كتمهيد لبيان ما ذكرته الآية التالية في الرّد إلى الرسول ﷺ عند التّنازع:

﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّه وَالرَّسُولِ﴾[١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء للّه وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[٢].

﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٣].

﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ﴾[٤].

د) التعاون على البر والتقوى

لقد حرص القرآن الكريم في سبيل تحكيم الوحدة بين أبناء الأُمّة وأفراد المجتمع الإسلامي، أن يبني العلاقات القوية ذات الأهداف الصالحة، ومن هنا جاء التأكيد على عدة قضايا مهمة في هذا المجال:

منها: التأكيد على التعاون على البر والتقوى:

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾[٥].

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) النساء: ١٣٥.

(٣) الممتحنة: ٨.

(٤) المائدة: ٢.

(٥) المائدة: ٢.

ومنها: التأكيد على التواصي بالحق والصبر والمَرْحَمة:

﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[١].

﴿**ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ**﴾[٢].

ومنها: النَّهي عن الإثم والعدوان والإفساد في الأرض، ووضع عقوبات رادعة لهذه المخالفات المضرة بالوحدة بين المسلمين، والتي تنتهي إلى التفرّق والتّنازع والاختلاف:

﴿**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[٣].

ويبدو من القرآن الكريم أنَّ أوضح مصاديق الفساد في الأرض الذي جاء النهي عنه في القرآن في موارد عديدة: هو زرع الشِّقاق والاختلاف والفرقة في المجتمع.

ولذلك جاء هذا القدر من التأكيد والردع عن هذا الإفساد:

﴿**وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٤].

﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[٥].

﴿**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ**

---

(١) العصر: ٣.

(٢) البلد: ١٧.

(٣) البقرة: ١٩٠.

(٤) الأعراف: ٥٦.

(٥) القصص: ٤.

لاَ يُحبُّ الفَسَادَ﴾[1].

﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

هـ) إشاعة الخير والبر

إنَّ إشاعة الخير والبر والصلاح يمثِّل بُعداً آخر في الأرضية الأخلاقية، ولعلَّ هذا المفهوم القرآني من أوسع المفاهيم والمصطلحات القرآنية استعمالاً في مجال العمل الأخلاقي، فالإيمان بالله، واليوم الآخر، والعبادة، من الصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، والجهاد في سبيل الله، والانفاق، والبذل، والصدقة، والمغفرة، وقول المعروف، والاصلاح بين الناس، والصبر.... إلى غير ذلك من القضايا المرتبطة بالتكامل البشري، والأخلاق العالية والطاعة لله تعالى، كل ذلك من أبواب الخير، ولذلك جاء النداء القرآني بالدعوة إلى الخير في آيات عديدة، تقدمت الإشارة إلى بعضها، بل إنَّ بعضها جاء في سياق الحديث عن الاختلاف بسبب اتِّباع الهوى، وإنَّ الحل الفاصل إنَّما هو الاستباق إلى الخيرات:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ

---

(١) البقرة: ٢٠٥.

(٢) المائدة: ٣٣.

تَخْتَلِفُونَ﴾[١].

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِين﴾[٢].

البعد الثاني: وسائل تحقيق الوحدة الإسلامية

لم يكتف القرآن الكريم بتشخيص الأُسُس التي تقوم عليها الوحدة في المجتمع الإسلامي، بل اهتمَّ إلى جانب ذلك بالأساليب والمناهج والوسائل التي يمكن أن تُتَّبع لتحقيق هذه الوحدة، وبهذا الصدد لابُدَّ أنْ نشير إلى أنَّ الأُسُس التي تحدثنا عنها في البعد الأوّل، تمثل في جانب آخر منها وسائل لتحقيق الوحدة أيضاً، ولكنها وسائل وقائية تمنع أو تساهم في المنع من حدوث الاختلاف والتنازع، فالطاعة لله وللرسول ﷺ والرَّد إليه، وكذلك رعاية القيادة للأُمّة والتعامل معها بأسلوب اللين والرحمة، كلها وسائل لحفظ الوحدة الإسلامية، وأيضاً من هذه الوسائل هو الحكم بالعدل والقسط بين الرّعية، أو في معالجة الادعاءات المتضادّة في الحياة الاجتماعية، وأمّا الوسائل التي نريد الاشارة اليها في هذا البُعد، فهي وسائل علاج في حالة ظهور الاختلاف والنزاع، فهي في الحقيقة قواعد وضوابط ومناهج عملية وضعها الإسلام للمعالجة بعد ظهور الخلافات في المجتمع الإسلامي سواء على المستوى الفردي أم الجماعي.

وفي هذا المجال نشير إلى مجموعة من الوسائل التي تحدث عنها القرآن الكريم في مقام تحقيق الوحدة والوفاق بين أبناء المجتمع الإنساني والإسلامي.

---

(١) المائدة: ٤٨.

(٢) الأنبياء: ٧٣.

الأول: الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة

في بحث الوحدة والاختلاف عرفنا بأنَّ الناس كانوا أمّة واحدة، ثم كان الاختلاف بينهم بسبب الهوى وتضاد المصالح والمنافع والأهواء الخاصة بينهم، كما أنَّه في مرحلة متأخرة حصل الاختلاف بسبب عدم وضوح الرؤية، فجاءت الرسالات الآلهية والأنبياء لحلِّ هذا الخلاف والنزاع، ثم جاءت مرحلة أُخرى فكانت الاجتهادات الخاطئة في تفسير الدين، وحصل الاختلاف بسبب ذلك.

وفي كل هذه المراحل كان هناك دور للطّغيان والطّغاة في تمزيق شمل الناس، وزرع الاختلافات بينهم.

وقد اعتمد القرآن الكريم والإسلام العظيم في معالجة كل هذه الحالات إلى أساليب ثلاثة رئيسية:

أ. دعوة الإنسان إلى الرجوع إلى العقل والتدبّر والتفكير.

ب. الاعتماد في الوصول إلى الحقائق على الحجّة والدليل والبرهان.

ج. الجهاد في سبيل الله لمواجهة الطغاة والجبابرة الذين يستخدمون القوة لقهر الناس على الضلال.

ومن خلال هذه النظرة الكلية إلى موضوع الاختلاف، ومعالجة أسبابه نجد دور الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، فإنَّها تأتي كأسلوب في مخاطبة العقل، وإيجاد أرضية التفكير والتدبّر، حيث يمكن السيطرة على العواطف والمشاعر والأحاسيس، ويتغلب العقل على الهوى، وجانب المصلحة الحقيقية الدائمة والعامّة المتمثل بمصالح المجتمع والإنسان في مستقبل حياته الأخروية على جانب المصلحة الآنية للفرد:

﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ...﴾[١].

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٢].

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِيناً﴾[٣].

الثاني: الصلح والمساعي الحميدة

وتأتي - أيضاً - في صراط الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة المساعي الحميدة التي يمكن أن يبذلها العقلاء والحكماء والمخلصون في سبيل تحقيق الصلح والوفاق والانسجام بين الأطراف المختلفة، فإنَّ هذه المساعي تصب في نفس الاتجاه الذي تحققه الموعظة الحسنة في مخاطبة العقل، وتهدئة الخواطر، وممارسة الضغوط الأدبية والأخلاقية والنفسية للسيطرة على المشاعر والأحاسيس، وقد أكَّد القرآن الكريم في عِدَّة موارد على هذا الأسلوب، ودعا لممارسته سواء على مستوى الخلافات ذات الطابع الفردي، كما في مجال الأُسرة، أم الخلافات على المستوى الجماعي عندما تقع بين القبائل والجماعات:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾[٤].

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) فصلت: ٣٤.

(٣) الإسراء: ٥٣.

(٤) الأنفال: ١.

﴿يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾[١].

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيراً﴾[٢].

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...﴾[٣].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٤].

الثالث: العفو والصفح

وإلى جانب الأسلوبين الماضيين يأتي العفو والصفح كأسلوب لحفظ الوحدة، ومعالجة قضايا النزاع والخلاف وأسبابه، ذلك أنَّ الصفح والعفو كما هو قضية أخلاقية كذلك هو أسلوب للمحافظة على الوئام، وإرجاع الأمور إلى أوضاعها الطبيعية، وإعطاء الفرصة مرّة أخرى للعودة إلى الانسجام والتلاحم.

وينطلق هذا المبدأ والأسلوب من مبدأ التوبة والمغفرة الآلهية الذي فتحه الله سبحانه وتعالى لعباده من أجل اعطاء فرصة للعبد لأنَّ يرجع إلى طريق الله والتكامل والإنابة إلى الحق والهدى والصلاح:

﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۞ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِه فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ

---

(١) النساء: ١٢٨.

(٢) النساء: ٣٥.

(٣) الحجرات: ٩.

(٤) الحجرات: ١٠.

لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[1].

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[3].

الرابع: الوقوف في وجه العدوان

إنَّ الطّغيان والعدوان أحد الأسباب المهمة للاختلاف والفرقة، خصوصاً إذا تحوّل إلى حالة اجتماعية عامة من خلال الوضع الثقافي للأُمّة، والممارسة الطويلة في المجتمع، أو من خلال وجود مؤسسة قوية تقوم على الطغيان، كالحاكم الطاغية، أو الجيش، أو الدولة، والذي يؤدي عادة إمّا إلى تمزيق الأُمّة المحكومة نفسها، أو وجود الاختلافات والنزاعات بين أبناء الأُمّة أنفسهم، وهذا ما عرفته البشرية في تأريخها من ظاهرة الحروب والمعارك والاقتتال فضلاً عن الألوان الأُخرى من الطغيان.

وقد تحدَّث القرآن الكريم عن هذا الموضوع، ووضع له المعالجات المناسبة، سواء على مستوى الجماعات والأُمم، أم على مستوى الأُمّة الإسلامية نفسها، فعلى المستوى الاول:

---

(١) الشورى: ٤٠ – ٤٣.

(٢) النور: ٢٢.

(٣) البقرة: ٢٣٧.

أ) قرَّر القرآن الكريم أنَّ الحرب لا يصح أنْ يبدأ بها المسلمون إلاّ دفاعاً عن النفس، ومواجهة للعدوان على الدين والحرمات:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِير ۞ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيز﴾[1].

﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ ۞... الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[2].

ب) اعتبر القرآن الكريم الفتنة، والإخراج من الديار، وممارسة الإرهاب من أجل إجبار الناس على الكفر والانحراف في العقيدة لوناً من ألوان الحرب والعدوان:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ﴾[3].

ج) أعتبر القرآن اضطهاد الإنسان والعدوان على حقوقه الإنسانية الأساسية لوناً من أولوان الحرب غير المُعلنة، والتي تُبرِّر القتال والدِّفاع عن النفس وعن المستضعَفين:

---

(١) الحج: ٣٩ – ٤٠.

(٢) البقرة: ١٩٠ - ١٩٤.

(٣) البقرة: ٢١٧.

﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً﴾[١].

د) أكَّد الإسلام والقرآن الكريم أنَّه إذا انتفت هذه المبررات فلا داعي للحرب، بل لابُدَّ أن يعمّ السِّلم والسلام والهدوء، ما لم تؤكِّد جميع الدلائل على أنَّ العدو يريد أن يستفيد من فرصة السلم للانقضاض مرّة أخرى على المسلمين أو نقض المواثيق والعهود معهم:

﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾[٢].

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِيناً﴾[٣].

كما تعالج الآيات الأربع الأُولى في أوّل سورة التوبة هذا الموضوع بشكل تفصيلي والتي تختم بقوله تعالى:

﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٤].

---

(١) النساء: ٧٥.

(٢) النساء: ٩٠.

(٣) النساء: ٩١.

(٤) التوبة: ١٣.

وأمَّا على مستوى الثاني (الأُمّة الإسلامية) فإنَّ النِّزاعات تعالج في البداية بالعفو أو الصلح والمساعي الحميدة، كما أشرنا سابقاً، فإذا أصرَّ أحد الجانبين على تأجيج الصراع واستمراره فلابُدَّ من النظر إلى الموضوع من خلال قوانين وقواعد القسط والعدل والوقوف حينئذ في وجه المعتدي، وإلى جانب المعتدى عليه، وإيقاف المعتدي عن عدوانه، فإذا بغى على الحق والعدل، فلابُدَّ من قتاله حتى يرجع إلى الحق ويلتزم به.

وقد أوضحت آيتا سورة ‹‹الحجرات›› هذا الموقف بشكل واضح:

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(١).

وفي مجال القضايا والأحوال الشخصية قوله تعالى:

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ آيَاتِ اللّهِ هُزُوًا...﴾(٢).

﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٣).

---

(١) الحجرات ٩ – ١٠.

(٢) البقرة: ٢٣١.

(٣) الشورى: ٤١ - ٤٢.

الخامس: الاعتماد على العلم في معالجة الحوادث

لقد عرفنا أنَّ أحد أسباب التنازع والفرقة هو الاجتهادات الخاطئة والاعتماد على الشبهات والظنون الآثمة، ولذا نجد القرآن الكريم يُعالج هذا السبب من الفرقة والاختلاف بالدعوة إلى اعتماد العلم والبيِّنة في معرفة الحقائق، والنَّهي عن اعتماد الظنون والاحتمالات والشبهات، وأنكر على المشركين والكفار من أهل الكتاب اتِّباعهم للظنون في معالجة القضايا الحياتية المهمّة، ودعاهم إلى الرجوع إلى أهل العلم والذِّكر عند عدم العلم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ...﴾[2].

﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا﴾[3].

﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُون ۞ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ...﴾[4].

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ

---

(١) الحجرات: ٦.

(٢) الحجرات: ١٢.

(٣) الإسراء: ٣٦.

(٤) النحل: ٤٣ - ٤٤.

عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾(١).

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾(٢).

﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٣).

بل اهتمَّ القرآن الكريم في بعض القضايا المهمّة، كالقضايا المالية، والوصايا التي تكون مورداً للنزاعات في كثير من الأحيان، فأمر فيها بالكتابة والاشهاد، منعاً لهذه النزاعات والاختلافات.

وبهذا الصدد جاءت الآية ‹‹٢٨٢›› من سورة البقرة التي تؤكِّد على كتابة الدَّيْن، حيث جاء التأكيد والتّعليل لهذا الحكم بقوله تعالى:

﴿وَلاَ تَسْأَمُواْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ...﴾(٤).

﴿وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ... فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيبًا﴾(٥).

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ...﴾(٦).

---

(١) النساء: ١٥٧.

(٢) البقرة: ٧٨.

(٣) آل عمران: ٦٦.

(٤) البقرة: ٢٨٢.

(٥) النساء: ٦.

(٦) الطلاق: ٢.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُم... ذَلِكَ أَدْنَى أَن يَأْتُواْ بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُواْ أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ...﴾[1].

كما تناول القرآن الكريم قضية الإشاعات والأراجيف التي يبثّها أعداء الأُمّة الداخليين، أو الجهلة وضعاف النّفوس، والتي تُهدِّد المجتمع الإسلامي بالاختلاف والتمزق والضعف، ونجد مثالاً على ذلك في قضية حديث الإفك:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيم ۞ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ۞... إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ... إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

بل إنَّ القرآن الكريم يتَّخذ موقفاً مُشدَّداً من هؤلاء المرجفين وأصحاب الاشاعات، بعد أنْ يشخصهم في طبيعتهم كما جاء في سورة الأحزاب:

﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۞ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ۞ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ

---

(١) المائدة: ١٠٦ – ١٠٨.

(٢) النور: ١١ – ١٩.

﴿تَبْدِيلاً﴾[١].

وهذه الآية الكريمة تناولت موضوعات متعددة عقائدية، واجتماعية، وسياسية، وشخصية، الأمر الذي يعني أنَّ هذا الأسلوب في المعالجة له أهميّة كبيرة تنعكس على مُختلف المجالات ذات العلاقة بالوحدة الإسلامية، وظواهر التنازع والاختلاف.

السادس: التعامل على أساس ظاهر الإسلام

ومن الوسائل التي استخدمها القرآن الكريم لمعالجة النزاع والخلاف، التعامل على أساس ظاهر الإسلام، وعدم التفتيش في العقائد والنيّات، وهذا المبدأ يُعتبر من أهمِّ المبادىء التي يُمكن من خلالها معالجة قضية الاختلافات المذهبية والعقائدية، بين أبناء الأُمّة الإسلامية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[٢].

﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣].

وفي هذه الحال يأتي النّهي عن ‹‹التجسّس›› و‹‹الغيبة›› التي هي عبارة عن كشف عيوب وأسرار المؤمنين فإنَّ ذلك يأتي في صراط التعامل على

---

(١) الأحزاب: ٦٠ - ٦٢.

(٢) النساء: ٩٤.

(٣) التوبة: ٦١.

أساس الظاهر وعدم التفتيش عن العيوب ما لم تتحوّل إلى أعمال ونشاطات تخريبية ضارّة بالمجتمع، وبهذه الطريقة كان يتعامل النبيﷺ مع أبناء المجتمع الإسلامي، وكان فيهم الكثير من المنافقين ومرضى القلوب وضعفاء النفوس، حتى تصاعد نشاطهم الهدّام والمعادي، واتّضحت مواقفهم من خلال المواقف والأعمال، فصرّح القرآن الكريم بالحديث عنهم وعن سلوكهم، كما تُحدّثنا بذلك سورة التوبة.

البعد الثالث: النتائج والآثار

على ضوء الاستعراض السابق للأُسس التي تقوم عليها الوحدة الإسلامية في المجتمع الإسلامي، والوسائل التي وضعها القرآن الكريم لتحقيق هذه الوحدة، يمكن أن نتعرّف على النتائج والآثار التي يمكن أنْ تترتّب على هذه الوحدة، والتي يمكن إجمالها في نقطتين رئيسيتين:

الأولى: إنَّ الوحدة الإسلامية تُحقق القوّة والمنعة للمجتمع الإسلامي، في مواجهة جميع المشاكل والأزمات، التي يمكن أن يتعرض لها المجتمع الإسلامي والجماعة الإسلامية وخصوصاً في مواجهة الأعداء الخارجيّين.

وقد تمَّ التأكيد في القرآن الكريم على أنَّ الوحدة هي مصدر للقوة، وأنَّ الاختلاف والتنازع هو سبب للفشل والضعف، حيث جاء في سورة الأنفال في معرض الحديث عن المعركة الأولى، التي خاضها المسلمون مع المشركين، وهي معركة ‹‹بدر››، حيث كانت نسبة عدد المسلمين للمشركين أقل من الثّلث، بالإضافة إلى تفوّق المشركين على المسلمين في العُدّة والسلاح والتدريب والممارسة، وما حققه الله تعالى لهم من نصر... وعن أهمية الوحدة في هذه المواجهة، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ

تُفْلَحُونَ ۞ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

حيث دعاهم إلى وحدة الكلمة من خلال الطاعة لله وللرسولﷺ ونهاهم عن التّنازع الذي يؤدي حتماً إلى الفشل والضعف وذهاب الرِّيح الذي هو كناية عن ذهاب الصولة والقوّة والدّولة.

كما يبدو من القرآن الكريم أنَّ أحد أساليب العذاب التي ينزلها الله سبحانه وتعالى على الأُمم الضّالة والمنحرفة، هو وقوع النّزاع والخلاف بينها، وتطوّر هذا النزاع إلى الحرب والاقتتال:

﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ**﴾[2].

كما أنَّ القرآن الكريم يتبرأ من القوم الذين تفرَّقوا في الدين والمنهج، بحيث أصبحوا جماعات ممزقة:

﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ**﴾[3].

ويؤكّد ذلك في سورة الرّوم عندما يأمر بالتزام الدين القيِّم والابتعاد عن المشركين الذين تفرَّقوا في دينهم وكانوا شيعاً وأحزاباً، قال تعالى:

﴿**وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ**

---

(١) الأنفال: ٤٥ - ٤٦.

(٢) الأنعام: ٦٥.

(٣) الأنعام: ١٥٩.

حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[1].

وبهذا نعرف مضافاً إلى أنَّ الوحدة هي مصدر وسبب للقوة، فإنَّ الاختلاف يكون سبباً:

أ) لهدر الطّاقات، والضعف، وذهاب الصولة والقوة والدولة، وإشاعة الاضطراب والفساد.

ب) للبُعد من الله تعالى، والغضب الإلهي والبراءة من الجماعة.

ج) لنزول العذاب من الله تعالى، بل هو لون من ألوان العذاب والانتقام.

الثاني: إنَّ الوحدة الإسلامية تُمثِّل نتاجاً طبيعياً للتكامل الإنساني وتعبيراً عن تطور المجتمع الإسلامي وصلاحه، حيث نجد من خلال حديث القرآن الكريم عن اسس الوحدة ووسائلها أنَّ مجتمع الوحدة هو:

أ) مجتمع التوحيد الخالص لله تعالى.

ب) مجتمع القانون والحكم الشرعي الإلهي والطاعة لله وللرسول.

ج) مجتمع العلاقة والارتباط الوثيق، والولاء الصادق بين الحاكم والحكومة، والأُمّة والقيادة.

د) مجتمع علاقات الودّ والحبّ بين المسلمين وتآلف القلوب.

هـ) مجتمع الأخلاق الفاضلة، والتّكامل الروحي والمعنوي.

و) مجتمع الجماعة التي تتبع منهج العقل والحكمة والعلم.

ز) مجتمع الشعور بالمسؤولية الآلهية والإنسانية والتكامل والتضامن في تحمّلها، والجهاد من أجل مواجهة الظلم والعدوان وتحقيق المُثُل والقيم.

ولاشكَّ أنَّ مثل هذه الصورة تمثِّل التكامل الاجتماعي في مسيرة الإنسان،

---

(١) الروم: ٣١ - ٣٢.

فالوحدة الإسلامية ليست مجرد شعار يطرحه المسلمون لتحقيق غاية نبيلة، وخلاص من الأضرار المترتبة على الاختلاف، وإنَّما تمثِّل الوحدة من خلال هذه الرؤية هدفاً إسلامياً وإنسانياً يرتبط بمجمل الأهداف الأساسية للدين وللرسالة الإسلامية، لأنَّ هذه الوحدة لا يمكن أنْ تتحقق بدون هذه الأسباب والعوامل والأُسس، وبدون هذه الوسائل والمناهج، فهي تعبير عن المجتمع الإنساني الفاضل الذي دعى إليه الإسلام، وعمل من أجله الرسول محمد ﷺ، وأهل بيته الطاهرين وأصحابه المنتجبين، وجميع السلف الصالح من المسلمين.

وبذلك تصبح الوحدة ضرورة من ضروريات الحياة الإسلامية، وواجباً شرعياً لجميع المسلمين المخلصين.

الباب الثاني

الوحدة الإسلامية
في نظرية أهل البيت عليهم السلام

عندما نريد أن نتحدَّث عن الوحدة الإسلامية في نظرية أهل البيت عليهم السلام، نحتاج إلى دراسة واسعة وشاملة، لأنَّ هذه القضية من القضايا الأساسية والمهمّة، والتي واجهها أهل البيت عليهم السلام منذ الصدر الأول للإسلام، وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بشكل مباشر، حيث كانت قضيّة خلافة الرسول، وما تَشَعَّب عنها من مسائل مثاراً للخلاف بين الصحابة، وبالأخص بين علي عليه السلام ومؤيّديه من كبار الصحابة، أمثال العباس بن عبد المطلب، والزبير بن العوام، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وحذيفة بن اليمان، والزهراء البتول عليها السلام، وأم أيمن، وأم سلمة، وغيرهم من جانب، والخليفة أبو بكر وعمر بن الخطاب وجمهور الأصحاب الذين بايعوا أبا بكر في السقيفة من المهاجرين والانصار من جانب آخر...

واستمرت هذه القضية وآثارها وتبعاتها على طول عهود الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، التي استغرقت الخلافة الرّاشدة، والخلافة الأموية، والى أواسط الخلافة العباسية وفي منتصف القرن الثالث الهجري، وحتى غيبة الإمام المهدي # .

وفي كل هذه العهود والأدوار، كان الأئمة يواجهون هذه الأحداث من خلال منهج عملي متكامل بشكل نظرية شاملة، والتي تحتاج بطبيعة الحال إلى دراسة مستوعبة، ولكنّنا هنا نحاول أن نرسم الخطوط العامّة لهذه النظرية ومعالمها الأساسية، مع ذكر بعض الشواهد عليها تاركين التفصيل والاستيعاب وذكر الأدلّة والقرائن الكاملة إلى دراسة أُخرى.

وسوف نجد إن شاء الله أنَّ هناك نظرية رائعة وعظيمة طرحها أئمة أهل البيت عليهم السلام للوحدة الإسلامية، تتَّسِم بالواقعية والمصداقية والتجربة الحقيقية، والمعاناة، والقدرة على الصبر والتحمل والسيطرة على العواطف والأحاسيس، وتحكيم منهج القرآن والحكمة والعقل، وتقديم المصلحة الإسلامية العليا

على جميع المصالح الثانوية الأُخرى.

الوحدة والأولويات الإسلامية

لاشكَّ أنَّ النظرية الإسلامية نظرية متكاملة وشاملة لجميع مناحي الكون والحياة الإنسانية، تتناول في شمولها العقيدة ‹‹الله، والوحي، والنبوة، والحياة، الدنيا، واليوم الآخر›› كما تتناول الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية، وقضية الحكم والإمامة، وتتناول الأخلاق والسلوك الشخصي للإنسان في علاقته بربِّه، أو أخيه الإنسان، أو علاقته بالكون والحياة، والعبادة، والأسرة، والتجارة... الخ.

وكل هذه القضايا هي قضايا ذات علاقة بالنظرية الإسلامية وجاء بها الوحي الإلهي، وتناولها القرآن الكريم والسنَّة النبوية.

ولكن بالرغم من هذه الشمولية والانتساب للإسلام يمكن أنْ نلاحظ أنَّ النظرية الإسلامية تؤكد وتهتم ببعض المفردات وتعطيها درجة من الأهمية والأولوية، بحيث تختلف في ذلك عن مفردات أُخرى.

فمثلاً نجد أنَّ الشرك بالله لا يُغفر للإنسان، بخلاف الذنوب والمعاصي الأُخرى، فإنَّها تقبل المغفرة والعفو الإلهي، وهكذا الحال في بعض الواجبات الإسلامية، كالصلاة التي تحظى باهتمام من الإسلام أكبر من الاهتمام بواجبات أُخرى، مثل: وجوب دفن الميت، أو ردّ السلام.

والسؤال بعد هذه المقدمة هو: ما هي أهمّ الأولويات بين الواجبات والمفردات الإسلامية في نظر أهل البيت عليهم السلام وما هو موقع الوحدة الإسلامية من هذه الأولويات؟

١) العقيدة الإسلامية

لاشكَّ أنَّ أوّل المفردات في سُلَّم الأولويات في نظر أهل البيت عليهم السلام، هي مفردة ‹‹العقيدة الإسلامية، والإيمان بالله تعالى، والنبوة، واليوم الآخر›› حيث تتقدَّم هذه المفردة على جميع المفردات الأُخرى، لأنَّ الهدف الأساس من إرسال الرسل والنبوات إنَّما هو دعوة الناس إلى هذه العقيدة، وبهذه العقيدة يتميَّز الإنسان المؤمن عن غيره من الناس، وعندما تتعرض قضية الإيمان بالله تعالى إلى الخطر تصبح هذه القضية هي الأُولى التي تتقدم على جميع القضايا، والتي يصح التنازل من أجلها عن جميع الحقوق، والتخلّي عن جميع الواجبات عداها.

ولعلَّ هذا المبدأ هو الذي كان يحكم موقف الإمام علي عليه السلام في سكوته تجاه قضية الخلافة، على ما تشير إلى ذلك بعض الروايات[1] حيث كان يدرك بأن الحركة السياسية المسلَّحة المضادة قد تؤدي إلى تعرض الرسالة الإسلامية إلى الخطر، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار الأجواء السياسية والأمنية التي كانت تحيط هذا الكيان السياسي الجديد، والحركات المضادة كحركة مسيلمة الكذّاب، وحركات الردّة والتمرُّد الأُخرى التي شهدها عصر الخليفة الأول، ولذا اكتفى الإمام علي عليه السلام بالسكوت والامتناع عن البيعة لفترة معينة لمجرد تسجيل الموقف السياسي.

---

(١) فقد ورد في نهج البلاغة أنه عليه السلام قال: ((**فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام فلائل...**))، نهج البلاغة٣: ٦٢، من كتاب له الى اهل مصر مع الاشتر، ص١١٨.

كما أنَّ هذه القضية هي التي تُفسِّر تصدّي الإمام الحسين عليه السلام لتولّي ‹‹يزيد›› لأمور المسلمين، حيث كان هذا الأمر يؤشِّر إلى عِدَّة قضايا خطيرة، أحدها يتمثل بقضية الارتداد عن الإسلام بالشكل الذي يهدد العقيدة والرسالة الإسلامية، لأنَّ الطريقة التي تم بها اختيار‹‹يزيد››، والثقافة السياسية العامّة التي بثَّها معاوية بين المسلمين، والتي تعطي الشرعية لقمع أيّ حركة سياسية مضادة، حتى لو لم تكن مُسلّحة، والتي جَنَّد لها مجموعة من المرتزقة ووُضّاع الحديث، وأصحاب القلوب المريضة، بالإضافة إلى شخصية يزيد المعروفة باستهتارها بكلِّ القيم والمُثُل والأعراف الإسلامية، والتي تكشَّفت بعد ذلك بشكل واضح في ‹‹مجزرة كربلاء››، واستباحة المدينة المنورة، وفي الاعتداء على الحرم المكي، وضرب الكعبة المشرَّفة بالمنجنيق، وقتل خيرة الصحابة وأبنائهم، وأخذ البيعة منهم على أنَّهم عبيد ليزيد بن معاوية.

وكانت هذه الأولوية تحكم فعّاليات أئمة أهل البيت عليهم السلام في جميع عصورهم، حيث نجد الإمام الصادق عليه السلام يوظِّف جانباً كبيراً من نشاطه في مواجهة حركات الارتداد والزندقة، والتي أخذت تنمو بسبب انشغال المسلمين بشكل عام بالنشاطات السياسية الحادة والقومية، إبّان فترة التغيير التي شهدها العالم الإسلامي في العهد الأموي إلى العهد العباسي.

لكن الأئمة عليهم السلام حينما وجدوا الأُمّة الإسلامية تواجه هذا التهديد العقائدي الخطير في غفلة من المسلمين، قاموا بمسؤولياتهم الدِّينية في هذا المجال.

ومن الضروري أن نشير هنا إلى أنَّ المقصود بالقضية العقائدية، هي قضية الأساس العقائدي للإسلام المتمثِّل بالإيمان بالله والرسالة واليوم الآخر. وأمّا الفروع الأُخرى للعقيدة، فضلاً عن القضايا ذات الطابع الفقهي فهي

لا تدخل بطبيعة الحال في هذه المفردة الأساسية، ومن هنا لابُدَّ أن نشير إلى أنَّ هذه الأولوية للعقيدة الإسلامية تفرض علينا اهتماماً جديداً بالغاً في نظرتنا إلى التحديات الحضارية المعاصرة، كما أشرنا إلى ذلك في البحث السابق، وخصوصاً بالنسبة إلى النظام العالمي الجديد، الذي لابُدَّ للنهضة الإسلامية المعاصرة من تبنّي تصوّر شامل حوله، وطرحه للبشرية جمعاء، ذلك أنَّ هذه القضية تمثل في أحد جوانبها قضية عقائدية، لأنَّه بدون هذا الطرح الجديد، سوف تُثار الشكوك بشكل طبيعي حول صلاحية الرسالة الإسلامية لمواجهة التحديات، وهي رسالة عالمية وخاتمة، فلابُدَّ أن تكون قادرة على هذه المواجهة.

وقد أُثير مثل هذا الشك في بدايات القرن الرابع عشر الهجري ليس في الأوساط الغربيّة، بل في أوساط العالم الإسلامي أيضاً الأمر الذي مهَّد للغزو العسكري والحضاري الغربي.

٢) الدولة الإسلامية

المفردة الثانية في سُلّم الأولويات هي قضيّة الكيان السياسي الإسلامي المتمثل بالدولة الإسلامية، فإنَّ هذا الكيان يأتي من حيث الأهميّة بعد العقيدة الإسلامية.

ولذلك نجد أئمّة أهل البيت عليهم السلام يحرصون على الحفاظ على الكيان السياسي الإسلامي المتمثّل بالدولة الإسلامية، وعلى قوّته ومنعته، بالرغم من وجود المؤاخذات الكثيرة لديهم على مجمل الأوضاع التي كانت تعيشها هذه الكيانات في مختلف العهود، ولكنَّهم كانوا ينظرون إلى هذه المؤاخذات في إطار ضرورة المحافظة على الكيان الإسلامي في مقابل الأعداء الخارجيين والتّهديدات التي كانت تواجهه.

وفي هذا المجال كان على أئمّة أهل البيت عليهم السلام أنْ يحافظوا على موازنة دقيقة وحساسة، نجد معالمها وآثارها في مجمل سلوكهم وأحاديثهم ومواقفهم المرويَّة عنهم.

فمن ناحية كان يرى أهل البيت عليهم السلام ضرورة المحافظة على هذا الكيان، بحيث يجب أن يبقى قادراً على أداء وظائفه الأساسية في حفظ الأمن والاستقرار والدفاع عن الوجود الإسلامي أمام التهديدات الخارجية.

ومن هذا المنطلق لم يكونوا يسمحوا لأنفسهم إلاّ في حالات خاصة ‹‹كحالة الإمام الحسين عليه السلام›› - كما أشرنا - أنْ يقوموا بأعمال ثورية مضادّة، كما كانوا ينصحون شيعتهم في أغلب الحالات بعدم المشاركة في هذه الأعمال، لأنَّها تُزعزع هذا الوجود وتجعل الدولة الإسلامية تعيش الفوضى والاضطراب، وتضعف أمام الأعداء.

وكانوا يحثون شيعتهم على القيام بواجباتهم في الدفاع عن هذا الكيان الإسلامي من خلال المرابطة على الثغور الإسلامية[1]، كما كان الإمام زين العابدين عليه السلام يدعو لأهل الثّغور ويُمجِّد أعمالهم وجهودهم.

وكانوا أيضاً يتعاملون مع المراسيم العامّة الإسلامية الصحيحة لهذا

---

(١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((**كل ميت يختم على عمله إلاّ المرابط فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتان القبر**))، المستدرك على الصحيحين للحافظ النيسابوري٢ :٧٩، من لقى الله بغير اثر من الجهاد لقيه وفيه ثلمه.

وعنه صلى الله عليه وآله: ((**حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها**))، المستدرك على الصحيحين للحافظ النيسابوري٢ :٨١ من رابط يوم وليلة في سبيل الله كان له اجر صيام شهر وقيامه.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**كل عين باكية يوم القيامة غير ثلاث: عين سهرت في سبيل الله... الحديث**))، الكافي٢: ٨٠، ح٣، باب اجتناب المحارم.

الكيان الإسلامي على أنّها مراسيم مشروعة، كقضية دفع الزكاة، والاشتراك في مراسم الحج، والعيد، وصلاة الجمعة، والجماعة، وغيرها من الممارسات الإسلامية، ويحثّون شيعتهم على هذه المشاركة انطلاقاً من هذا المبدأ العام.

ولكن من جانب آخر، كان أهل البيت عليهم السلام يتحمّلون مسؤولية شرعية وأخلاقية وإنسانية، تجاه قضية وجود الانحراف في الحكم الذي يرونه لا يتطابق مع تصوراتهم، لا في أصل حق الولاية والحاكمية، ولا في تفاصيل الممارسات الظالمة والجائرة، التي كان يقوم بها الحكم في كثير من الأدوار تجاه الأُمّة، واستهتاره بمصالحها لحساب المصالح الشخصية في كثير من الأدوار.

وهذه المسؤولية الكبيرة والحسّاسة كان يشعر بها أهل البيت عليهم السلام تجاه أتباعهم، وتجاه المسلمين عامة، ومن هنا نجد مواقف وأقوال أهل البيت عليهم السلام تتخذ أسلوب النقد والاصلاح والإدانة أحياناً تجاه الحكم، وتشتد وتيرة هذه الفعّاليات متناسقة مع وتيرة الانحراف والطغيان الذي كان يمارسه هذا الحكم، فقد ذكروا في أقوالهم أحقّيتهم بالولاية، لأنّهم كانوا بحاجة لأن يحفظوا لشيعتهم وللمسلمين الحقيقة التي يعتقدون بها في هذا الحق، وأكّدوا هذا الأمر في هذه الأقوال؛ لأنّهم كانوا بحاجة إلى ذلك عندما أثار العباسيون شُبْهة أنّ وِلْد العباس هم أهل البيت عليهم السلام هم مصداق «الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله» كما أنّهم كانوا بحاجة إلى هذا التأكيد لأنّهم عملياً كانوا يتعايشون مع الحكم، وبدون هذا التأكيد سوف تضيع الحقيقة أو تشتبه على الناس.

وأيضاً نجد أهل البيت عليهم السلام يمنعون شيعتهم ومن يأخذ برأيهم من المسلمين المشاركة في عمليات الغزو الذي كان يقوم به بعض حكام المسلمين من أجل المزيد من الغنائم أو السيطرة والهيمنة على الأراضي، لأنّ مثل

هذه الحروب لم تكن مُبرَّرة دينيّاً وشرعيّاً[١]، بخلاف حروب صدر الإسلام حيث شارك فيها الإمام علي عليه السلام وخاصة أصحابه كسلمان الفارسي؛ لأنّها ذات أهداف صحيحة[٢].

كما أنَّهم منعوا شيعتهم من التعاون مع الحكم ولو بخيط إبرة في بعض الأدوار لحرمة هذه المعونة[٣] وخوفاً على شيعتهم من الانزلاق في منحدرات

---

(١) عن محمد بن عبد الله السمندري قال: ((**قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنّي أكون بالباب يعني باب الأبواب، فينادون السلاح فأخرج معهم، قال: فقال لي: أرأيتك إن خرجت فأسرت رجلاً فأعطيته الأمان وجعلت له من العقد ما جعله رسول الله صلى الله عليه وآله للمشركين، أكان يفون لك به؟ قال: قلت: لا والله جعلت فداك ما كانوا يفون لي به، قال عليه السلام: فلا تخرج، قال: ثم قال لي: أما ان هناك السيف**))، وسائل الشيعة:١١.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن آبائه: قال: ((**قال أمير المؤمنين: لا يخرج المسلم في الجهاد مع من لا يؤمن على الحكم ولا ينفذ في الفيء أمر الله عز وجل، فإنه إن مات في ذلك المكان كان معيناً لعدونا في حبس حقنا والاشاطة بدمائنا وميتته ميتة جاهلية**))، وسائل الشيعة١١: ٣٤، ح٧، باب اشتراط وجوب الجهاد بأمر الإمام.

(٢) عن ابي البختري ((**ان جيشاً من جيوش المسلمين كان اميرهم سلمان الفارسي حاصروا قصراً من قصور فارس فقالوا: يا أبا عبد الله ألا ننهد إليهم قال: دعوني أدعوهم كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوهم فأتاهم سلمان فقال لهم: إنما أنا رجل منكم فارسي ترون العرب يطيعوني فإن أسلمتم فلكم مثل الذي لنا وعليكم مثل الذي علينا وإن أبيتم إلا دينكم تركناكم عليه واعطونا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، قال: ورطن إليهم بالفارسية وأنتم غير محمودين، وإن أبيتم نابذناكم على سواء قالوا: ما نحن بالذي يعطي الجزية ولكنّا نقاتلكم، فقالوا: يا أبا عبد الله ألا ننهد إليهم، قال: لا، قال فدعاهم ثلاثة أيام إلى مثل هذا ثم قال: انهدوا إليهم قال: فنهدنا إليهم ففتحنا ذلك القصر**))، سنن الترمذي٣: ٥٢،ح١٥٨٨، (أبواب السير) باب ما جاء في الدعوة قبل القتال.

(٣) عن صفوان ابن مهران الجمال قال: ((**دخلت على ابي الحسن الاول عليه السلام فقال لي: ياصفوان كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيء واحد قلت جعلت فداك أي شيء قال:**

⇐

الظلم والطغيان والشهوات، والتي كانت تُغريهم بشكل خاص في أوائل العصر العباسي. كما كانوا يمنعون شيعتهم من التحاكم إلى قُضاة الجَور ويرونه تحاكماً إلى الطاغوت[1].

وشجّعوا أحياناً بعض الحركات الثورية التصحيحية في العالم الإسلامي، عندما كان الظلم يبلغ درجة عالية من القسوة والاستهتار بالحقوق الإنسانية، بل كان أهل البيت عليهم السلام يرفعون أصواتهم بالاحتجاج في بعض الأحيان، وقد كانت هذه الموازنة ضرورية ودقيقة ومهمّة، وتعبر عن هذه النظرة الإجمالية إلى أهميّة الكيان السياسي في النظرية الإسلامية، وضرورة

اكراءك جمالك من هذا الرجل ـ يعني هارون ـ قلت: والله ما اكريته اشراً ولا بطرا ولا للصيد ولا للهو ولكن اكريته لهذا الطريق،يعني طريق مكة، ولا أتولى بنفسي ولكن ابعث معه غلماني فقال لي يا صفوان ايقع كراك عليهم؟ قلت: نعم جعلت فداك قال: فقال لي اتحب بقائهم حتى يخرج كراك؟ قلت نعم، قال: فمن احب بقائهم فهو منهم ومن كان منهم فهو ورد النار، قال صفوان: فذهبت وبعت جمالي عن اخرها فبلغ ذلك الى هارون فدعاني فقال لي ياصفوان بلغني انك بعت جمالك؟ قلت نعم فقال ولم؟ فقلت انا شيخ كبير وان الغلمان لايفوون بالاعمال فقال هيهات هيهات اني لأعلم من اشار اليك بهذا موسى بن جعفر قلت مالي ولموسى ابن جعفر؟ فقال دع هذا عنك فو الله لولا حسن صحبتك لقتلتك))، بحار الانوار٢: ٣٧٦، ح٣٤، قصة ملك جبار وعبد صالح.

(١) عن عمر بن حنظلة قال: ((**سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة، أيحل ذلك؟ قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذه سحتاً وإن كان حقاً ثابتاً له، لأنّه أخذه بحكم الطاغوت وقد أمر الله أن يكفر به، قال تعالى: ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغُوتِ وقد أُمروا أن يكْفُروا بِهِ﴾، قلت: فكيف يصنعان؟ قال ينظران الى من كان منكم ممن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً**))، الكافي١: ٦٧، ح١٠، باب اختلاف الحديث.

المحافظة عليه.

ولعلّ أحد احتمالات تفسير موقف الإمام علي عليه السلام من الخلافة في الصدر الأول للإسلام ينطلق من هذا المبدأ، فإنّه لاشكّ في أنّ الإمام علياً عليه السلام كان يعتقد أنّه الأحقّ بالخلافة من الخليفة الأول أبي بكر، وقد صرّح بذلك في عدة مواضع، وامتنع عن البيعة في البداية من أجل التعبير عن هذا الموقف، ولكنّه مع ذلك لم يتخذ موقفاً يتّسم بالعنف واستخدام السلاح في مواجهة هذه الخلافة.

وهناك عدد من التفسيرات والاحتمالات لخلفية موقف الإمام علي عليه السلام:

الأول: ما أشرنا إليه آنفاً من الاحساس بالخطر الذي يهدد الرسالة الإسلامية.

الثاني: إنّ الإمام علياً عليه السلام أدرك بأنه غير قادر على مواجهة التخطيط والإعداد الجيّد المسبق لتنصيب أبي بكر خليفة، والاستفادة من فرصة انشغاله بتكفين وتغسيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمحافظة على الأمانات الموجودة في عنقه، الأمر الذي يجعل العملية ذات طابع انتحاري.

الثالث: شعور الإمام علي عليه السلام أنّ هذه المقاومة سوف تؤدي إلى زعزعة الحكم الإسلامي وكيانه الجديد، الأمر الذي يجعله غير قادر على القيام بوظائفة وواجباته ومسؤولياته الخطيرة أمام اعداء الرّسالة، أو في نشرها وإبلاغها للبشرية، وهذا الاحتمال الأخير له مبرّراته وشواهده، فقد كان الإمام علي عليه السلام يملك مجموعة من الفرص والإمكانيات السياسية والمعنوية والماديّة تجعله قادراً على القيام بحركة ناجحة لزعزعة الكيان وإضعافه، والاحتفاظ بنفوذ قوي في مجمل الأوضاع السياسية ولكن على حساب قوة الكيان السياسي الإسلامي العام.

فمواهبه الشخصية القتالية الفريدة، وتأريخه الجهادي، وقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفضله وعلمه، والنصوص الكثيرة الواردة في حقّه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالإضافة إلى تأييد جماعة مهمة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له تأييداً

قوياً، أمثال العباس بن عبد المطلب، والزبير بن العوام، وسلمان الفارسي، ومقداد بن الأسود، وعمّار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، وغيرهم، وموقف الزهراء البتول عليها السلام، والموقف العام لشيخ الخزرج سعد بن عبادة، وكذلك العرض السياسي الذي قدَّمه أبو سفيان للوقوف إلى جانبه في هذه المعركة، وهو عرض له أهميته السياسية في ذلك العصر، من خلال العلاقات القبلية، والذي تبيَّن بعد ذلك أنَّ للأمويين دوراً كبيراً في الأوضاع السياسية، كل هذه العوامل وغيرها يمكن أن تكون مبرّرات للقيام بمثل هذا التحرك.

ولكنَّ الإمام علياً عليه السلام إنَّما انصرف عن ذلك حفاظاً على هذا الكيان الإسلامي الفتي، حيث كان يرى ذلك أولى من كل هذه الحقوق والأهداف.

ويبدو هذا الموقف أكثر وضوحاً في نهاية خلافة عثمان، فبالرّغم من الملاحظات لدى الإمام عليه السلام على خلافة عثمان وطريقة أدارته للأمور، وتمكنه لمجموعة من أقاربه المعروفين تأريخياً بعدائهم للإسلام وللنّبيّ صلى الله عليه وآله من المواقع المهمة، وتعرّض مجموعة من خاصة علي عليه السلام للاضطهاد أمثال أبي ذر، وعمار، وعبد الله بن مسعود، وصدور الاحتجاجات من هنا وهناك على هذه الأوضاع من قبل المسلمين... فإنَّ الإمام علياً لم يستغل أي واحد من هذه الظروف لصالح وصوله إلى الحكم والخلافة، مع إيمانه العميق بأحقيَّته بها، وإنَّما حاول أن يهدئ الأوضاع، وأن ينصح الخليفة، ويقف حائلاً بينه وبين غضب المسلمين، وبعد ذلك أرسل ولَدَيه الحسنين عليهما السلام للدفاع عنه في بيته، حتى تم قتله غيلة.

إنَّ كل هذه التفاصيل في هذا الموقف تؤكِّد هذه الأولوية للكيان السياسي الإسلامي في نظر أهل البيت عليهم السلام.

٣) الوحدة الإسلامية

والمفردة الثالثة في سُلَّم الأولويات في نظر أهل البيت عليهم السلام هي الوحدة

الإسلامية، حيث تأتي هذه المفردات في جُملة القضايا التي أعطاها أهل البيت عليهم السلام أهميّة خاصة، وقدّموها على الكثير من الحقوق والواجبات الخاصة بهم، لأنَّ المسلمين لا يمكنهم أن يحتفظوا بفاعليتهم ووجودهم وتأثير رسالتهم على البشرية ما لم يحققوا هذه الوحدة بينهم، كما أنَّهم لا يمكنهم - كما أشرنا سابقاً - أن يخوضوا مواجهة مع أعدائهم ما لم يصنعوا ذلك من دون فرق بين المواجهة الحضارية أو السياسية أو العلمية أو الاقتصادية، فضلاً عن المواجهة العسكرية.

وأهل البيت عليهم السلام وان كانوا قد منحوا قدراً كبيراً من جهدهم واهتمامهم إلى مُفردة أساسية ومهمّة في مجمل حركتهم، وهي بناء الجماعة الصالحة المتمثِّلة بشيعتهم وأتباعهم المعتقدين بإمامتهم وولايتهم، ووضعوا في الوقت نفسه أهدافاً لهذه الجماعة في طول التأريخ الإسلامي، إلاّ أنَّ هذا الاهتمام كلّه جاء في ضمن المحافظة على وحدة الأُمّة الإسلامية، ومن أجل المحافظة على العقيدة الإسلامية والدولة الإسلامية والوحدة الإسلامية نفسها.

ومن هنا يُمكن أن نعرف مدى التوافق والانسجام بين فكرة الوحدة الإسلامية وضرورتها، وبين فكرة الاهتمام بأتباع أهل البيت عليهم السلام وبناء الجماعة الصالحة، حيث إنَّ هذا البناء جاء في اطار هذه ومن أجلها[1] ومن هذا المنطلق نجد أهل البيت عليهم السلام يضعون أُطروحة متكاملة.

والبحث في هذه النظرية يقع في فصلين:

الأول: منهج الوحدة الإسلامية.

الثاني: هامش الإختلاف والتعدّد.

---

(١) يمكن التعرف على مزيد من التفصيل بمراجعة بحثنا حول «دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة».

الفصل الأول

منهج
الوحدة الإسلامية

من الممكن أن نرسم منهج الوحدة الإسلامية في نظر أهل البيت عليهم السلام - بشكل إجمالي - في المعالم الأربعة التالية:

المَعْلَم الأول: إرساء الوحدة الإسلامية على أساس التّظرية القرآنية

لقد اهتمّ أهل البيت عليهم السلام في منهجهم لتحقيق الوحدة الإسلامية بين المسلمين بالأُسس التي أكَّد عليها القرآن الكريم، وكذلك بالوسائل التي استخدمها في سبيل تحقيق هذه الوحدة والتي استعرضناها في البحث السابق:

١) فقضية التوحيد الإلهي والعقيدة الإسلامية الصحيحة أوْلاها أهل البيت عليهم السلام أهميّة خاصة، حيث جعلوا قضيّة العقيدة القضية الأولى في سُلَّم الأولويات، ليس على مستوى الاهتمام بها وتقديمها على القضايا الأُخرى - كما أشرنا سابقاً - فحسب، بل على مستوى ترتيب الآثار العملية في الحياة الاجتماعية، فما دام الإنسان المسلم ملتزماً بالشهادتين تُرتَّب عليه آثار الإسلام من حرمة دمه وماله وعرضه ومواثيقه وعهوده... الخ[1].

كما أنَّهم عليهم السلام أكَّدوا على تكامل الإيمان بالله تعالى من خلال الطاعة والالتزام بأحكامه وأوامره ونواهيه وحدوده، فالإيمان ليس مجرد إلتزام جامد، بل هو إلتزام متطور متحرك ومتنام[2].

---

(١) عن عبد الله بن سنان قال: ((**سألت أبا عبد الله عليه السلام: بِم يكون الرجل مسلماً تحل مناكحته ومواريثه، وبِم يحرم دمه؟ قال عليه السلام: يحرم دمه بالإسلام إذا ظهر وتحل مناكحته ومواريثه**))، وسائل الشيعة١٤: ٤٢٧، ح١٧، باب تحريم تزويج الناصب بالمؤمنة.

(٢) روي أن سائلاً سأل الإمام جعفر بن محمد عليه السلام: ((**أي الأعمال أفضل عند الله؟ فقال عليه السلام: ما لا يقبل الله عز وجل عملاً إلاّ به، قال: وما هو؟ قال عليه السلام: الإيمان بالله أعلى**
⇐

٢) كما أنَّ قضيّة طاعة الرسول والالتزام بالسنة النبوية كانت من القضايا الأساسية التي أكَّد عليها أهل البيت عليهم السلام، ولذا نجد مدرستهم تمتاز بهذا التأكيد، فلا تقبل الاعتماد على الرأي أو القياس أو الاستحسانات المطلقة مصدراً لمعرفة الشريعة، وترفض مدرستهم الاجتهاد في مقابل النّص.

وتؤكِّد مدرستهم - أيضاً - على مبدأ دور طاعة الرسول كحاكم وولي لأمور المسلمين ‹‹الإمامة›› من خلال التأكيد على مبدأ الولاية ‹‹المعصومة›› و‹‹المنصوصة››، انسجاماً مع قضية الطاعة للرّسول نفسه.

تُعتبر قضية الحكم من القضايا الأساسية التي تفضل على الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، كما جاءت النصوص عنهم في هذا الأمر؛ لأنَّ الولاية مفتاحهنَّ، والوالي هو الدليل عليهنّ[1].

الأعمال درجة، وأشرفها منزلة، وأسناها حظاً، قال السائل له: قلت: أخبرني عن الإيمان، أقول وعمل، أم قول بلا عمل؟ قال عليه السلام: الإيمان عمل كلّه، والقول بعض ذلك العمل، بفرض من الله بين في كتابه، واضح نوره، ثابتة حجته، يشهد به الكتاب ويدعو إليه، قال: قلت: بين ذلك جعلني الله فداك حتى أفهمه، قال عليه السلام: إن الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل، فمنه التّام المنتهي تمامه، ومنه الناقص البين نقصانه، ومنه الراجح البين رجحانه قال: قلت: إن الإيمان لينتقص ويتم ويزيد؟ قال عليه السلام: نعم... الحديث))، مستدرك وسائل الشيعة١١: ١٤٩، ح٥، باب الفروض على الجوارح ووجوب القيام بها.

(١) عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، قال زرارة، فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ قال عليه السلام: الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن، قلت: ثم الذي يلي ذلك في الفضل؟ فقال عليه السلام: الصلاة، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الصلاة عمود دينكم، قال: ثم الذي يليها في الفضل؟ قال عليه السلام: الزكاة لأنه قرنها بها وبدأ بالصلاة وقبلها، وقال رسول**
⇐

وفي هذا الصراط يأتي تأكيدهم على ضرورة التّعايش مع الحكم الإسلامي حتى لو كان منحرفاً، كما ذكرنا آنفاً، وسوف نشير إليه في المعالم الآتية.

٣) كما أنّهم أكّدوا بشكل واضح على أهمية دور رعاية الرّاعي للرّعية، والحاكم للأُمّة، حيث تمّ هذا التأكيد عملياً وبدرجة عالية ومثالية من خلال سيرة الإمام علي عليه السلام في خلافته، ورعاية الأئمّة لشيعتهم وأتباعهم ومواساتهم لهم مما تعج به روايات سيرتهم وسلوكهم.

كما تمّ هذا التأكيد بالقول والنّصيحة، ولعلّ أروع النصوص في هذا

الله صلى الله عليه وآله: الزكاة تُذهب الذنوب. قلت: والذي يليها في الفضل؟ قال عليه السلام: الحج، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وللهِ على الناس حِج البيتِ من استَطَاع إليهِ سبيلاً ومن كفَر فَإن الله غَنِي عن العالمِين﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لحجة مقبولة خير من عشرين صلاة نافلة ومن طاف بهذا البيت طوافاً أحصى فيه أسبوعه وأحسن ركعتيه غفر الله له، وقال في يوم عرفة ويوم مزدلفة ما قال. قلت: فماذا يتبعه؟ قال عليه السلام: الصوم، قلت: وما بال الصوم صار آخر ذلك أجمع؟ قال عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصوم جنّة من النّار، قال: ثم قال عليه السلام: إن أفضل الأشياء ما إذا فاتك لم تكن منه توبة دون أن ترجع إليه، فتؤديه بعينه، إن الصلاة والزكاة والحج والزكاة والحج والولاية ليس يقع شيء مكانها دون أدائها وإن الصوم إذا فاتك أو قصرت أو سافرت أديت مكانه أياماً غيرها، وجزيت ذلك الذنب بصدقة، ولا قضاء عليك، وليس من تلك الأربعة شيء يجزيك مكانه غيره، قال: ثم قال عليه السلام: ذروة الأمر وسنامه ومفتاحة وباب الأشياء ورضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته، إن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿من يطِعِ الرسولَ فَقَد أَطَاع الله ومن تَولى فَما أَرسلنَاك عليهم حفِيظاً﴾، أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله عزّ وجلّ حق في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان، ثم قال: أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنّة بفضل رحمته))، الكافي٢: ١٩، ح٥، باب دعائم الإسلام.

المجال عهد الامام علي عليه السلام لواليه على مصر (مالك الأشتر)، والكتب والرسائل التي كان يبعث بها الإمام علي عليه السلام إلى ولاته، والتي جمع الشريف الرّضي قسماً منها في كتابه نهج البلاغة.

٤) كما أنَّ النصوص الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في حقوق المسلم على المسلمين، وتفاصيل هذه الحقوق، تؤكد بشكل رائع وتفصيلي مفهوم القاعدة والإطار الذي تقوم عليه هذه الوحدة بين المسلمين[1].

٥) وقد تضمّن التراث الأخلاقي الذي تركه أئمّة أهل البيت عليهم السلام سواء في مجال الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله في مختلف القضايا الأخلاقية وبتفاصيل وشموليّة لا يُنظر لها في المدارس الأخرى، أم في مجال الدعاء والمناجاة مع الله، من روائع المعرفة وأساليب التكامل الإنساني، أم في مجال الوصايا التي

---

(١) وفي وصية الإمام أمير المؤمنين لابنه محمد بن الحنفية قال: ((**وأحسن إلى جميع الناس كما تحب أن يحسن إليك وارض لهم ما ترضاه لنفسك، واستقبح لهم ما تستقبحه من غيرك، وحسن مع النّاس خلقك، حتى إذا غبت عنهم حنّوا إليك، وإذا مت بكوا عليك وقالوا «إنّا لله وإنّا إليه راجعون»، ولا تكن من الذين يقال عند موته «الحمد لله رب العالمين» واعلم أن رأس العقل بعد الإيمان بالله عزوجل مداراة النّاس، ولا خير فيمن لا يعاشر بالمعروف من لابد من معاشرته، حتى يجعل الله إلى الخلاص منه سبيلاً، فإنّي وجدت جميع ما يتعايش به الناس وبه يتعاشرون ملؤ مكيال ثلثاه استحسان، وثلثه تغافل**))، وسائل الشيعة٨: ٥٤١، ح٨، باب استحباب مداراة الناس.

وعن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام انه قال: ((**أحب أخاك المسلم وأحب له ما تُحب لنفسك، واكره له ما تكره لنفسك، إذا احتجت فسله، وإذا سألك فأعطه، ولا تدخر عنه خيراً فإنه لا يدخر عنك، كن له ظهراً فإنه لك ظهر، إن غاب فاحفظه في غيبته، وإن شهد فزره وأجلّه وأكرمه، فإنه منك وأنت منه، وإن كان عليك عاتباً فلا تفارقه حتى قل سخيمته وما في نفسه، فإذا أصابه خير فاحمد الله، وإن ابتلى فاعضده وتمحل له**))، وسائل الشيعة٨: ٥٤٨، ح١٩، باب وجوب اداء حق المؤمن.

ضمنها أئمّة أهل البيت عليهم السلام مناهج للتربية الأخلاقية، أو الحِكَم والكلمات القصيرة، أو غير ذلك من التراث الذي كان له دور عظيم ليس في التأثير على شيعتهم وبناء الجماعة الصالحة فحسب، بل في مجموع الأُمّة الإسلامية[1].

إنَّ هذا التقصي والمتابعة من قبل أهل البيت عليهم السلام لأُسس النظرية القرآنية في الوحدة الإسلامية يجسد أحد معالم هذا المنهج. مضافاً إلى ذلك تأكيدهم على الالتزام بأساليب القرآن في الوحدة التي تحدّثنا عنها آنفاً: من الدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة، والعفو، والصفح، والمساعي الحميدة، ليتحقق الصلح، مما ورد التأكيد عليها بشكل رائع وواسع، ويمكن أن نقول: إنَّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام تتميّز بشكل خاص في التأكيد على اعتماد «العلم» منهجاً لمعرفة الحقائق، وفي الوقوف في وجه العدوان ومناصرة المظلوم، وفي التعامل على أساس ظاهر الإسلام دون التفتيش عن العقائد والنيّات.

المعلم الثاني: تبني قضايا الأُمّة الكبرى

والمعلم الثاني لمنهج أهل البيت عليهم السلام في الوحدة هو تبنّي قضايا الأُمّة الكبرى، بدلاً من تبنّي القضايا الجزئية أو الفئويّة أو المذهبية، وتحويلها إلى قضايا أساسية في الاهتمام والصراع، ولعلَّ هذا هو أحد الخطوط الرئيسية التي تُميِّز مذهب أهل البيت عليهم السلام في معالجة القضايا التي كانت تثير الخلاف والجدال والاهتمامات في الأُمّة الإسلامية، ذلك أنَّ الأُمّة على مرّ العصور كانت تتعرض إلى مختلف المستجدات الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكانت هذه المتسجدات تثير الكثير من الاهتمام والخلافات، وتواجه العديد من الاجتهادات.

---

(١) تناولنا ذلك بشكل من التفصيل في بحثنا «دور أهل البيت في النظرية الإسلامية».

كما أنَّ هذه المستجدات كانت تختلف من حيث القيمة ودرجة اهتمام الناس بها، وعلاقتها بمصالح الأُمّة بشكل عام، فكانت بعض القضايا الجزئية تنال درجة كبيرة من الاهتمام في بعض الأوساط، ويتم التركيز عليها، بحيث تصبح وكأنَّها القضية الأساسية الأولى في الأُمّة دون أن يكون لها علاقة كبيرة بمصالحها وقضاياها، وتصبح بعض القضايا المهمّة في الظِّل، أو في الدرجات السفلى من الاهتمامات، بسبب الصراعات والمعارك الجانبية ذات الأهداف المُحدّدة، أو الغايات السياسية المُخطَّطة، وكان أهل البيت عليهم السلام يعطون الأهمية في هذه القضايا للأمور ذات العلاقة بمصالح الأُمّة الكبرى، وبهذا الصدد يُمكن أن نشير إلى عدة نماذج وأمثلة لهذه الاهتمامات في عهود الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام المختلفة.

فالقضية الكبرى التي واجهها الإمام الحسين عليه السلام - على ما أشرنا سابقاً - هي قضية تعرض العقيدة الإسلامية إلى الخطر، أو على الأقل تعرض الحكم الإسلامي إلى الخطر، حيث إنَّ تنصيب يزيد بهذه الطريقة كان يعني على أقل تقدير خطر تحوّل الحكم الإسلامي من الحكم الإلهي وإقامة العدل بين الناس إلى الحكم الكسروي والقيصري، الذي يكون الحكم فيه للطاغوت والهوى والرأي.

وهذه قضية كبرى وخطيرة أدركها جميع المسلمين المخلصين في ذلك العصر وفي مقدمتهم كبار الصحابة والتابعين أمثال: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وغيرهم.

ولكنَّ الإمام الحسين عليه السلام هو الشخص الوحيد الذي تحمل مسؤولية النِّداء بهذه القضية والمواجهة بها، لما كان يتميَّز به من خصائص موضوعية وتاريخية، وبالخصوص نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وآله، والارتباط الوثيق بالرسالة

الإسلامية وغير ذلك من المواصفات.

فهذه القضيّة كانت من القضايا الكبرى التي تهم المسلمين، وتحمَّل الحسين عليه السلام فيها المسؤولية نيابة عن المسلمين جميعاً، وهذا الأمر هو الذي يفسر لنا الإجماع المطلق لدى المسلمين في جميع العصور على تأييد نهضة الإمام الحسين عليه السلام، بالرغم من الاختلاف الواسع لدى المسلمين في الاتجاهات السياسية والمذهبية، فهذا القبول المطلق لنهضة الامام الحسين عليه السلام في جميع العهود الإسلامية، والإدانة المطلقة لموقف يزيد من جميع علماء المسلمين، بالرغم من المحاولات التي بذلها الأمويون للتغطية والتعتيم على هذه الحقيقة... كل ذلك شاهد واضح على أنَّ هذه القضية كانت من القضايا الكبرى التي تهم مصالح المسلمين جميعاً.

ونجد النماذج الأُخرى في مواقف أئمّة أهل البيت عليهم السلام بعد الإمام الحسين عليه السلام، حيث كانت القضية الأخلاقية هي الأُولى في عهد الإمام السجاد عليه السلام بعد المآسي التي شهدها العالم الإسلامي في واقعة كربلاء والحرّة، والاعتداء على الحرم المكّي الآمن، وبعد تحوّل ضمير الإنسان المسلم إلى ضمير يُشترى بالدرهم والدينار وبزيادة العطاء بعيداً عن القيم والمثل الإسلامية، وتحوّل المراكز المقدسة كالمدينة ومكّة، من مراكز يتنافس فيها الفقهاء والعلماء إلى مراكز يتنافس فيها شعراء المجون والمغنّون والمغنّيات والجوار والقينات، فكان هذا الابداع العظيم للإمام زين العابدين عليه السلام من خلال أساليب التربية، ومنهاج الدعاء، والمناجاة، ودروس مكارم الأخلاق، والسلوك العرفاني العالي.

وكذلك موقف الإمام الباقر عليه السلام في إحياء السنّة، ومُدارسة الحديث، وتدوينه ونشره، ثم موقفه في القضية الاقتصادية الكبرى التي هزَّت العالم الإسلامي، عندما تحدى سلطان الروم الدولة الإسلامية بالتهديد بضرب

السكّة بما يُهين شعائر الإسلام، وكان النقد السائد هو النقد الروماني، حيث اقترح الإمام الباقر عليه السلام على الخليفة الأموي أن تقوم الدولة الإسلامية بنفسها بضرب السكّة، وتحرير ‹‹النقد الإسلامي›› من الهيمنة الأجنبية.

وموقف الإمام الصادق عليه السلام أمام القضية الكبرى للمسلمين التي واجهوها، وهي قضية الفلسفات اليونانية والرومانية والهندية التي غزت العالم الإسلامي مقرونة بالعلوم الطبيعية ‹‹الطب، والهندسة، والفيزياء››، حيث أخذت هذه الفلسفات تُبهر عقول المسلمين بما اقترنت به من أساليب للتنظير، ومن علوم طبيعية حديثة، الأمر الذي نقارنه بما حصل للعالم الإسلامي من غزو للحضارة الغربيّة وفلسفاتها من خلال اقترانها بالعلوم الطبيعية بسبب النهضة الصناعية، مع فارق واحد مهم، هو أنَّ الدولة الإسلامية كانت في أوج قوّتها في ذلك العصر بخلافه في العصر الحديث.

وقد تصدّى الإمام الصادق عليه السلام لهذا التيار الإلحادي ووضع جلَّ نشاطه في إدامة الاهتمامات التي وضع بداياتها والده الإمام الباقر عليه السلام بالنسبة إلى إحياء السنّة، وفي مواجهة هذه التيارات الإلحادية، وخصوصاً المجالات العلمية، بحيث عُرِف عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه مُلهم الكيمياء، وكان في مقدمة تلامذته في هذه المجالات: جابر بن حيان، والمفضل بن عمر، وهشام بن الحكم، وزرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم، وغيرهم كثيرون.

كما كان للإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام دور عظيم في مواجهة الحياة السياسية ذات اللون التعددي الجديد في عهد هارون الرشيد، حيث اتسمت في بداية العهد بشيء من الحرية الفكرية والسياسية، حيث كانت الاهتمامات الكبرى للأُمّة في هذا العصر ترتبط بقضية مواصفات الحاكم وواجباته، وطبيعة علاقته بالأُمّة.

وهكذا الحال في عهد الإمام الرضا عليه السلام والإمام الجواد عليه السلام، حيث كانت

قضايا اللاهوت التي طرحها علماء أهل الكتاب من خلال النّدوات الفكرية التي أوجدها المأمون، وقضايا استيعاب الشريعة للحوادث المستجدَّة والمعقَّدة نسبياً للحياة الاجتماعية الإسلامية في القضايا الكبرى للأُمّة.

وعندما نُقارن بين هذه القضايا التي كانت موضع ومجال اهتمام أئمّة أهل البيت عليهم السلام والقضايا الأُخرى التي كانت تثير اهتمامات ونزعات معقدة بين المسلمين، مثل: قضية خلق القرآن، أو قضية تقديم المفضول على الفاضل، أو قضية الإرجاء في العقاب، أو قضية الكفر والفسق، أو قضية القدر التي كانت تأخذ أبعاداً واسعة من الخلاف والنزاع، وتتطور إلى وسائل قمع واضطهاد، نجد الفرق واسعاً بين هذا النوع من الاهتمامات الجزئية وتلك القضايا الكبرى.

ولاشكَّ أنَّ الاهتمام بالقضايا الكبرى للأُمّة يشكل أحد دعائم الوحدة الإسلامية، حيث يُمكن أن تجتمع الأُمّة بشكل عام على مثل هذه القضايا التي تشعر بالعلاقة والرابطة بينها وبين مصالحها ووجودها.

المعلم الثالث: التعايش الاجتماعي بين جماعات المسلمين

إنَّ من أهمّ أساليب تحقيق الوحدة بين المسلمين هو وضع أُسس وأساليب للتعايش الاجتماعي بينهم على اختلاف قومياتهم وشرائحهم ومذاهبهم واتجاهاتهم السياسية والعقائدية. وقد دعى أهل البيت عليهم السلام - في نظريتهم للوحدة - إلى هذا الأمر بشكل خاص، فقد أكَّد أهل البيت عليهم السلام على إلغاء الفوارق القومية والقبليّة والاجتماعية بين فئات المجتمع، والذي نجده في أحاديثهم بشكل واضح وواسع، حيث يأتي هذا التأكيد انسياقاً مع النظرية القرآنية في إلغاء هذه الفوارق اجتماعياً، بل الانطلاق منها للمزيد من التعارف والوحدة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...﴾[1].

ولم يكتف أهل البيت عليهم السلام بهذا التأكيد على المفاهيم والمُثل الأخلاقية بالكلام والحديث والتوجيه، بل إنَّهم مارسوا ذلك عملياً في سلوكهم والتزاماتهم، وفي التعامل مع أصحابهم وحواريهم وخاصّتهم، تأسّياً برسول الله صلى الله عليه وآله، حتى يمكن القول بأنَّ هذا السلوك والسياسة كان له دور عظيم في حفظ وحدة المسلمين وعدم تحول الحكم الإسلامي إلى حكم قومي، يُميِّز بين العرب والأعاجم، أو بين العرب والموالي، أو بين بعض القبائل وغيرها، حيث تعرض المجتمع الإسلامي الى مثل هذه الأعاصير، وقد ابتلى بمثل هذه السياسات التي مارسها الأمويوّن بشكل خاص، وكان لها بعض الجذور في بعض الممارسات في عصر الخلافة الراشدة، وكذلك كان لهم وجود في بعض أدوار العصر العباسي، خصوصاً في الدور الأول منه.

ولعلَّ اتّهام جميع شيعة أهل البيت عليهم السلام ‹‹بالعجمية›› التي يرميهم بها أعداؤهم، تنطلق من طبيعة تعايش أهل البيت عليهم السلام روحياً ونفسياً مع الأُمم التي دخلت الإسلام من غير العرب في إطار المساواة وعدم التّمييز، بحيث وجد المسلمون الجُدُد في أهل البيت عليهم السلام الروح الرّحبة والملجأ والملاذ الآمن والفهم الصحيح للإسلام فكانوا يتجاوبون معه، وإلاّ فإنَّ أهل البيت عليهم السلام من صُلب العرب والعروبة والكثير من أصحابهم من القبائل العربية المعروفة، ونسبة شيعتهم في العرب لا تقل عن نسبة شيعتهم في الأعاجم إن لم تزيد،

---

(١) الحجرات: ١٣.

ولكن ما ذكرناه إنَّما هو في إطار النظرة الكلية للاختلافات العرقية أو القبليّة أو الاجتماعية بين المسلمين، وفي هذا الأطار لا نكاد نجد فرقاً بين نظرية أهل البيت عليهم السلام وغيرهم على المستوى النظري، حيث يجمع المسلمون على هذه النظرية الكليّة، وإنَّما الفرق في التأكيد والاهتمام، وفي السلوك والمعاملة التي امتاز بها أهل البيت عليهم السلام بشكل واضح.

التعايش الاجتماعي بين أبناء المذاهب الإسلامية

المهم في هذا البحث هو اهتمام أهل البيت عليهم السلام بقضية التعايش بين المسلمين فيما يتعلق بقضية الاختلافات المذهبية، والتي يكون لها انعكاسات وتأثيرات على المستوى الاجتماعي والسياسي، حيث أكَّد أهل البيت عليهم السلام على ضرورة هذا التعايش وأهميّته، ودعوا شيعتهم إلى تحقيقه، انطلاقاً من عِدَّة أفكار أساسية:

الأولى: الفكرة الاجتماعية التي تقوم بحاجة المجتمع الإنساني - من أجل تكامله - إلى تعاون بعضه مع البعض الآخر، ورفض فكرة العزلة والانطواء، أو التجزئة والانقسام في المجتمع.

الثانية: ضرورة شعور الإنسان بالمسؤولية تجاه المجتمع ووفائه بالالتزامات الاجتماعية القانونية أو الروحية والعاطفية أو الأخلاقية، هذه المسؤولية والالتزامات التي تحفظ وحدة المجتمع، وتزيد من قوته وقدرته على مواجهة المشكلات.

الثالثة: ضرورة المساهمة في تطوير المجتمع وتكامله من خلال التأثير إيجابياً عن طريق السلوك الأخلاقي الرّاقي، والمعاملة الطيّبة والقدوة والأسوة الحسنة.

ونجد جذور مثل هذه الأفكار أو مفاهيمها بشكل واضح في أحاديث أهل البيت عليهم السلام التي تحدَّثت عن هذا التعايش.

ولذا جاءت دعوة أهل البيت عليهم السلام للتعايش الاجتماعي دعوة شاملة لمختلف المجالات والأبعاد ذات العلاقة بالحياة الاجتماعية للمسلمين، سواء كانت قوانين والتزامات، أم مسؤوليات دينية وأخلاقية، أم ممارسات وشعائر عبادية، أم علاقات عائلية ورحمية، أم مجاملات وآداب اجتماعية، أم مشاعر وعواطف روحية وإنسانية.

ويمكن أنْ نجد ذلك واضحاً في النصوص الصحيحة والكثيرة التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام، والتي سوف نكتفي بالإشارة إلى نماذج منها، ويمكن الرجوع إليها في المصادر الحديثية الموسعة:

أ) روى الكليني في الكافي بسند صحيح عن أبي أسامة زيد الشحام قال: ((**قال لي أبو عبد الله عليه السلام: إقرأ على من ترى أنّه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام، وأوصيكم بتقوى الله عز وجل، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السجود، وحُسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأدّوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها براً أو فاجراً، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمر بأداء الخيط والمخيط. صلوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس قيل هذا جعفري، فيسرني ذلك، ويدخل علي منه السرور، وقيل هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره، وقيل هذا أدب جعفر، والله لحدّثني أبي عليه السلام أنّ الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي فيكون زينها أدّاهم للأمانة وأقضاهم للحقوق وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول مَنْ مثل فلان إنّه لأدّانا للأمانة وأصدقنا للحديث**))[1].

---

(١) الكافي٢: ٦٣٦، ح٥، باب ما يجب من المعاشرة.

ب) وأيضاً بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال: ((**قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا، وفيما بيننا وبين خُلطائنا من الناس؟ قال: فقال عليه السلام: تؤدّون الأمانة إليهم وتُقيمون الشّهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم، وتشهدون جنائزهم**))[١].

ج) وأيضاً بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال: ((**قلت له ‹‹الصادق عليه السلام›› كيف ينبغي أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خُلطائنا من الناس وممن ليسوا على أمرنا قال: تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون فوالله انهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم، ويؤدّون الأمانة اليهم**))[٢].

د) وفي رواية أُخرى للكليني في الكافي بسند صحيح عن حبيب الخثعمي قال: ((**سمعت أبا عبد الله ‹‹الصادق عليه السلام›› يقول: عليكم بالورع والاجتهاد واشهدوا الجنائز وعودوا المرضى، واحضروا مع قومكم مساجدكم، وأحبوا للناس ما تُحبّون لأنفسكم، أما يستحي الرجل منكم أن يعرف جاره حقّه ولا يعرف حقّ جاره**))[٣].

هـ) وبسند صحيح عن مرازم قال: ((**قال أبو عبد الله ‹‹الصادق عليه السلام››: عليكم بالصلاة في المساجد، وحُسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، إنّه لابُدّ لكم من النّاس، إنّ احداً لا يستغني عن الناس حياته، والنّاس لابُدّ لبعضهم من بعض**))[٤].

---

(١) الكافي٢: ٦٣٥، ح٢.

(٢) الكافي٢: ٦٣٥، ح٤، باب ما يجب من المعاشرة.

(٣) الكافي٢: ٦٣٥، ح٣.

(٤) الكافي٢: ٦٣٥، ح١.

فإنَّ هذه النماذج - وغيرها كثير - تتناول التفاصيل التي ترتبط ببعض الواجبات والمستحبات، وأصول المعاشرة، والذي يؤكّد أهمية التعايش والمعاشرة في هذا المستوى، فضلاً عن المستويات الأُخرى التي تخص بالأولوية واللزوم بالنسبة لها.

ويوضّح الإمام الخط العام الذي يجب أنْ ينتهجه شيعتهم في المعاشرة من خلال النص التالي، الذي يرويه أبو ربيع الشامي قال: ((**دخلت على أبي عبد الله**عليه السلام**والبيت غاص بأهله، فيه الخراساني والشامي ومن أهل الآفاق، فلم أجد موضعاً أقعد فيه فجلس أبو عبد الله** عليه السلام **وكان متكياً، ثم قال: يا شيعة آل محمد اعلموا انه ليس منا من لم يملك نفسه عند غضبه، ومن لم يحسن صحبة من صحبه، ومخالقة من خالقه، ومرافقة من رافقه، ومجاورة من جاوره، وممالحة من مالحة، ياشيعة آل محمد إتّقوا الله ما استطعتم ولا حول ولا قوة إلاّ بالله**))[1].

وفي رواية أُخرى عن عبد العظيم الحسني عن محمد بن علي الرضا عن ابائه عليهم السلام قال: قال امير المؤمنين عليه السلام: ((**إنّكم لن تسعوا النّاس بأموالكم فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن اللقاء فأني سمعت رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **يقول أنكم إنّكم لن تسعوا النّاس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم**))[2].

وأيضاً في رواية أُخرى عن أبي عبد الله ‹‹الصادق عليه السلام›› قال: ((**كونوا دُعاة للنّاس بالخير بغير ألسنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصّدق والورع**))[3]، حيث يؤكّد الأئمّة في بعض هذه النماذج على مسألة تمثّل الأسوة والقدوة

---

(١) الكافي٢: ٦٣٦، ح٢، باب حسن المعاشرة.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥١٣، ح٨، باب استحباب اطلاقة الوجه وحسن البشر.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٥١٣، ح١، باب وجوب الصدق.

في السلوك الأخلاقي العالي.

وفي كتاب العشرة نجد تفاصيل شاملة وواسعة ودقيقة لأساليب هذا التعايش ومنهج تحقيقه، يمكن مراجعتها في كتاب وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة.

ولعلً من أروع النصوص في هذا الموضوع ما ورد في وصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية والتي رواها الصدوق في كتابه ‹‹من لا يحضره الفقيه››: ((**وأحسن إلى جميع الناس كما تُحب أن يُحسن إليك، وارض لهم ما ترضاه لنفسك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وحسِّن مع جميع النّاس خُلُقك، حتى إذا غبت عنهم حنّوا إليك، وإذا متَّ بكوا عليك، وقالوا «إنّا لله وإنّا إليه راجعون»، ولا تكن من الذين يُقال عند موته «الحمد لله رب العالمين»، واعلم ان رأس العقل بعد الإيمان بالله عز وجل مُداراة النّاس، و لا خير فيمن لا يعاشر بالمعروف من لابُدَّ من معاشرته، حتى يجعل الله إلى الخلاص منه سبيلاً، فإنّي وجدت جميع ما يتعايش به النّاس وبه يتعاشرون ملء مكيال ثلثاه استحسان وثلثه تغافل**))[1].

كما أنَّ الصورة التي يقدمها أحد العلماء المعروفين من أهل السنّة وهو الزهري عن أسلوب الأئمّة في التعايش الاجتماعي عن الإمام زين العابدين عليه السلام لها دلالات واسعة في هذا المجال:

عن سفيان بن عيينة قال: قلت للزهري: لقيت علي بن الحسين عليه السلام؟ قال: نعم لقيته، وما لقيت أحداً أفضل منه، وما علمت له صديقاً في السر ولا عدواً في العلانية، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: لأنّي لم أر أحداً وإن كان يُحبه إلاّ وهو لِشدَّة معرفته بفضله يحسده، ولا رأيت أحداً وإن كان يبغضه

(١) من لا يحضره الفقيه٤: ٣٨٧، ح٥٨٣٤، وصية أمير المؤمنين لأبنه محمد أبن الحنفية.

إلاّ وهو لِشدَّة مداراته له يداريه[١].

وذيل الحديث مصداق لقوله تعالى:﴿**فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[٢].

المعلم الرّابع: التقيّة

تُشكّل التّقية في نظرية أهل البيت عليهم السلام معلماً من المعالم المهمة في فهم الحياة السياسية والاجتماعية، وقد وردت فيها عشرات الروايات ذات القيمة العالية من حيث السند والمضمون والسعة والشمول، ويحتاج هذا الموضوع إلى بحث واسع، سواء على المستوى السياسي والاجتماعي، أم على المستوى الفقهي، ولكن سوف نتناول هذا الموضوع بشكل مختصر يتناسب مع بحثنا هذا.

قيمة «التقية» في نظرية أهل البيت

من خلال الروايات التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام والتي تتحدث عن التّقية، نجد أنَّ هذا المنهج في نظر أهل البيت عليهم السلام يرتبط بقضايا أساسية في الدين، بحيث تأخذ حيّزاً واسعاً من الدِّين والالتزام بالنسبة إلى الإسلام، فقد ورد في بعض الروايات عن أبي جعفر عليه السلام: ((**التقية من ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقيّة له**))[٣].

كما ورد في رواية أُخرى عن أبي عمر الأعجمي أنَّ الصادق عليه السلام قال له: ((**يا أبا عمر إنَّ تسعة أعشار الدين في التّقية، ولا دين لمن لا تقية له**))[٤].

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٥٤١، ح١٠، باب استحباب مدارة الناس.

(٢) فصلت:٣٤.

(٣) وسائل الشيعة١١: ٤٦٠، ح٣، باب وجوب التقية.

(٤) وسائل الشيعة١١: ٤٦٠، ح٢.

ويبدو أنَّ المراد من ‹‹الدِّين›› هنا هو الالتزام بالعهود والمواثيق والأحكام، كما يمكن أن يُستفاد من قول الصادق عليه السلام في رواية أُخرى: ((**لا دين لمن لا تقيّة له، ولا إيمان لمن لا ورع له**))[١].

كما أنَّه يُمكن أن نفهم مدى أهميّة التقية وقيمتها من خلال الآثار والنتائج التي وصفها الأئمّة بأزاء التقية، فقد روي بسند صحيح عن المعلى بن خنيس قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ((**يا مُعلّى اكتم أمرنا ولا تذعه، فإنّه من كتم أمرنا ولم يذعه يذيعه أعزّه الله به في الدّنيا، وجعله نوراً بين عينيه في الاخرة يقوده إلى الجنّة. يا مُعلّى من أذاع أمرنا ولم يكتمه أذلّه الله به في الدّنيا، ونزع النّور من بين عينيه في الآخرة، وجعله ظُلمة يقوده إلى النّار. يا مُعلّى إنّ التّقيّة من ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقية له، يا مُعلّى إنّ الله عزّ وجلّ يُحِب أن يُعبد في السرّ كما يُعبد في العلانيّة، يا مُعلّى المُذيع أمرنا كالجاحد له**))[٢].

وفي الكافي عن عبد الله بن أبي يعفور عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((**اتّقوا على دينكم فاحجبوه بالتّقيّة فإنّه لا إيمان لمن لا تّقيّة له، إنّما أنتم في النّاس كالنّحل في الطّير، لو أنّ الطّير تعلم ما في أجواف النّحل ما بقي منها شيء إلاّ أكلته، ولو أنّ النّاس علموا ما في أجوافكم أنّكم تُحِبّون أهل البيت عليهم السلام لأكلولكم بألسنتهم ولنحلوكم في بالسّرّ والعلانية، رحم الله عبداً منكم كان على ولايتنا**))[٣].

وبهذا التقويم للتّقيّة يُمكن أن نفهم أنَّ التقية تُمثِّل أساساً ومنهجاً

---

(١) وسائل الشيعة١١: ٤٦٥، ح٢٢.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ١٠١، التقية ديني ودين ابائي.

(٣) الكافي٢: ٢١٨، ح٥، باب التقية.

للسلوك الاجتماعي والسياسي مع النّاس، فإنَّ أهل البيت عليهم السلام حينما دعوا شيعتهم وأتباعهم للاختلاط بالناس، والتفاعل معهم، والتلاحم مع وجودهم ومجتمعهم وحكوماتهم، كما عرفنا ذلك في المعلم السابق، وهم في الوقت نفسه الذي يُدركون الأخطار التي سوف تواجهها هذه الجماعة بسبب الاختلافات العقائدية والسياسية والمذهبية بينهم وبين هؤلاء الناس، حيث كانت القضية الدِّينية هي محور كل هذه الاهتمامات في ذلك العصر، لم يكن أمامهم إلاّ أن يضعوا منهجاً لشيعتهم وأتباعهم يُعالجون فيه هذه الأخطار والآثار المترتبة على هذه المعاشرة، فكان هذا المنهج هو ‹‹التّقيّة››.

ومن أجل أن يؤكّد أهل البيت عليهم السلام أنَّ هذا المنهج ليس معالجة آنية محدودة بوقت معيَّن أو بظروف خاصة، بل هو منهج ثابت وعام، جاء هذا التقويم لهذه التقية، وأعطوها هذه القيمة المُهمَّة.

علاقة التقيّة بموضوع الوحدة

وهنا يُطرح التالي: لماذا اختار أهل البيت عليهم السلام التقية؟ وما هو الهدف منها بشكل محدود؟ وما هو مضمونها؟

وقد أجاب أهل البيت عليهم السلام عن هذا السؤال ونظائره من الأسئلة التي تُثار حول القضية.

فقد كان أَمَام أهل البيت عليهم السلام عِدَّة خيارات تجاه علاقة شيعتهم وأتباعهم، وهم يُمثّلون النخبة القليلة في المجتمع الإسلامي الذي يُعبِّر عنهم أهل البيت عليهم السلام بـ‹‹النّاس›› و‹‹العامّة›› خصوصاً في القرون الأولى للتأريخ الإسلامي.

الخيار الأول: دعوة أتباعهم إلى الانعزال والانكفاء على النفس، واللجوء إلى الجبال والغابات وغيرها من المناطق البعيدة عن تناول السلطة

والاحتكاك بالناس، والتخندق هناك من أجل المحافظة على دينهم وعقيدتهم ومبدئهم والجهر به.

وهذا الخيار لم يرض به أهل البيت عليهم السلام كما عرفناه في الأبحاث السابقة للأسباب التي أُشير إليها سابقاً، لأنَّهم بحاجة إلى الناس، ولأنَّ لهم دوراً في التأثير وإبلاغ الرسالة والحق لهؤلاء الناس، ولو عن طريق القدوة الحسنة، ولأنَّهم لابُدَّ أن يتحملوا مسؤولية الدفاع عن العقيدة الإسلامية والكيان السياسي للإسلام والأُمّة الإسلامية، ويساهموا عملياً في ذلك، وغير ذلك من الأسباب.

الخيار الثاني: الدخول في مواجهة علنية ومستمرة مع الناس في جميع تفاصيل الحياة الإسلامية، أو في خصوص القضايا الأساسية منها كقضية الولاية والحكم والشعائر العباديّة، وبعض تفاصيل العقيدة المُهمة.

وهذا الخيار سوف يؤدي بطبيعة الحال إمّا إلى استئصال الجماعة الصالحة من أتباعهم، ووقوع البقية الباقية منهم في الانحراف وتغيير مذهبهم والتزاماتهم، تحت تأثير القمع والمطاردة والإرهاب، وهذا الاحتمال هو الذي كان يراه أهل البيت عليهم السلام راجحاً في تحليلهم السياسي والاجتماعي للأوضاع السياسية، والذي أشارت إليه بعض النصوص السابقة، وخصوصاً روايتا إبن أبي يعفور والمُعلّى بن خنيس السابقتين.

ويؤكّده أيضاً ما ورد من قول أبي جعفر الباقر عليه السلام: ((**وأيّ شيء أقرّ لعيني من التّقيّة، إنّ التّقيّة جنة المؤمن**))[1].

والرواية الصحيحة الأُخرى عن الصادق عليه السلام: ((**التقية ترس المؤمن،**

---

(١) وسائل الشيعة١١: ٤٦٠، ح٤، باب وجوب التقية.

والتقية حرز المؤمن، ولا إيمان لمن لا تقية له... إنَّ العبد ليقع إليه الحديث من حديثنا فيدين الله ﷻ به فيما بينه وبينه، فيكون له عزاً في الدنيا ونوراً في الآخرة، وإنَّ العبد ليقع إليه الحديث من حديثنا فيذيعه فيكون له ذلاً في الدنيا، وينزع الله ذلك النور منه))[1].

أو تمكّن الجماعة من الصمود والبقاء والاستمرار، وهذا مما يؤدي حتماً إلى انعزال الجماعة، وإيجاد الاضطراب وعدم الاستقرار، والتجزئة والانفصام في المجتمع الإسلامي، وهذا ممّا لا ينسجم مع الخط الذي رسمه أهل البيت عليهم السلام في التَّعايش الاجتماعي مع المسلمين من النّاس حتماً.

الخيار الثالث: التقية، ومن خلال ملاحظتنا ونقدنا للخيارين السابقين، نجد أنَّه لا مناص من التزام منهج التقية لا خوفاً ولا جبناً بل انطلاقاً من مبدأ التعايش الاجتماعي الذي أكَّده أهل البيت عليهم السلام، وإلاّ فإنَّ شيعة أهل البيت عليهم السلام هم أهل التضحية والفداء والصبر والصمود والتَّحمّل، الذين تربّوا في مدرسة علي عليه السلام والحسن والحسين واولادهم عليهم السلام، ولعلَّ الذي يؤيد هذا الفهم هو هذا التأكيد الصادر من أهل البيت عليهم السلام على أهميّة التقية ودعوة شيعتهم إلى التمسّك بها، مع أنَّ التقية حالة نفسية طبيعة في النفس البشرية، يتجه اليها الإنسان عندما يحس بالخطر، ويشعر بتصاعد نسبة احتمالات الأذى والضرر... لأنَّ شيعة أهل البيت عليهم السلام قد تربّوا على المعارضة والمواجهة والصبر والصمود والتضحية والفداء والاستعداد لتحمل مختلف ألوان الاذى والضرر في سبيل المبدأ والعقيدة، الأمر الذي يجعل تأثير الحالة النفسية الطبيعية تأثيراً محدوداً تتجاوزه التربية العقائدية والمبدئية لشيعتهم

---

(١) وسائل الشيعة١٨: ٢٦، ح٤١، باب وجوب العمل بأحاديث النبي والائمة.

وأتباعهم، الأمر الذي يفرض وجود الحاجة إلى تربية عقائدية ومبدئية مماثلة توازن تلك الحالة الروحية والمعنوية العالية، وهذا المعنى يبدو واضحاً جليّاً من خلال لغة التأكيد والتهديد والوعيد التي استخدمها أئمّة أهل البيت عليهم السلام في الدّعوة إلى التقية.

كما أنَّ الذي يوضّح هذه الفكرة بشكل أكثر هو أنّنا نجد أهل البيت عليهم السلام لم يضعوا منهج التقية لمعالجة حالات الخطر والضرر فحسب، بل وضعوا هذا المنهج بشكل أوسع وأشمل، الأمر الذي يعني أنَّ المُنطلق في ذلك هو مبدأ ‹‹التّعايش الاجتماعي››، والمحافظة على وحدة المجتمع الإسلامي وتماسكه وقوته من ناحية، وإيجاد الفرصة لتكامل هذا المجتمع من خلال تأثير وحركة هذه الجماعة الصالحة فيه من ناحية أُخرى.

نظرة عامّة ومتكاملة لمنهج التّقيّة

ولتوضيح هذا الأمر، واستكمالاً لتكوين نظرة عامة متكاملة عن منهج التقية، يُحسن بنا أن نُشير إلى الموارد التي ذكرها أهل البيت عليهم السلام لاستخدام أُسلوب التقية وعلاقتها بقضية الخوف والقمع.

ومن خلال المراجعة السريعة لأخبار التقية يُمكن أن نتبيَّن أنَّ هناك مواردا ومجالات ثلاثة عامة وأساسية يتم استخدام التقية فيها ذكرها أهل البيت عليهم السلام:

الأول: التعرض للخطر أو الضرر

قد يتعرض الانسان الى ضرر بسبب اتهامه بالتزامات عقائدية وسياسية أو سلوكية، ترتبط بهذه العقائد والمتبنيات، حيث وردت النصوص بوجوب ‹‹التقية›› في مثل هذه الموارد دفعاً لهذه الأخطار والأضرار.

و‹‹التقية›› هنا تعني أن يُظهر الإنسان التزاماً بعقيدة أو سلوكاً على

خلاف الواقع، تخلُّصاً من محاولات القمع والإرهاب التي يبدو أنَّه سوف يتعرّض لها إذا لم يفعل ذلك.

وقد أكَّد أهل البيت عليهم السلام وجوب التقية في هذا المورد ومشروعيتها، من خلال الاستشهاد بما ورد في قضية عمَّار بن ياسر عندما أُكرِه على البراءة من رسول الله صلى الله عليه وآله في الفترة المكّيّة من تأريخ الدعوة الإسلامية، والتي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[1].

كما يستشهد في الرّوايات بقصّة أهل الكهف الذين أظهروا الشرك بالله فترة من الزمن، وأسرُّوا الإيمان حتى جاءهم الفرج.

ومن الواضح أنَّ هذا الموقف ليس نفاقاً أو كذباً أو كفراً بالله تعالى ومخالفة لأحكامه، بل هو لضرورة تفرضها الاخطار التي تواجه الإنسان، أو الأضرار التي يخافها، حيث يقع التّزاحم بين الأهمّ والمهم من هذه المصالح، فيُقدَّم الأهم منها وهو دفع الضرر عن نفسه، ومن الواضح أنَّ هذه الأضرار إنّما هي ذات طابع شخصي، والموقف يتَّسم بهذا الطابع الشخصي أيضاً.

وقد وردت نظائر في الشريعة تؤكّد هذا الاتجاه، وذكرها لا يُراد منه الاستدلال والقياس، وإنَّما تقريب الفكرة إلى الأذهان، فأكل الميتة حرام في الشريعة، ولكن عندما يضطرّ الإنسان إليه يصبح حلالاً بقدر هذا الاضطرار، كما صرّح القرآن الكريم بذلك[2].

---

(١) النحل: ١٠٦.

(٢) ﴿**إنما حرم عليكم الميتَةَ والدم ولحم الخِنزير وما أُهِل بِهِ لِغَير اللّهِ فَمن اضطُر غَير باغٍ ولا عادٍ فَلا إِثْم عليهِ إِن اللّه غَفُور رحِيم**﴾، التوبة: ١٣٧.

كما أنَّ الحديث الشريف نصٌّ على الرّخصة في موارد الاضطرار في قوله ﷺ: ((**رُفع عن أمتي تسع... وذكر ‹‹ما اضطرّوا اليه››**))[١]، وفي قوله تعالى:﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾[٢]، وكذلك في حديث ((**لاضرر ولاضرار في الإسلام**))[٣]، الذي يعتبره الفقهاء من القواعد المهمّة التي يُطبِّقونها في موارد نفي الأحكام الشرعية الثابتة إذا كانت ‹‹ضرريَّة›› أو ‹‹حرجيَّة››، إلاّ إذا كان الحكم الشرعي بطبيعته ضرري أو حرجي، كالجهاد في سبيل الله، أو الإنفاق في سبيل الله، أو غيرهما من الموارد.

وفي هذا المجال نجد أهل البيت عليهم السلام يضعون حدّاً وسقفاً لاستخدام التقية، وهو ما إذا كانت التقية تؤدي إلى الاضرار بالآخرين، وسفك دمائهم، أو تعرضهم للأخطار، كما في قول الإمام الباقر عليه السلام في حديث معتبر: ((**إنّما جعل التقية ليُحقن بها الدم فإذا بلغ الدم فليس تقية**))[٤].

وكذلك إذا كانت التقية تؤدي إلى التهاون في نُصرة الإسلام والمسلمين التي تفرضها موازين الجهاد في سبيل الله فإنَّها تصبح غير مشروعة ولا مبرَّرة، فقد ورد في الحديث المعتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**لم تبق الأرض إلاّ وفيها مِنّا عالم يعرف الحق من الباطل وقال انما جعلت التقية ليحقن بها الدم فإذا بلغت التقية الدم فلا تقية، وأيم الله لو دعيتم لتنصرونا لقلتم لا نفعل إنّما نتقي!! ولكانت التقية أحب إليكم**

---

(١) وسائل الشيعة١١: ٢٩٥، ح١، باب جملة مما عفا عنه.

(٢) الحج:٧٨.

(٣) معاني الأخبار:٢٨١، ومثله وسائل الشيعة١٧: ٣٧٦، ح١٠، باب أن الكافر لا يرث المسلم ولو ذمياً.

(٤) وسائل الشيعة١١: ٤٨٣، ح١، باب عدم جواز التقية في الدم.

من آبائكم وأمهاتكم، ولو قد قام القائم ما احتاج إلى مسائلتكم عن ذلك، ولأقام في كثير منكم من أهل النّفاق حد الله))[١]، وفي حديث آخر يُقدِّم الإمام من أهل البيت عليهم السلام القاعدة العامّة لهذه التقية: ((**لان للتقية مواضع من أزالها عن مواضعها لم تستقم له، وتفسير ما يُتّقى مثل أن يكون قوم سوء ظاهر حكمهم وفعلهم على غير حكم الحق وفعله، فكل شيء يعمل المؤمن بينهم لمكان التقية ممّا لا يؤدي إلى الفساد في الدين فإنّه جائز**))[٢].

كما أنّه ورد التأكيد من أهل البيت عليهم السلام على أنّ الإنسان يجب عليه أن يبذل ماله ونفسه دون دينه[٣].

وقد ترك أهل البيت عليهم السلام تقدير الضرر في هذا النوع من التقية إلى الأشخاص أنفسهم، فقد ورد في الحديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: ((**التقية في كل ضرورة وصاحبها أعلم بها حين تنزل به**))[٤]، و((**التقية في كل شيء يضطر إليه ابن آدم فقد أحلّه الله له**))[٥].

ولكن شدَّدوا في التَّقيُّد بالضرر، وعدم التّهاون، ولذلك نجد أهل البيت عليهم السلام يستثنون بعض الموارد من التقية؛ لأنّهم يُشخِّصون أنّ الضرورة فيها ليست بالمستوى الذي تسمح لهذا الإنسان أن يترك الواجب أو يُخالف النواهي والشروط الشرعية، فقد روى الكليني في الكافي بسند صحيح عن زرارة بن

---

(١) وسائل الشيعة١١: ٤٨٣، ح٢، باب عدم جواز التقية في الدم.

(٢) وسائل الشيعة١١: ٤٦٩، ح٦، باب وجوب التقية في كل ضرورة.

(٣) وسائل الشيعة١١: ٤٥١، ح٢، باب وجوب بدل المال دون النفس والعرض.

(٤) وسائل الشيعة١١: ٤٦٧، ح١، باب وجوب التقية في كل ضرورة.

(٥) وسائل الشيعة١١: ٤٦٧، ح٢ ، باب وجوب التقية في كل ضرورة.

أعين قال: ((**قلت له ‹‹الصادق عليه السلام›› في مسح الخفين تقية؟ فقال: ثلاثة لا أتّقي فيهن أحداً شرب المسكر، ومسح الخفين، ومتعة الحج، قال زرارة: ولم يقل الواجب عليكم ألا تتّقوا فيهنّ أحداً**))[1].

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي في رواية عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ((**لما جعل المأمون إلى علي ابن موسى الرضا عليه السلام ولاية العهد، دخل عليه آذنه فقال: إن قوما بالباب يستأذنون عليك، يقولون: (نحن من شيعة علي عليه السلام). فقال: أنا مشغول فاصرفهم! فصرفهم إلى أن جاؤا هكذا يقولون ويصرفهم شهرين، ثم أيسوا من الوصول فقالوا: (قل لمولانا إن شيعة أبيك علي بن أبي طالب عليه السلام قد شمت بنا اعداؤنا في حجابك لنا، ونحن ننصرف عن هذه الكرة، ونهرب من بلادنا خجلا وأنفة مما لحقنا، وعجزا عن احتمال مضض ما يلحقنا من أعدائنا). فقال علي بن موسى عليهما السلام: إئذن لهم ليدخلوا، الى ان قال، فقالوا: يابن رسول الله ما هذا الجفاء العظيم، والاستخفاف بعد هذا الحجاب الصعب، أي باقية تبقى منا بعد هذا؟ فقال الرضا عليه السلام: اقرؤا: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ والله ما اقتديت إلا بربي عز وجل وبرسوله وبأمير المؤمنين ومن بعده من آبائي الطاهرين عليهم السلام، عتبوا عليكم فاقتديت بهم. قالوا: لماذا يابن رسول الله؟ قال: لدعواكم انكم شيعة أمير المؤمنين! ويحكم ان شيعته: الحسن والحسين وسلمان، وابو ذر، والمقداد، وعمار، ومحمد بن أبي بكر الذين لم يخالفوا شيئا من أوامره، وأنتم في أكثر أعمالكم له مخالفون، وتقصرون في كثير من الفرائض وتتهاونون بعظيم حقوق اخوانكم في الله، وتتقون حيث**

---

(١) الكافي٣: ٣٢، ح٢، باب مسح الخف.

لا تجب التقية، وتتركون التقية حيث لابد من التقية))[1].

الثاني: كتمان الأسرار

حجب الاسرار عن الأعداء أو المتربّصين أو الطغاة او الغوغاء من العامّة الذين ينعقون من كل ناعق، ويميلون مع كل ريح، ولاشكّ أنَّ الائمّة من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم وأتباعهم كانوا يبثون أفكاراً، ويلتزمون بعقائد وسياسيات تعرّضهم لمختلف ألوان الاضطهاد والقمع لو تم الكشف عنها أو الالتزام بها، وفي مقدمتها نظريتهم في الخلافة والولاية، فإنَّهم كانوا يرون أنَّ الخلافة والولاية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إنَّما هي لعلي عليه السلام بالنص من قبل النبي صلى الله عليه وآله على ذلك، كما كانوا يرون في الخليفة شروطاً ومواصفات لا تنطبق على الخلفاء الذين كانوا يعاصرونهم، خصوصاً في زمن الأمويين والعباسيين الذين كانوا يمارسون ألواناً من الظلم والاستهتار ويتّصفون بالانحراف في السلوك والسياسات، كما انهم في مذهبهم في العقائد والفقه كانوا يأخذون عن القرآن الكريم ورسول الله صلى الله عليه وآله والسلسلة الذهبية المتمثلة بعلي عليه السلام وأولاده الطاهرين، بخلاف عامّة المسلمين الذين كانوا يأخذون عن الصحابة بشكل عام دون تمييز بعضهم عن البعض الآخر مع اختلاف الصحابة في التقوى والفهم والمعرفة والأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله، بل كان عامّة المسلمين لا يقتصر في ذلك على الأخذ من الصحابة، بل كانوا يأخذون من المجتهدين والحكّام وما تُروِّجه السلطة من عقائد وأحكام.

وبذلك أصبح لأهل البيت عليهم السلام وأتباعهم خط سياسي وثقافي ومذهبي يدل على وجودهم وحركتهم، يتوجّس منه الحُكّام والظالمون وأعوانهم

---

(١) الاحتجاج٢: ٢٣٦، ح٣١٨، باب في معنى شيعة أمير المؤمنين.

والملتزمون بسياساتهم، ويُحرِّضون عليه العامّة من الناس، بالإضافة إلى فئات الحساد والمنافسين وورثة الأحقاد والعداوات، وقد مارس الحُكّام - بالفعل - ألواناً من الاضطهاد والقمع والمطاردة والمراقبة والاحصاء للأنفاس بسبب المواجهات التي حصلت في العالم الإسلامي، وكان النهوض والثورة وانتفاضات الإصلاح والاحتجاج والرَّفض للظلم والاضطهاد منذ زمن الانتفاضة على الخليفة الثالث ‹‹عثمان›› وحتى ملحمة كربلاء ومقتل الحسين عليه السلام ثم مصارع الكرام من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله من آل الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام في زمن الأمويين والعباسيين.

كل ذلك وضع أتباع أهل البيت عليهم السلام في الخيارات السابقة الثلاثة التي أشرنا إليها، وجعل كل تصرّف أو سلوك لهم تحت الرقابة ويؤشّر إلى طبيعة إلتزاماتهم وعقائدهم، فدعا أئمة أهل البيت عليهم السلام شيعتهم إلى التَّستّر والكتمان لهذه المؤشرات، وأكَّدوا من أجل الحفاظ على الجماعة الصالحة من جهة، ووحدة المسلمين واستقرار المجتمع الإسلامي من جهة أُخرى على هذا الكتمان الذي سمّوه بالتقية أيضاً.

فقد روى الكليني في الكافي بسند صحيح عن سليمان بن خالد عن أبي عبد الصادق عليه السلام قال: ((**قال أبو عبد الله عليه السلام: يا سليمان إنّكم على دين مَنْ كتمه أعزّه الله ومن أذاعه أذلّه الله**))[1].

وعن علي بن الحسين عليهما السلام قال: ((**وددت والله أنّي افتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض لحم ساعدي: النّزق وقلّة الكتّمان**))[2].

---

(١) الكافي٢: ٢٢٢، ح٣، باب الكتمان.

(٢) الكافي٢: ٢٢١، ح١.

وعن عبد الأعلى قال: ((**سمعت أبا عبد الله**عليه السلام **يقول: أنّه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقط، من احتمال أمرنا ستره وصيانته من غير أهله، فاقرئهم السلام وقل لهم: رحم الله عبداً اجتّر مودّة النّاس الى نفسه حدّثوهم بما يعرفون واستروا عنهم ما يُنكرون...**))[1].

ويشتدّ الإمام الصادق عليه السلام في الانكار على مذيعي الأسرار والذين يُعرِّضون إمامهم وجماعتهم للمهالك.

وعن القاسم شريك الفضل وكان رجل صدق قال: ((**سمعت أبا عبد الله ‹‹الصادق**عليه السلام**›› يقول: خَلْقٌ في المسجد يشهروننا ويشهرون أنفسهم أولئك ليسوا مِنّا ولا نحن منهم، أنطق فأداري وأستر فيه تكون ستري، هتك الله ستورهم يقولون: إمام، أما والله ما أنا بإمام إلاّ من أطاعني، فأمّا من عصاني فلست له بإمام لم يتعلقون باسمي؟ ألا يكفّون اسمي من أفواههم، فو الله لا يجمعني الله وإياهم في دار**))[2].

وقد تقدَّمت رواية عبد الله بن أبي يعفور والمُعلّى بن خنيس والتي عبَّرت عن هذه الحقيقة بشكل واضح، وكذلك الروايات التي تقول أنَّ التقية جنة المؤمن وحرز المؤمن.

وفي هذا الصراط جاءت الروايات التي تأمر بالكفّ عن الجدال في الدّين، فإنَّ الأئمّة عليهم السلام مع إيمانهم بأنَّهم على الحق والهدى، ومعرفتهم بقوّة حجتهم والتزامهم بمنهج الحريّة في الفكر - كما سوف نعرف - حثّوا بعض أتباعهم عن الامتناع عن الدخول في الجدال والمناقشات، فعن علي بن

---

(١) الكافي٢: ٢٢٢، ح٥، باب الكتمان.

(٢) الكافي٨: ٣٧٤، ح٥٦٢، قال أبو عبد الله أنا إمام من أطاعني.

يقطين قال: ((**قال أبو الحسن‹‹الكاظم عليه السلام››: مُرْ أصحابك أنْ يكفُّوا ألسنتهم ويدعوا الخصومة في الدين ويجتهدوا في عبادة الله عزّ وجلّ**))[١].

وفي حديث آخر صحيح ((**قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: احذروا عواقب العثرات**))[٢].

وروى الصدوق في معاني الأخبار بسند صحيح عن هشام بن سالم قال: ((**سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: ما عُبِد الله بشيء أحبّ إليه من الخبء، قلت: وما الخبء؟ قال: التقية**))[٣].

وعن سفيان بن سعيد قال: ((**سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: عليك بالتقية فإنّها سُنّة إبراهيم الخليل عليه السلام... إلى أن قال: يا سفيان من استعمل التقية في دين الله فقد تسنّم الذروة العليا من القرآن وإنّ عزّ المؤمن في حفظ لسانه ومن لم يملك لسانه ندم... الحديث**))[٤].

وتتضح أهميّة التقية بمعنى الكتمان في نظر أهل البيت عليهم السلام من خلال النتائج والآثار التي كانوا يتوقعونها بسبب موقف الحكومات الظالمة، أو عمليات التشهير والتّحريف والإثارة في أوساط جمهور الأُمّة ضد الجماعة الصالحة وأهل البيت عليهم السلام أنفسهم، بعد أن أصبحت العقول العامّة مغلّفة بالأُطر التي وضعتها السلطة أو فقهاؤها، أو تحوّل القضايا الجزئية التفصيلية في المتبنّيات العقائدية والفقهية محاور للصراع والتخندق والتعصب، فهناك العشرات من الأحاديث التي وردت في هذا الموضوع تومئ إلى هذا

---

(١) وسائل الشيعة١١: ٤٥٨، ح٢٧، باب عدم جواز الكلام في ذات الله.

(٢) وسائل الشيعة١١: ٤٦٠، ح٥، باب وجوب التقية.

(٣) معاني الأخبار: ١٦٢، باب معنى الخبء.

(٤) وسائل الشيعة١١: ٤٦٢، ح١٦، باب وجوب التقية.

التفسير، وهذه الحقيقة:

ففي الكافي بسند صحيح عن عثمان بن عيسى عن أبي الحسن عليه السلام قال: ((**إنْ كان في يدك هذه شيء فإن استطعت أن لا تعلم هذه فافعل، قال: وكان عنده إنسان فتذاكروا ‹‹الإذاعة›› فقال: احفظ لسانك تُعَز، ولا تُمكِّن النّاس من قياد رقبتك فتذل**))[١].

وفي سند صحيح عن محمد بن مسلم قال: ((**سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: يُحشر العبد يوم القيامة وما ندا دماً، فيدفع إليه شبه المحجمة أو فوق ذلك، فيقال هذا سهمك من دم فلان، فيقول يا ربِّ إنّك تعلم أنّك قبضتني وما سفكت دماً، فيقول: بلى، ولكنّك سمعت من فلان رواية كذا وكذا فرويتها عليه فنقلت عليه حتى صارت إلى فلان الجبّار فقتله عليها وهذا سهمك من دمه**))[٢].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((**من اذاع علينا شيئاً مِن أمرنا فهو كمن قتلنا عمداً ولم يقتلنا خطأ**))[٣].

وهذا الموقف الذي يُعبَّر عنه بالتقية منهج عام تلتزم به كل الجماعات والتنظيمات التي تتعرض إلى القمع، بل تلتزم به كل الدول والحكومات وكل العقلاء والحكماء الذين يشعرون بالخطر عند إفشاء أسرارهم.

الثالث: المُجاملة والتلطّف وحسن المعاشرة مع الناس

وقد انطلق أهل البيت عليهم السلام في هذا المورد من مبدأ التعايش الاجتماعي بشكل واضح من ناحية، ومن مبدأ أخلاقي عام اهتم به أهل البيت عليهم السلام في

---

(١) الكافي٢: ٢٢٥، ح١٤، باب الكتمان.

(٢) وسائل الشيعة١١: ٤٩٥، ح١٤، باب تحريم إذاعة الحق مع الخوف به.

(٣) وسائل الشيعة١١: ٤٩٦، ح١٦.

موروثهم عن رسول الله ﷺ في العمل الاجتماعي والذي تكون له آثار ايجابية حسنة تنعكس - بطبيعة الحال - على قضيّة التّعايش الاجتماعي أيضاً.

أما مبدأ التعايش الاجتماعي فقد تحدَّثنا عنه في المعلم الثالث، وأمّا المبدأ الأخلاقي فهو مبدأ حُسن المعاملة والتودُّد في الناس، وإبداء المرونة والملاينة معهم، والمُداراة لهم، والبشاشة في وجوههم، والذي يُعبِّر عنه الشارع المقدَّس بحسن الخلق والمعاشرة.

وقد وردت روايات عديدة عن أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم الرسول ﷺ تؤكِّد على هذا المبدأ الأخلاقي الرَّفيع، حيث ذكرنا بعضها في المعلم السابق.

فقد روى البرقي عن الصادق عليه السلام عن عن آبائه عليهم السلام قال: ((**قال رسول الله ﷺ: من لم يكن فيه تراث لم يقم له عمل: ورع يحجزه عن معاصي الله، وخُلق يُداري به الناس، وحلم يردّ به جهل الجاهل**))[1].

وفي حديث آخر عن الصادق عليه السلام قال: ((**قال رسول الله ﷺ: التودّد إلى الناس نصف العقل**))[2].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((**قال الحسن بن علي عليهما السلام: القريب من قرّبته المودّة وإنْ بعد نسبه، والبعيد من بعّدته المودّة وإن قرب نسبه، لا شيء أقرب إلى شيء من يد إلى جسد، وإنّ اليد تغل فتقطع وتقطع فتحسم**))[3].

---

(١) المحاسن١: ٦، ح١٣، كتاب الاشكال والقرائن باب الثلاثة.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٤٣٣، ح٥، باب استحباب التحبب الى الناس.

(٣) وسائل الشيعة٨: ٤٣٣، ح٤، باب استحباب التحبب الى الناس.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**مجاملة الناس ثلث العقل**))[١].

وفي حديث صحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله ألا أخبركم بِمَن تحرم عليه النّار غداً، قالوا: بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وآله: الهيّن القريب اللّيّن السهل**))[٢].

وفي الحديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ((**أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل فقال: يا رسول الله أوصني، فكان فيما أوصاه أن قال: إلق أخاك بوجه منبسط**))[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بَني عبد المطلب إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم فألقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر**))[٤].

وقد عقد صاحب الوسائل باباً مستقلاً لاستحباب مداراة الناس ضمنه عدداً من الأحاديث منها:

روى الكليني بسند صحيح عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمرني ربّي بمدارة الناس كما أمرني بأداء الفرائض**))[٥].

وروي أيضاً بسند عن حبيب السجستاني عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ((**في التوراة مكتوب فيما ناجى الله عز وجل به موسى بن عمران ياموسى اكتم مكتوم سرّي في سريرتك وأظهر في علانيتك المداراة عنّي لعدوّي وعدوّك مِن خلقي ولا تستسب لي عندهم بإظهار مكتوم سرّي فتُشرك عدوّك**

---

(١) وسائل الشيعة٨: ٤٣٤، ح١، باب استحباب مجاملة الناس.

(٢) وسائل الشيعة٨: ٥١١، ح١، باب استحباب كون الإنسان هيناً ليناً.

(٣) الكافي٢: ١٠٣، ح٣، باب حسن البشر.

(٤) الكافي٢: ١٠٣، ح١، باب حسن البشر

(٥) الكافي٢: ١١٧، ح٤، باب المداراة.

وعدوّي في سبّي))[١].

وقد مرّت علينا وصيّة الإمام علي عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية بهذا الشأن:

روى البرقي في المحاسن بسند صحيح عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا**﴾ **قال: ((بما صبروا على التقية، ﴿وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ قال: الحسنة التقية والاذاعة السيئة))**[٢] وايضاً روى بسند صحيحة عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ**﴾ قال: **((الحسنة التقية والسيئة الاذاعة وقوله ادفع بالتي هي احسن السيئة قال: التي هي احسن التقية فأذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم))**[٣].

وهذا الحديث يجمع بين موارد التقية الثلاثة في تفسيره لهذه الآيات الثلاثة، ويكون المورد الثالث هو الآية الأخيرة بقرينة قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[٤].

وفي حديث الصدوق في معاني الأخبار بسنده عن سفيان بن سعيد قال: **((سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: وكان والله صادقاً كما سمي يقول: يا سفيان عليك بالتقية فإنّها سُنّة إبراهيم الخليل عليه السلام... إلى أن قال: وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا أراد سفراً وروى بغيره، وقال عليه السلام: أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض، ولقد أدّبه الله عزّ وجلّ بالتقية فقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيم ۞**

---

(١) الكافي٢: ١١٧، ح٣.

(٢) المحاسن١: ٢٥٦، ح٢٩٦، باب التقية.

(٣) المحاسن١: ٢٥٦، ح٢٩٧.

(٤) فصلت:٣٤.

وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[١]، يا سفيان من استعمل التقية في دين الله فقد تسنّم الذروة العُليا من العز، إنّ عزّ المؤمن في حفظ لسانه ومن لم يملك لسانه ندم))[٢].

وفي حديث آخر رواه الصدوق في الخصال يذكر فيه أقسام درجات الناس، ويضرب له مثلاً في التعامل معهم ثم يقول في آخره: ((**أما علمت أنّ إمارة بَني أُميّة كانت بالسيف والعسف والجور، وإنّ أمارتنا بالرّفق والتآلف والوقار والتقية وحُسن الخلطة والورع والاجتهاد، فرّغبوا النّاس في دينكم وفيما أنتم فيه**))[٣].

---

(١) فصلت:٣٤ - ٣٥.

(٢) معاني الأخبار: ٣٨٥، ح٢٠، باب نوادر المعاني.

(٣) الخصال: ٣٥٤، ح٣٥، وضع الله وتعالى الإسلام على سبعة أسهم.

الفصل الثاني

هامش الاختلاف والتعدد

أهميّة وجود هامش الاختلاف

بعد أن عرفنا المعالم الأساسية في نظرية أهل البيت عليهم السلام تجاه الوحدة في المجتمع الإسلامي، لابُدَّ أن نعرف أنَّ من جملة الأُسس والمعالم لهذه النظرية هو الإيمان بوجود هامش للاختلاف والتعدّد بين المسلمين، يمكن أن يستوعب الاختلاف في الفهم والاجتهاد والمواقف مع قطع النظر عن مدى صحة هذه الاجتهادات والمواقف، ومدى انسجامها مع الحق والصواب، ذلك أنَّ المجتمع الإسلامي الواسع إذا أُريد له النمو والتطور والقدرة على الاستيعاب و الشمول والتعايش بين جماعاته وأقوامه، فلابُدَّ من وجود هذا ‹‹الهامش›› الذي قد يتَّسع أو يضيق بحسب الظروف والأوضاع التي يعيشها المجتمع الإسلامي، لأنَّ هذا الهامش سوف يكون صيانة ووقاية لهذه الوحدة الإسلامية، ودرعاً يُجنّبها الأزمات والاختلافات، ويحفظها من تحوّل هذه الاختلافات الطبيعية بسبب الضغوط إلى متفجرات تنسف هذه الوحدة أو تُمزّقها أو تشوّه صورتها.

ولعلَّ أحد الأسباب الرئيسية لما شهده العالم الإسلامي في تأريخه الطويل من اختلافات وصراعات حادَّة سُفِكت فيها الدماء وشُرِّد فيها الآلاف من أبناء هذه الجماعة أو تلك، هو عدم وجود مثل هذا الهامش المُعترف فيه ‹‹واقعياً›› في النظرية وإن كانت بعض منطلقاته أحياناً بعيدة عن الحق أو الصواب.

ففي التجربة الأولى لصدر الإسلام في زمن النَّبيّ صلى الله عليه وآله، نجد أنَّ تحرُّك المنافقين وبعض ضعفاء النفوس، وكذلك بعض أهل الكتاب بالرّغم من أنَّه كان مُداناً من قبل القرآن الكريم والإسلام إلاّ أنَّه كان مسموحاً به، والقرآن الكريم مليء بالملاحظات ومعالجة الشُّبهات التي كان يثيرها هؤلاء، والأجوبة عن الأسئلة والاستفهامات وكذلك إعطاء المواقف تجاه تحركهم، ولم تدخل

الدولة الإسلامية معهم في صراع مسلح، أو مطاردة قمع واستئصال، أو قرار منع للأفكار والطّروحات والمناقشات، إلى أنْ تطوَّر وضع المنافقين إلى حد الدخول في التآمر والاصطفاف مع الأعداء الخارجيين الذين كانوا يقاتلون المسلمين، عندئذ جاء التهديد لهم بالنّفي أو القتل، كما جاء في سورة الأحزاب بعد الأحداث التي شهدها المسلمون فيها:

﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۞ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾(١).

هذا فضلاً عن الآراء ووجهات النَّظر المختلفة التي كانت تصدر عن بقيّة المسلمين الصالحين، والتي كان يعالجها القرآن الكريم بطريقة أو بأُخرى، سواء كانت على المستوى السياسي أم الاجتماعي أم الفكري أم العقائدي، حيث كان القرآن الكريم والنَّبيّ الأعظمﷺهو الملجأ لحل هذه الاختلافات والاجتهادات:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾(٢).

حيث جاءت هذه الآية في سياق قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾(٣).

---

(١) الأحزاب: ٦٠ - ٦١.

(٢) الحجرات: ٧.

(٣) الحجرات: ٦.

نظرية أهل البيت عليهم السلام وهامش الاختلاف

ومن هذا المُنطلق نجد أنَّ أحد الامتيازات المُهمّة التي تمتاز بها نظرية أهل البيت عليهم السلام بين المذاهب الإسلامية هو وجود التصوّر عن هذا الهامش، بخلاف النظريات الأُخرى في التأريخ التي اتَّسمت بالالتزام بالعنف والجور لفرض الرأي الواحد على الأُمّة، بحيث تتحول الوحدة إلى وحدة مفروضة من الخارج على الأُمّة بالقوّة والعنف، ولعلَّ الحديث الذي ذكرناه في آخر بحث ‹‹التقية›› الذي رواه الصدوق في الخصال يُعبِّر عن هذا الاتجاه النظري:

((أما علمت أنَّ إمارة بني أُميّة كانت بالسيف والعسف والجور، وإنَّ إمارتنا بالرفق والتآلف والوقار والتقية وحسن الخلطة والورع والاجتهاد، فرّغبوا الناس في دينكم وما أنتم فيه))[1].

ولكن هذا الهامش لا يصح أن يبقى مفتوحاً بدون حدود، وإلاّ لتحول المجتمع الإسلامي إلى النزاع والصراع والاتجاه إلى النظرية التي تؤمن بالفرقة، والتمييز بين جماعات المسلمين، كما شاهدنا ذلك في بعض أدوار التأريخ الإسلامي وفي عصرنا الحاضر، وهذه الحدود يجب أن تتضح سواء على مستوى المجالات، أم على متسوى الممارسة الفردية والجماعية.

وسوف نشير في البداية إلى المجالات التي تؤمن نظرية أهل البيت عليهم السلام بوجود هذا الهامش من الاختلاف و التعدّد من ناحية، والحدود الموضوعة لحركة هذا الهامش، ثم بعد ذلك نشير بشكل إجمالي إلى النظريتين الأُخريتين، والتي تُمثِّل نظرية أهل البيت عليهم السلام ‹‹النظرية الوسط›› بينهما في

---

(١) الخصال: ٣٥٤، ح٣٥، وضع الله تعالى الاسلام على سبعة أسهم.

الوحدة الإسلامية، وفي حركتها في التأريخ الإسلامي.

أولاً: مجالات الهامش التعدّدي

يمكن أن نشير إلى ثلاثة مجالات رئيسية يمكن استنباطها من نظرية أهل البيت عليهم السلام سواء على مستوى الطّرح النظري، أم مستوى الممارسة لهم:

الأول: الحرّية الفكرية والعقائدية

لاشكَّ أنَّ الإسلام الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله من عند الله عزّ وجلّ يملك صيغة عقائدية وفكرية واحدة ومحدَّدة، تضمَّنها القرآن الكريم والسنّة النّبوية المباركة.

ولاشكَّ أنَّ أهل البيت عليهم السلام يرون في أنفسهم أنَّهم أعلم الناس بالقرآن الكريم، وبالسنّة النّبوية المباركة، ليس على مستوى الحفظ وتفسير اللفظ وفهم المعاني العالية لهما، بل على مستوى تفسير المعنى وتشخيص المصاديق الخارجية لهذه المفاهيم في عصر النّبوة، أو في العصور التالية الأخرى، حيث إنَّ القرآن الكريم حيّ باق، وكذلك السنّة النّبوية، ولهما في كل عصر مصاديق ينطبقان عليهما، وهو ما يمكن أن نشير إليه بكلمة التأويل، كما يُفهم ذلك من استخدام القرآن الكريم لها بعيداً عن الاستعمال الاصطلاحي لها، الذي قد يعني به علماء القرآن أحياناً حرف اللفظ والمعنى إلى غير الظاهر منهما.

وقد دعا أهل البيت عليهم السلام المسلمين جميعاً إلى الأخذ عنهم، وانتقدوا أُولئك الذين ذهبوا إلى اعتماد الطرق والوسائل الأُخرى بعيداً عن هذا المنهل الصافي[1].

ونحن وإن لم نكن في هذا البحث بصدد الحديث عن هذا الجانب من

---

(١) وسائل الشيعة١٨: ٢٠، باب عدم جواز القضاء والحكم الرآي والاجتهاد والمقاييس.

نظرية أهل البيت عليهم السلام، ولكن هناك الكثير من النصوص والاعتبارات تؤيد هذا التصوّر، وفي مقدمة هذه النصوص حديث الثَّقلين المتواتر: ((**إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكّتم بهما لن تَضِلّوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**))[١].

وكذلك الاعتبار الواضح الذي يقول: إنَّ أهل البيت عليهم السلام أدرى بالذي فيه؛ باعتبار إجماع المسلمين على خصوصية علي عليه السلام في ارتباطه برسول الله صلى الله عليه وآله في جانب العلم، والمعرفة، والأخذ عنه.

وبالرَّغم من كل ذلك نجد أنَّ المسلمين اختلفوا في فهم القرآن الكريم وآياته، وإن اتفقوا على ثبوت نصه، كما اختلفوا في فهم السنّة النّبوية الشريفة، وفي إثبات نصوصها، وكان للفاصل الزَّمني والظروف السياسية والاجتماعية والأوضاع النفسية والأخلاقية والثقافية للأُمم التي دخلت الإسلام تأثيرات مختلفة أو متباينة في هذا الفهم والاختلاف، بالإضافة إلى الأهواء والمصالح والجهل، والتي كان لها آثار سيئة وحادَّة في نتائج هذا الاختلاف، وتعدد الاجتهادات والتفسيرات والفهم لهذه النصوص المقدسة.

وأزاء هذا الواقع وعلى المستوى العقائدي، عمل أهل البيت عليهم السلام على توضيح الحقائق التي يعرفونها بالحكمة والموعظة الحسنة، وأسَّسوا المدارس، وخرجوا العلماء والمتكلِّمين، ورسموا الخطط والمناهج في الوصول إلى الهدف المقدَّس المُتمثِّل بالمحافظة على الإسلام النقي الصافي[٢].

ولكن إلى جانب ذلك وجدوا أنَّ من الضروري من أجل حفظ وحدة

---

(١) وسائل الشيعة١٨: ١٩، ح٩، باب تحريم الحكم لغير الكتاب والسنة.

(٢) تناولنا هذا الموضوع بالبحث في كتابنا «دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة».

المسلمين وعلاقاتهم وروابطهم أن يتم التعامل مع هذا الاختلاف بواقعيّة تفسح المجال للتفكير الحر، واستخدام العقل والمنطق والحركة الذهنية والفكرية من أجل الوصول إلى الحقيقة والتكامل في طريق الوصول إليها.

وتوجد في تأريخ مدرسة أهل البيت عليهم السلام محطّات ومؤشّرات واضحة تُدلِّل على هذا التطور النظري والممارسة العمليّة، ففي حياة الإمام علي عليه السلام التي تمثل احدى المحطات والمقاطع المهمّة في هذه المدرسة، نجد مجموعة من المؤشرات على هذا التصوّر:

أ) تصدي الإمام علي عليه السلام إلى جميع المشكلات والمسائل العلمية والعقائدية التي كان يطرحها أهل الكتاب وغيرهم مِمّن انفتحت عليهم الدولة الإسلامية في ظروف توسّعها، حيث كان الكثير من علماء أهل الكتاب من اليهود والنّصارى والمجوس يُحاولون التعرّف على الحقائق الإسلامية، كما كانوا في الوقت نفسه يُجادلون ويُدافعون عن عقائدهم بعد الغزو الثقافي والعسكري الإسلامي للعراق والشام واليمن ومصر وأفريقيا وغيرها من البلاد التي وقعت تحت الفتح الإسلامي، خصوصاً في زمن الخليفة الثاني والثالث.

وكانت تجري بسبب ذلك مُطارحات ومناقشات فكرية ودينية وعقائدية بينهم وبين الإمام علي عليه السلام كانت معروفة في تلك الفترة ودوّنتها كتب التأريخ، خصوصاً في أخبار أهل البيت عليهم السلام وكانت من الميزات التي تميَّز بها الإمام علي عليه السلام حتى قال عنها الخليفة الثاني ‹‹عمر››: ((**لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن علي**))[1].

---

(١) عن سعيد ابن المسيب قال: ((**كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها ابو الحسن**)). كنز العمال١٠: ٣٠٠، ح٢٩٥٠٩.

ب) دلالة الإمام علي عليه السلام للأُمّة والمسلمين بشكل عام أن يسألوه عن شؤونهم الحياتية والعقائدية والعلمية، والقضايا المرتبطة بالكون والأرض والسماء، الأمر الذي يفتح مجالاً واسعاً للنظر والتفكير والتأمل والمطارحة الفكرية والعقائدية.

وقد ورد في نهج البلاغة الإشارة إلى ذلك في قوله عليه السلام: ((**فاسألوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدى مائة وتضل مائة إلاّ أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من أهلها قتلاً ويموت منهم موتاً...**))[1]. ((**إنّ أمرنا صعب مُستصعب لا يحمله إلاّ عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يعى حديثنا إلاّ صدور أمينة وأحلام رزينة، أيّها النّاس سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض**))[2].

ج) التراث الفكري والعقائدي الذي تركه الإمام علي عليه السلام من خلال خطبه ورسائله وأحاديثه وقضائه وكلماته القصار، فإنّ هذا التراث مليء بمعالم هذه الحرية الفكرية والعقائدية، حيث يتناول عليه السلام مختلف القضايا المرتبطة بالعقائد والمجتمع والتأريخ بالطرح والبحث والمناقشة والاستدلال، الأمر الذي يفتح آفاقاً واسعة في التفكير والفهم، ويمكن أن يُعتبر ما يضمّه نهج البلاغة الذي جمع فيه الشريف الرضي رحمه الله المختار من خطبه ورسائله وكلماته القصار نموذجاً رائعاً لهذا التراث الفكري والعقائدي والتأريخي، بالإضافة إلى الجانب الأدبي والأخلاقي.

---

(١) نهج البلاغة١: ١٨٢، الخطبة٩٣.

(٢) نهج البلاغة٢: ١٢٩، الخطبة١٨٩.

حيث تناول الإمام علي عليه السلام قضايا التوحيد، وصفات الله، وعالم الغيب، والنّبوة، والإمامة، والسياسة، والمجتمع، والتأريخ، والحياة، وعالم الآخرة، وغيرها من القضايا الكونية والإنسانية بالبحث والتحليل والمناقشة والاستدلال، مِمّا لم يكن معروفاً في ذلك العصر، بل كان الاتجاه الذي يرويه التأريخ عن الخليفة الثاني هو محاولة غلق أبواب التفكير والبحث في مثل هذه القضايا تحت شعار (**في كتاب الله وسنة نبيه ما يكفينا**)[1]، وتمّ إحراق مكتبة الإسكندرية[2] التي استولى عليها المسلمون في فتحهم لمصر تحت هذا الشعار، كما تمّ منع تدوين السنّة النّبوية تحت شعار عدم منافسة القرآن والمحافظة على نصّه، وتمّ المنع عن السؤال عن الحقيقة الآلهية وصفات الله تحت شعار الحرص على التوحيد والنّصوص المقدسة.

ونجد مثل هذا الانفتاح في معالجة القضايا الفكرية والعقائدية والتأريخ والمجتمع في مدرسة الإمام الصادق عليه السلام والإمام الكاظم عليه السلام وفي عهديهما، حيث انتشرت الفلسفة اليونانية والهندية والأغريقية في البلاد الإسلامية، بسبب انفتاح العالم الإسلامي من جهة، ووجود الفرصة السياسية في الفترة التأريخية التي شهدت انشغال الدولة الأموية في أواخر أيّامها، والدولة العباسية في أوائل أيّامها، بالمحافظة على وجودهما وترتيب أوضاعهما الداخلية، فظهرت مذاهب الزّندقة والإلحاد، والمدارس الفلسفية والكلامية المختلفة.

وقد قام أئمّة أهل البيت عليهم السلام بمعالجة هذا الموضوع عن طريق حرّية الفكر

---

(١) بدائع الصنائع٣: ٢١٠، فصل في احكام العدة.

(٢) من حياة الخليفة عمر بن الخطاب: ٢٧٠، (احراق عمر ابن العاص مكتبة الاسكندرية بأمر عمر).

والعقيدة، وفتح باب الحوار والمناقشات، وتربية العلماء والمتكلمين القادرين على مقارعة الفكر بالحجّة والدّليل والبرهان.

وفي مقابل هذا الاتجاه كان الاتجاه الآخر الذي استخدم أُسلوب القمع وملاحقة الزندقة والإلحاد بالمطاردة والاتهامات وأحكام القتل والسجن، حيث استُغِّل هذا الأسلوب لمطاردة كل الأحرار والمطالبين بالعدل والإصلاح والرّافضين للظلم والاستعباد، كما نجد في أيام المأمون والمعتصم العباسي كيف تمكّن أئمّة أهل البيت عليهم السلام «الرضا والجواد عليهما السلام» من مواجهة مختلف علماء هذا العصر من أحبار أهل الكتاب أو المتكلمين والفقهاء المسلمين في المجالس العلميّة التي كان يعقدها المأمون والمعتصم، ويدور فيها الحوار والنقاش بشكل واسع ومفتوح، وكان يشارك فيها أئمة أهل البيت عليهم السلام بشكل فعّال[1]. كل ذلك يدلل على حقيقة ضرورة وجود هذا الهامش من التعددية في المجتمع الإسلامي ليكون قادراً على استيعاب هذه التطورات ومواكبتها وبقاء المجتمع الإسلامي في موقع الرّيادة والقيادة والقيمومة على المجتمعات الأُخرى، وإلاّ فسوف يُصاب هذا المجتمع والأُمّة الإسلامية بالانطواء ثم المحاصرة ثم السقوط أمام الغزو الثقافي والفكري للمجتمعات الأُخرى، كما حدث ذلك في العصور المتأخرة للأُمَّة الإسلامية.

الثاني: الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية الفقهية

تُعتبر قضية فتح باب الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية من أهمّ القضايا التي واجهت المسلمين في الصدر الأول الإسلامي وحتى يومنا

---

(١) كل هذه الأحداث والقضايا مدونة في كتب الحديث والتأريخ والمراجع المختصة، يمكن مراجعتها من خلال مراجعة تأريخ هؤلاء الأئمة الأعلام عليهم السلام.

الحاضر؛ ذلك أنَّ المسلمين وإن كانوا قد أُمروا بالأخذ من الكتاب الكريم والسنّة النّبوية، ولكن اختلفوا - كما أشرنا - في فهم القرآن الكريم والسنّة، وكذلك في ثبوت السنّة نفسها، ومن وجهة نظر أتباع أهل البيت عليهم السلام فإنَّ مرجعهم في فهم القرآن والسنّة وكذلك في ثبوتها إنَّما هم العترة الطاهرة التي تُعتبر الثقل الآخر، كما جاء في الحديث[1]، ولكن مع ذلك نجد أنَّ أصحاب الأئمّة عليهم السلام كانوا يواجهون هذه المشكلة في بعض أبعادها، باعتبار الفاصل المكاني وعدم تيسّر الوصول إلى الأئمّة أنفسهم، بالإضافة إلى اختلاف النقل عنهم، وبعد غيبة الإمام المهدي # واجهوا قضية فهم النص وثبوته.

كل ذلك جعل قضية الاجتهاد من أجل الوصول إلى الحكم الشرعي من القضايا المهمّة والأساسية، وقد تكوَّنت في العالم الإسلامي مدارس عديدة في الاجتهاد، ومذاهب فقهية متعددة أيضاً، بعضها كان يعتمد على النص ولا يتجاوزه حرفيّاً، وبعضها يعتمد عليه ويحاول تأويله أو التوسع فيه وفهم علله وخلفياته، وبعضه كان يعتمد على الظنون الأُخرى كالقياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وغيرها من قواعد الاستنباط بالرأي.

وقد توسعت دائرة الاجتهاد إلى درجة خطيرة، خصوصاً المدرسة التي تعتمد على الرأي، فظهرت آراء شاذّة وبعيدة عن الإسلام والشريعة، حتى انتهى الأمر بالدولة الإسلامية في عصور متأخرة نسبياً باتخاذ قرار سدّ باب الاجتهاد، وحصر المذاهب الإسلامية التي تتبناها الدولة في المذاهب

---

(١) وقد تواتر بين العامة والخاصة على النبي صلى الله عليه وآله انه قال: **((اني تارك فيه الثقلين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانهما لم يفترقا حتى يردا علي الحوض))** وسائل الشيعة١٨: ١٩، ح٩، باب تحريم الحكم بغير الكتاب والسنة.

الإسلامية الأربعة المعروفة: مذهب أبي حنيفة، ومذهب مالك بن أنس، ومذهب أحمد بن حنبل، ومذهب محمد بن ادريس الشافعي، وإلى جانب ذلك توجد مذاهب أُخرى للمسلمين ممن يعتقدون بالإمامة كمذهب الزيدية، والأثني عشرية، والإسماعيلية، ومِمّن لم يؤمن بالمذاهب الأربعة ممن لا يؤمن بمشروعية هذا القرار كمذهب الأباضية، والظاهرية. وقد كان لأئمّة أهل البيت عليهم السلام موقف واضح تجاه هذا الموضوع الهام الذي يحفظ للمسلمين وحدتهم من ناحية، ويفتح هذا الهامش في التعدّد من ناحية أخرى، وبالتالي فهو يتجنب هذه الأخطار العظيمة التي تترتب على فتح باب الاجتهاد بمصراعيه بدون حدود، أو على غلق هذا الباب، والسير بالفقه الإسلامي في طريق مسدود أو مختلف لا يكون قادراً فيه على مواكبة التطورات الإنسانية، ومعالجة المشكلات التي أوجدتها المدنية الجديدة المتطورة، والحركة العلمية النّامية، وقد كان هذا المنهج والموقف يعتمد على أساس فتح باب الاجتهاد، ولكن ضمن الضوابط الشرعية التي يمكن استنباطها من القرآن الكريم، والتي لخَّصها أهل البيت عليهم السلام في النقاط التالية:

١. الاعتماد في الاجتهاد واستنباط الحكم الشرعي على ‹‹العلم›› المُتمثِّل بالنص القرآني الشريف، والسنّة النّبوية الصحيحة الثابتة، وترك الاعتماد على الظنون أو الآراء أو الأذهان، حيث وردت مئات الروايات الشريفة عنهم عليهم السلام تؤكِّد على هذه المضامين، وبشكل متميِّز لا نجد له نظيراً بهذه السِّعة والشمول في المذاهب الإسلامية الأُخرى. كما حثّوا في الوقت نفسه على حفظ القرآن، وتدوين السنّة، وتداولها وضبطها والتحرّج في نقلها بشكل واضح ومتميز، كل ذلك في قبال بعض المذاهب التي اعتمدت بشكل واسع على الرأي لعدم ثبوت شيء مهم من السنّة لديها، كمذهب

أبي حنيفة، ولذلك نجد أنَّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام خصّوا هذا المنهج الخطير في الاستنباط بقدر كبير من النّقد والمؤاخذة[١]، لأنَّه سوف ينتهي إلى النهايات التي انتهى إليها بعد ذلك، الأمر الذي أدّى إلى اتخاذ قرار سدّ باب الاجتهاد.

٢. الدعوة لتمييز الحديث الصحيح من الفاسد من خلال العرض على القرآن الكريم، وعلى الثابت من السنّة النّبوية الشريفة، بحيث يكون النصّ الثابت وهو القرآن الكريم والثابت من السنّة النّبوية هو الأساس الذي يرجع إليه الاستنباط في نهاية المطاف، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((**إنَّ على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه**))[٢]. وعن أيوب بن الحر قال: ((**سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كل شيء مردود إلى الكتاب والسنّة، وكل حديث لا يُوافق كتاب الله فهو زخرف**))[٣]. وعن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً: ((**ما لم يُوافق من الحديث القرآن فهو زخرف**))[٤].

٣. دعوة المسلمين للاهتمام بوثاقة الرّاوي وحذقه في نقل الحديث أو

---

(١) عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((**من أفتى النّاس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم، ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث أحلّ وحرم فيما لا يعلم**))، أصول الكافي١: ٥٧، ح١٧، باب البدع والرأي.

وعن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**إن السنّة لا تُقاس، ألا ترى أن امرأة تقضي صومها ولا تقضي صلاتها، يا أبان؛ إن السنّة إذا قيست محق الدين**))، أصول الكافي١: ٥٧، ح١٥، باب البدع والرأي.

(٢) الكافي١: ٦٩، ح١، باب الأخذ بالسنّة وشواهد الكتاب.

(٣) الكافي١: ٦٩، ح٣، باب الاخذ بالسنّة وشواهد الكتاب.

(٤) الكافي١: ٦٩، ح٤، باب الاخذ بالسنّة وشواهد الكتاب.

الأخذ به، وضرورة الفحص والنّقد للأحاديث من خلال نقلها ورجالها، حيث كثر الكذب على رسول الله ﷺ لأسباب سياسية وشخصية وذاتية ومذهبية[1] وفي الوقت نفسه فتحوا أمام المسلمين باب الأخذ من مصادرهم النّقية والثّرية، والتي تُعتبر في أعلى درجات الوثاقة والصحة والاعتماد، لأنَّ حديث أحدهم هو حديث أبيه، وحديث أبيه حديث جده، حتى ينتهي الأمر إلى رسول الله ﷺ[2].

وفي إطار هذه الضوابط الرئيسية الثلاث فتحوا باب الاجتهاد والنّظر، وعلَّموا المسلمين وأصحابهم كيفيّة الاستنباط الصحيح للحكم الشرعي، لا في الفهم من القرآن الكريم، أو التنبيه على وجود المحكم والمتشابه، والمطلق والمقيد، والعام والخاص في القرآن فحسب، بل في الحديث نفسه أيضاً،

---

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام في جواب سؤال عمر بن حنظلة عن اختلاف القضاة في الحكم: ((**الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما، ولا يلتفت إلى ما يحكم به الآخر**))، الكافي١: ٦٧، ح١٠، باب اختلاف الحديث.

وقال رسول الله ﷺ في معرض بيان كثرة الكذب عليه ﷺ: ((**أيها النّاس قد كثرت علي الكذّابة فمن كذب علي متعمداً فليتبوؤ مقعده من النّار**))، الكافي١: ٦٢، باب اختلاف الحديث.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: ((**فإن المغيرة بن سعيد لعنه الله دس في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى وسنّة نبينا محمد** ﷺ))، بحار الانوار: ٢٤٩، ح٦٢، (رجال الكشي) باب علل اختلاف الاخبار وكيفية الجمع بينها.

(٢) عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((**حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله** ﷺ**، وحديث رسول الله** ﷺ**، قول الله** عزّ وجلّ))، الكافي١: ٥٢، ح١٤، باب رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة والتمسك بالكتب.

وهذا ما يسمّيه الأصوليون بأبحاث الجمع العرفي، كما أنَّهم شرحوا وأوضحوا وجود القواعد العامّة التي وضعها الشارع المقدّس للرجوع إليها عند الشك في الحكم أو في الموضوع، وعدم وجود ما يُعيِّن هذا الحكم والموضوع، كقاعدة الاستصحاب، والبراءة، والحل، والطهارة، والفراغ، والتجاوز، والاحتياط، وغيرها من القواعد الفقهية أو الأصولية.

ولاشكَّ أنَّ فتح باب الاجتهاد يعني بطبيعة الحال «التعدّدية» إذ قد يختلف المجتهدون في الوصول إلى النتائج من خلال التعامل مع هذه الضوابط، كما أنَّ فتح باب الاجتهاد يهيء الأرضية للتطور الفقهي، بمعنى القدرة على مواجهة الحوادث المستجدة، والمشكلات الصعبة، والتحدّيات الجديدة، ويُجسِّد حقيقة أنَّ (حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة)، وأنَّ الرسالة الإسلامية هي الرسالة الخاتمة، وأنَّ في كل حادثة حكماً شرعياً، وإنَّ الشريعة شاملة وعامّة كما نصَّ على ذلك القرآن الكريم[1]: ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[2].

﴿**...وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً**﴾[3].

﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾[4].

---

(١) أشرنا إلى الأهداف من حركة الاجتهاد في كتابنا «دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة».

(٢) النّحل: ٨٩.

(٣) الإسراء: ١٢.

(٤) الأنعام: ٣٨.

وفي الوقت نفسه يمكن أن نعرف أنَّ وضع الضوابط والأُسس لعملية الاجتهاد يُجنِّبها أخطار الانزلاق في مهاوي الرأي والظنون والميول والنّزعات، بحيث تتحوّل الشريعة إلى حالة من الفوضى التشريعية والتناقض في الآراء والاتجاهات، والسقوط في الانحراف والضياع والضلال. ويُمكن أن نجد معالم هذا التوجه في فتح باب الاجتهاد واضحاً في نقطتين أُخريتين بالإضافة إلى النقاط السابقة:

١. إرجاع أئمّة أهل البيت عليهم السلام لأتباعهم في القضايا والمسائل الشرعية العمليّة، وكذلك في فصل الخصومات والنزاعات إلى كبار أصحابهم ومعتمديهم، وفي الوقت نفسه تعليم هؤلاء العلماء من أصحابهم كيفية الاستنباط، وحثّهم على التّصدي للفُتيا، وفصل الخصومات والنّزاعات.

ومن الواضح أنَّ هذه العملية تحتاج إلى اجتهاد واستنباط حتى يمكن أن تُنجز بشكل كامل، خصوصاً في القضاء، ولا يمكن الاكتفاء بمجرد ما كان يسمعه هؤلاء الأصحاب من روايات في مختلف الوقائع[1].

ويوجد في بعض النّصوص ما يشير إلى إعمال أصحاب الأئمّة عليهم السلام

---

(١) قال محمد بن عيسى: ((**قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: جعلت فداك لا أكاد أصل إليك لأسألك عن كل ما أحتاج إليه من معالم ديني، أفيونس بن عبد الرحمن ثقة آخذ عنه ما أحتاج أليه من معالم ديني؟ فقال عليه السلام: نعم**))، بحار الأنوار٢: ٢٥١، ح٦٧، باب علل اختلاف الاخبار وكيفية الجمع.

وعن علي بن المسيب قال: ((**قلت للرضا عليه السلام شقّتي بعيدة ولست أصل إليك في كل وقت، فممن آخذ معالم ديني؟ قال عليه السلام: من زكريا بن آدم القمي المأمون على الدين والدنيا**))، بحار الأنوار٢: ٢٥١، ح٦٨.

وعن شعيب العرقوفي قال: ((**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ربما احتجنا أن نسأل عن الشيء فمن نسأل؟ قال عليه السلام: عليك بالأسدي – يعني أبا بصير –**))، بحار الأنوار٢: ٢٤٩، ،ح٦١.

لآرائهم واجتهاداتهم في أخبار الأئمّة أنفسهم من خلال المقارنة بين بعضها مع البعض الآخر، كما يوجد في بعض النّصوص ما يشير إلى الاختلاف فيما يذكره أصحاب الأئمّة عليهم السلام عنهم، حيث يمكن أنْ يكون أحد وجوه هذا الاختلاف هو الاختلاف في الاستنباط، كما أنَّ أحد وجوهه المعروفة هو الاختلاف الناشيء بسبب التقية.

٢. دعوة أئمّة أهل البيت عليهم السلام لأصحابهم، أو إقرارهم على التصدّي لبيان الفتاوى والأحكام الشرعية على طبق المذاهب الإسلامية المختلفة، الأمر الذي كان يومئ إلى أنَّ هذا الاعتراف بهذا القدر من الاختلاف يمثل جانباً من جوانب التعايش بين المسلمين والانسجام في حياتهم وتيسيرها لهم[1].

الثالث: القبول بالتعدّدية السياسية

يحضى موضوع التعددية السياسية في المجتمع الإنساني بأهميّة خاصة، خصوصاً في هذا العصر، ويكاد يكون من المبادئ الإنسانية التي تقرّها جميع المجتمعات الإنسانية في عصرنا الحاضر، وتضمنتها وثيقة حقوق الإنسان التي أقرتها هيئة الأمم المتحدة، كما أنَّه من الموضوعات ذات الحساسية العالية في المجتمعات الإنسانية عبر التأريخ، وتختلف بينها في التعامل معه بشكل واضح وحاد أحياناً.

وفي التأريخ الإسلامي كانت هذه القضية من أهم القضايا التي عرفها

---

(١) عن معاذ بن مسلم قال: ((**قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي أجالس في المجالس فيأتيني الرجل، فإذا عرفت أنه يخالفكم أخبرته بقول غيركم، وإن كان ممن يقول بقولكم أخبره بقولكم، فإن كان ممن لا أدري أخبرته بقولكم وقول غيركم فيختار لنفسه، فقال عليه السلام: رحمك الله هكذا فاصنع**))، بحار الأنوار٢: ٢٣٧، ح٢٦، باب علل اختلاف الاخبار.

منذ بداياته، وكانت من القضايا ذات التأثير الحاد والقوي على مجرى الأحداث، ويكاد أن يتّسم التأريخ الإسلامي - مع الأسف - بحرمان المسلمين من هذه التعدّدية، في مختلف عصوره إذا استثنينا بعض الفترات القصيرة جداً منه، حتى تولّد تصور في فهم النظرية الإسلامية في الحكم والمجتمع يفترض أنَّ الحكم في الإسلام يمنع التعدّدية بالرغم من أنَّ الرأي العام بين المسلمين هو قيام الحكم على أساس الشورى انطلاقاً من موقف الصحابة العام في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

ولاشكَّ أنّنا عندما نتحدث عن التعدّدية لا نُريد منها التعددية في مقابل القبول بأصل النظام الإسلامي، أو ما يشكِّل النقيض له، فإنَّ مثل هذه التعددية لا يعترف بها أي مجتمع إنساني في العصر الحاضر، وحتى الأنظمة المتوغّلة في ‹‹الديموقراطية›› تأبى لنفسها الاعتراف بالأحزاب والتنظيمات التي تعادي الديموقراطية، وتعمل للقضاء عليها، وتحرمها من الاعترف الرسمي بها، وإنّما يُراد من التعدّدية السياسية في ضمن النظام الذي قبلته الأُمّة والتزمت به وأقرَّته لنفسها، وعندما نتحدث عنها في ضمن النظام الإسلامي نريد بها التعدّدية في إطار هذا النظام نفسه.

وعلى أساس هذا الفهم نجد أنَّ نظرية أهل البيت عليهم السلام في الوحدة الإسلامية في المجتمع الإسلامي، كانت تتميز بالتعدّدية السياسية، فضلاً عن التعدّدية الفكرية والثقافية، الأمر الذي يلفت النظر إلى أهميّة هذا التصوّر، حيث إنَّ المعروف عن مذهب أهل البيت عليهم السلام أنَّه يقول بالإمامة ‹‹المنصوصة››، وفي عصر الغيبة بولاية الفقيه الجامع للشرائط.

ويُمكن أن نعرف هذا البُعد في نظرية أهل البيت عليهم السلام بشكل واضح في مواقف الإمام امير المؤمنين عليه السلام في زمن خلافته، وموقفه من خلافة الخلفاء

السابقين عليه، حيث كانت الفرصة مؤاتية لأهل البيت عليهم السلام أن يُعبِّروا عن نظريتهم في هذه التعدّدية.

وبعد هذا الزمن نجد أهل البيت عليهم السلام يتعرَّضون للمطاردة والاضطهاد والتشريد، الأمر الذي لم يكن يسمح لهم أن يُعبِّروا عن هذه التعدّدية إلاّ بالمطالبة بها، أو السماح لهم بممارسة عملهم الثقافي والسياسي في المجتمع الإسلامي، ويأخذوا على الحاكمين طغيانهم وتفرّدهم بالحكم، وعدم السماح بسماع الرأي الآخر.

ونجد في حياة الإمام علي عليه السلام ثلاثة مواقف يُمكن أن ترسم الصورة الواضحة لهذه النظرية التعدّدية السياسية:

الموقف الأول: موقف الإمام علي عليه السلام وأصحابه في زمن الخلفاء الثلاثة السابقين على زمان خلافته، حيث كان هذا الموقف يتمثل في بعدين رئيسيين:

أ) المساهمة الفعّالة والمشاركة في تحمّل أعباء ومسؤوليات الحكم، بالرّغم من وجود الخلاف السياسي الذي أعلن الإمام علي عليه السلام وأصحابه موقفهم تجاهه يوم السقيفة وما بعدها على ما يحدثنا التأريخ ويحدثنا الإمام عليه السلام نفسه في مواضع متعدّدة من نهج البلاغة، حيث كان يعتقد بعدم صحة الإجراءات التي اتخذت في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وامتنع عن البيعة في الأيام الأولى، كما امتنعت عن ذلك زوجته الزهراء عليها السلام ومجموعة من الصحابة أمثال: سلمان الفارسي، والزبير بن العوام، والعباس بن عبد المطلب، والمقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، وغيرهم[1].

---

(١) قال علي عليه السلام: ((**فو الله ما زالت مدفوعاً عن حقّي مستأثراً علي منذ قبض الله**
⇐

ومع ذلك نجد الإمام علياً عليه السلام يُحاول أن يتحمل المسؤولية الشرعية والدّينية في المساهمة والمشاركة، سواء على المستوى العلمي والثقافي، أم على مستوى الحكم والقضاء، أم مستوى العمل الجهادي والسياسي، حتى أنَّ الخليفة الثاني قال وفي مناسبات عديدة: (**لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن علي**)[1].

وكذلك ساهم سلمان الفارسي في حروب تحرير العراق، وتولّى بعد ذلك الولاية للخليفة الثاني في العراق عندما كان مركزها المدائن، وكذلك عمار بن ياسر وغيرهما في مناصب أُخرى.

ب) الالتزام بممارسة العمل السياسي الإصلاحي في المجتمع الإسلامي، وانتقاد ما يقوم به الحاكم الإسلامي من أعمال لا يراها مُنسجمة مع الشرعية أو المصلحة الإسلامية العليا، ولعلَّ موقف الإمام علي عليه السلام تجاه قضية البيعة والخلافة بعد وفاة الخليفة الثاني عمر يدلّل على هذا الاتجاه، حيث رشَّحه للخلافة ضمن ستة أشخاص يتشاورون في انتخاب واحد

نبيه صلى الله عليه وآله حتى يؤم الناس هذا))، نهج البلاغة: ٤١، الكلام:٦ من كلام له في انه لا يخدع.
وقال عليه السلام لما انتهت إليه أنباء السقيفة: ((**ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منّا أمير ومنكم أمير، قال عليه السلام: فهلا احتجتم [احتججتم] عليهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وصى بأن يحسن إلى محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم؟ قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟ فقال عليه السلام: لو كانت الإمارة فيهم لم تكن الوصية بهم، ثم قال عليه السلام: فماذا قالت قريش؟ قالوا: احتجت بأنّها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام: احتجوا بالشّجرة وأضاعوا الثمرة**))، نهج البلاغة: ١١٥، الكلام:٦٧ في كلام له عليه السلام في معنى الانصار.

(١) عن سعيد ابن مسيب قال: ((**كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها ابو الحسن**)). كنز العمال١٠: ٣٠٠، ح٢٩٥٠٩.

منهم للخلافة، فإنَّ عبد الرحمن بن عوف طلب في البداية من الإمام عليعليه السلام أن يبايعه للخلافة، ولكن شرط عليه الالتزام بسيرة الشيخين، مضافاً إلى الالتزام بالكتاب والسنَّة، حيث رفض الإمام عليعليه السلام شرط الالتزام بسيرة الشيخين وأصرَّ على العمل باجتهاده ضمن إطار الكتاب الكريم والسنّة النّبوية.

كما أنَّ الإمام علياً لم يزل يقدِّم النّصح، وينتقد المنهج السياسي والعملي الذي كان يسير عليه الخليفة الثالث، وكان رأيه في هذا المجال أنَّه يسلم ما سلمت أمور المسلمين بنظره، ولم يكن هناك جور إلاّ عليه خاصة[1]، وإلاّ فقد كان يرفع صوته بالانتقاد والإصلاح عندما تتعرض أمور المسلمين إلى الجور والظلم.

كما أنَّ أصحابه كانوا يلتزمون بهذا المنهج، فقد انتقد أبو ذر الغفاري بشدّة المنهج الاقتصادي للخليفة الثالث في توزيع الأموال، وتشكيل الاقطاعيات الكبيرة، والإسراف في الإنفاق والبذخ، ومظاهر الكبرياء والعظمة، وعدم العدالة في التوزيع، الأمر الذي أدّى إلى تعرضه للنفي والإبعاد إلى بلاد الشام، ثم بعد ذلك إلى الرَّبذة من الحجاز، لإصراره على الاستمرار في هذا النهج، وعدم تحمّل معاوية لآثار نشاطه السياسي في المنطقة.

كما أنَّ عمار بن ياسر انتقد بشدَّة منهج الخليفة الثالث في تسليط بعض رجال السوء من أقربائه على أمور الحكم، وعدم العدل في الرّعية، الأمر الذي أدّى به إلى أن يتعرَّض إلى الضرب والوطء بالإقدام، حتى أصيب

---

(١) نهج البلاغة: ١٢٣، خطبة٧٤ من كلام لهعليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان.

بالفتق، وكانت له مساهمة كبيرة في تأجيج مشاعر النّقمة والرّفض لهذا المنهج لدى المسلمين، خصوصاً في الكوفة ومصر.

الموقف الثاني: موقفه عليه السلام من حركة زوجة النَّبيّ ‹‹عائشة›› والصحابيين طلحة والزبير، حيث كانت أم المؤمنين عائشة ممن أعلن النّقمة وعدم القبول بمنهج الخليفة الثالث، وأخذت بتحريض الناس عليه حتى رُوي عنها أنَّها قالت في بعض حالات غضبها: (اقتلوا نعثلاً فقد كفر)[١]، وخرجت من المدينة إلى مكة تعبيراً عن عدم ارتياحها، وأظهرت السرور بمقتل الخليفة الثالث لهذا السبب بقولها: (وألقت عصاها واستقرَّ بها النوى)، وكان يشاركها في هذا الأمر جماعة من الصحابة النّاقمين، وفي مقدِّمتهم طلحة والزبير، حتى أنَّهما اشتركا بشكل أو بآخر في عملية الهجوم على مسكن عثمان أو التحريض على ذلك[٢].

وقد بادر كل من طلحة والزبير إلى مُبايعة الإمام علي عليه السلام بعد مقتل عثمان في جملة جمهور المسلمين الذين انهالوا على الإمام يُبايعونه بصورة لم يعرف لها نظير في التأريخ الإسلامي.

ولكنّهما بعد فترة من الزمن بدءا يتغيران سياسياً، حيث كانا ينتظران أن يقوم الإمام علي عليه السلام بتوليتهما بعض المناصب[٣]، باعتبارهما من الثائرين على عثمان والمؤيدين لخلافته بعد مقتل عثمان، ولموقعهما المتميّز في الأوضاع السياسية، لأنّهما من المرشَّحين الستّة في الشورى بعد مقتل الخليفة الثاني عمر، ولم يستجب الإمام علي عليه السلام لهذه الرغبة، بل بدا منه أنَّه سوف

---

(١) تاريخ الطبري٣: ٤٧٧.

(٢) نهج البلاغة: ٢٢ من خطبة له فيمن اتهموه بقتل عثمان.

(٣) نهج البلاغة٢: ١٨٤، الكلام ٢٠٥.

يتعامل بطريقة أُخرى تختلف بشكل حاد عن المنهج الذي اتَّبعه الخليفة الثالث في قضية الأموال والمناصب والنفوذ.

وكانت عائشة قبلهما قد اتّخذت موقفاً سلبياً تجاه خلافة الإمام علي عليه السلام عندما سمعت ببيعة النّاس له، وهي في طريقها من مكة إلى المدينة، حيث عبَّرت عن عدم رضاها بقولها: (قُتل والله عثمان مظلوماً)[1]، فرجعت إلى مكة تتدبَّر أمرها.

وبعد ذلك حصلت اتّصالات بين عائشة وطلحة والزبير الذي كان في الوقت نفسه زوج أختها، من أجل تكوين جبهة معارضة لخلافة الإمام علي عليه السلام، الأمر الذي أدّى إلى اتّخاذ قرار من قبل الصحابيين بالسفر إلى مكة للالتحاق بعائشة هناك فجاءا يستأذنان الإمام علياً عليه السلام بالسفر إلى مكة من أجل العمرة، ويخفيان عليه حقيقة الموقف السياسي.

وكان الإمام علي عليه السلام قد عرف الحقيقة والاتّصالات والنّوايا، ولكن مع ذلك أذن لهما بالسفر وقال لهما: ((**ما تريدان العمرة ولكن تريدان الغدرة**))[2]، ونصحهما بتقوى الله والتريّث، والمهم في هذا الموقف هو أنَّ الإمام علياً عليه السلام لم يتخذ أي اجراء ضد هذه الحركة السياسية المعارِضة ذات النوايا الخطيرة، والتي تطوّرت بعد ذلك، إلاّ بعد أن تطوّر موقف الحركة إلى العدوان المسلّح والتمرد والعصيان على الدولة الإسلامية.

ومن خلال النّصوص الكثيرة يبدو أنَّ الإمام علياً عليه السلام حاول أن يتحدَّث إليهم حديثاً سياسياً مقنعاً من خلال المباحثات والمراسلات أو الاتصالات

---

(١) بحار الانوار٣٢: ١٤٢، ح١١٦، باب بيعة أمير المؤمنين، تاريخ الطبري٣: ٤٧٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد١: ٢٣٢.

الشخصية، وترك لهم حريّة الحركة والرأي، حتى تحوّلت إلى حركة تآمرية ضده، وضد الحكم الإسلامي.

الموقف الثالث: موقفه عليه السلام من الخوارج الذين انشقّوا عليه لخط سياسي، بعد أن كانوا يوالونه في الموقف العام، وذلك بعد حادثة الحَكَمين في محاولة فصل الخصام في صفّين، حيث كان موقف الإمام عليه السلام تجاه أصل فكرة التحكيم هو الرّفض لها، لأنّه كان يعرف - كما صرّح بذلك - أنّها مجرد خُدعة لجأ إليها معاوية وأصحابه عندما أدركوا أنّ كفّة الحرب بدأت تميل لصالح الإمام علي عليه السلام ولكنّه قَبِل بالفكرة تحت ضغط جمهور أفراد جيشه، لأنّ بعضهم كان قد انخدع بهذه الفكرة، وكان البعض الآخر منهم قد تعب من القتال ونتائجه، وبعضهم كان متآمراً ومنافقاً، ولّما استُخدمت أساليب التضليل، وتبيّنت النتائج السيئة انشقّ عدد من أفراد الجيش على الإمام علي عليه السلام تحت شعار (لا حكم الا الله) رافضين حكم ‹‹الحَكَمين›› ومتمردين على الإمام عليه السلام، لأنّه وافق على التّحكيم ولم يصر على الرّفض[1].

ونجد من خلال الموقف والمناقشات السياسية التي أجراها الإمام علي عليه السلام معهم أفضل دليل على هذه الحقيقة.

ففي نهج البلاغة الكلام ‹‹١٢٢›› الذي قاله للخوارج وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على انكار الحكومة، فقال عليه السلام: ((**أكلّكم شهد معنا صِفّين؟ فقالوا: مِنّا من شهد ومِنّا من لم يشهد، قال عليه السلام: فامتازوا صَفّين فليكن من شهد صِفّين فرقة ومن لم يشهدها فرقة، حتى أُكلّم كلاً**

(١) نهج البلاغة٤: ٤٥، من كلام لما سمع قول الخوارج لاحكم الا لله.

منكم بكلامه، ونادى بالنّاس فقال: أمسكوا عن الكلام وانصتوا لقولي، وأقبلوا بأفئدتكم إليّ، فمن نشدناه شهادة فليقل بعلمه فيها...)).

وأيضاً في الكلام١٢٧: ((**وفإن أبيتم إلاّ أن تزعموا إنّي أخطأت وضللت، فلِمَ تضلّلون عامّة أمّة محمد ﷺ بضلالي، وتأخذونهم بخطأي، وتكفّرونهم بذنوبي! سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم، وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب...**)).

حيث نجد من خلال هذه النّصوص عند مراجعتها كيف يتّبع الإمام علي عليه السلام أسلوب المناقشة العلميّة والسياسية الهادئة، وكذلك نُلاحظ عدم اتخاذ الإمام علي عليه السلام لأي إجراء قضائي أو تأديبي، أو أي نوع من المطاردة والمؤاخذة لأولئك الذين كانوا ينتقدونه علناً، ويظهرون الارتباط السياسي بهذه المجموعات المعارضة سياسياً، كما نجد ذلك في النصوص التالية:

فقد روى الرضي في نهج البلاغة: ((**أنّ الإمام علياً عليه السلام سمع البرج بن مسهر الطائي يقول له ‹‹لا حُكم إلاّ لله››، وكان من الخوارج فقال له: اسكُت قبّحك الله يا أثرم، فوالله لقد ظهر الحقّ فكنت فيه ضئيلاً شخصك خفيّاً صوتك حتى إذا نعر الباطل نجمت نجوم قرن الماعز**))[1].

وفي نص آخر: ((**روى انه عليه السلام كان جالساً في أصحابه فمرّت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم فقال عليه السلام: إنّ ابصار هذه الفحول طوامح وإنّ ذلك سبب هبابها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تُعجبه فليلامس أهله فإنّما هي امرأة كامرأته، فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه قال فوثب فوثبت القوم ليقتلوه، فقال عليه السلام: رويداً إنّما هو سب بسب أو عفو عن**

---

(١) نهج البلاغة٢: ١١٤، الكلام ١٨٤ في ذم البرج ابن مسهر الطائي.

ذنب))[1].

وهناك نماذج أُخرى تشير إلى هذا الوضع السياسي الذي كان يلتزم به الإمام علي عليه السلام.

ومن خلال نهج البلاغة وما روي من كلام وحديث عن الإمام علي عليه السلام نُلاحظ ظاهرة واضحة اتّسمت بها فترة خلافته، وهي ظاهرة الأفكار والتحرّكات السياسية المتعدِّدة، والاتجاهات والميول الحركية المختلفة، وكان الإمام علي عليه السلام يتعامل مع هذه الظاهرة من خلال طرح الآراء والتّصورات ومناقشتها ونقدها بقوة - كما نجده في المنهج الذي اتّبعه القرآن الكريم في معالجة الأفكار والتحرّكات السياسية التي كان يعيشها المجتمع الإسلامي في الصّدر الأول - وترك الفرصة لبعض الشخصيات، بل وحتى لبعض التَّكتلات السياسية أن تتحرّك دون أن يُمارس تجاهها القمع والمطاردة مع أنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان قد شخَّص هؤلاء العناصر وتلك الجماعات: **﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُم ۞ وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُم﴾**[2].

هذا كلّه في الجماعات التي لا تؤمن بالنظام وتتمرّد عليه كلّه، فكيف بالجماعات التي تعترف بالنّظام وتلتزم بقوانينه ومقرّراته، ولكنّها تسعى للإقناع بأفكارها وآراءها بالطّرق السّلمية دون تهديد لأمن النظام السياسي أو دعوة للتمرّد عليه، فإنَّ التعامل السياسي الذي يقر ويسكت عن هذا

---

(١) نهج البلاغة: ٩٨، الحكم٤٢٠.

(٢) محمد: ٢٩ - ٣٠.

اللون من العمل السياسي يصبح أكثر وضوحاً، ويحضى بالأولوية في القبول.

ثانياً: الحدود الموضوعية لحركة هذا الهامش

لقد أشرنا في بداية هذا الفصل إلى أنَّ نظرية أهل البيت عليهم السلام في الوحدة الإسلامية في الوقت الذي تؤمن فيه بهامش التعدّد والاختلاف ترى أنَّ هذا الاختلاف له حدود وضوابط لابُدَّ أن يقف عندها، لئلاّ يبقى مفتوحاً، وينتهي إلى الأخطار العظيمة التي قد تلحق بالجمع الإسلامي بسبب ذلك، وهي أخطار الفرقة والنِّزاع والتَّشتت.

وقد أشرنا إلى بعض هذه الحدود في طيّات الحديث عن هامش الاختلاف والتعدّد، ولكن يحسن بنا أن نضعها في نقاط واضحة، ليتبيَّن بذلك الإطار الواضح لهذا الموضوع من ناحية، وضمانات الوحدة في المجتمع الإسلامي من ناحية أُخرى.

ضوابط التعدد الفكري والعقائدي

أمّا فيما يتعلق بالتعدّد على المستوى الفكري والعقائدي، فيمكن أن نذكر نقطتين أساسيتين:

الأولى: أن يقوم الحوار والاختلاف على أساس الضوابط العلمية والمنطقية، والحوار العلمي الهاديء، والاحترام المتبادل للأفكار.

الثانية: أن يكون هذا الاختلاف محدوداً بحدّ عدم تجاوز الأصول العقائدية الضّرورية في العقيدة الإسلامية، وهي: التّوحيد، والرِّسالة، واليوم الآخر، وأن لا يمسّ الضروريات التي يؤدي إنكارها إلى إنكار أحد هذه الأصول الثلاثة الأساسية.

ويُمكن أن نفهم هذا الحدّ من النّصوص التي تُحرِّم دم المسلم وماله وعرضه، وتُعرِّف المسلم بأنَّه المؤمن بالله والرسول واليوم الآخر، وكذلك النّصوص التي تدعوا إلى التزام منهج «العلم» و«اليقين» في معرفة الحقائق، والاعتماد على القرآن الكريم في فهم الأفكار والعقائد باعتباره وحياً إلهياً، وكذلك الاعتماد على السنّة النّبوية الثابتة، والرّجوع إليهما في موارد الظن والشك، وكذلك النّصوص التي تدل على الاخذ عن أهل البيت عليهم السلام باعتبارهم العارفين بالقرآن والسنّة والعلماء بهما.

ضوابط التعددية في اطار الفقه والاجتهاد

وأمَّا على مستوى الفقه والاجتهاد فنحن نُلاحظ في نظرية أهل البيت عليهم السلام النقاط التالية:

الأولى: أن يستند الاستنباط في النّهاية إلى دليل علمي ويقيني، يُشير إلى قبول الشّارع المقدس لهذا المنهج في الاستنباط، مع رفض الظّنون والآراء التي تستند على المُرجّحات والاستحسانات.

الثانية: أن يكون موافقاً للكتاب الكريم والسنّة النّبوية الثابتة، وأن لا يكون مخالفاً لهما، فلا يصح بأي حال الاجتهاد في مقابل النّص الثابت سواء كان هذا النّص قرآنياً، أم سنّة نبويّة.

الثالثة: أن يكون الشخص الممارس لعمليّة الاستنباط قد وصل إلى درجة علمية تؤهِّله لمثل هذا العمل العلمي المُعقَّد، وقد تمكَّن من العلوم الأساسية التي تُمثِّل القاعدة لهذه العمليّة، ويتَّصف بالورع، والتّقوى، والعدالة.

ويُمكن أن نجد ما يدلّ على هذه الحدود في النّصوص الكثيرة التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام، والتي تحدَّثت عن ضوابط عملية الاجتهاد

والاستنباط، والوصول إلى الحكم الشرعي[١].

حدود التعددية السياسية

إنَّ العمل السياسي لابُدَّ أن يُمارَس في ضمن الإطار الشرعي، والخروج عن هذا الإطار غير جائز، ولكن مع ذلك عرفنا بأنَّ نظرية أهل البيت عليهم السلام تسمح بالتعدّدية السياسية مع قطع النّظر عن حكمها الشرعي، والمؤاخذة الآلهية عليها، فما هو هذا القدر الذي تسمح به؟ هنا يمكن أن نذكر بعض الحدود الأساسية والمهمّة لهذه التعدّدية:

الأول: أن تكون التعدّدية ضمن الاعتراف بالنّظام الإسلامي نفسه، فلا يمكن أن يسمح الإسلام - بل ولا حتى الأنظمة الديموقراطية كما ذكرنا - بالعمل السياسي الذي يسعي للإطاحة بالنّظام نفسه وتغييره.

الثاني: أن يكون التحرك السياسي ضمن الالتزام بالقوانين الاجتماعية العامّة التي وضعها النظام الإسلامي لتنظيم حياة الناس، كالواجبات الماليّة والدّفاعية وغيرها.

الثالث: أن لا يكون العمل السياسي موجباً للإخلال بالأمن والنّظام العام، كالأعمال المسلحة والاضطرابات التي تُهدد أمن المجتمع، أو وحدته وتماسكه.

وفي هذا المجال يُمكن أن نستفيد من بعض النُصوص التي وردت في نهج البلاغة، فقد تحدّث الإمام عليه السلام في تحديد الموقف تجاه مسير أصحاب الجمل إلى البصرة قائلاً:

((إنَّ هؤلاء قد تمالاوا على سخطة إمارتي، وسأصبر ما لم أخف على

---

(١) يمكن مراجعة أبواب صفات القاضي من كتاب وسائل الشيعة ج١٨.

جماعتكم؛ فإنّهم إن تمّموا على فَيَالَةِ هذا الرأي انقطع نظام المسلمين...))[1].

((ما منهم رجل إلاّ وقد أعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طائعاً غير مكره، فقدموا على عاملي بها وخُزّان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها فقتلوهم طائفة صبراً وطائفة غدراً، فوالله لو لم يُصيبوا من المسلمين إلاّ رجلاً واحداً متعمّدين لقتله بلا جرم جرّه لحلّ لي قتل ذلك الجيش كله إذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا يد، دع ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين مثل العِدّة التي دخلوا بها عليهم))[2].

نظريتان في مقابل نظرية أهل البيت عليهم السلام

ونجد في مقابل نظرية أهل البيت عليهم السلام في الوحدة في المجتمع الإسلامي نظريتين أُخريتين:

النظرية الأولى: هي نظرية فرض الوحدة على المجتمع الإسلامي من خلال القوّة، وهي نظرية يتبنّاها الطغاة في التأريخ الإسلامي، الذين حاولوا أن يحوّلوا الحكم في الإسلام إلى حكم الأكاسرة والقياصرة، حيث أصبح الحكم في نظرهم يعتمد على آراء وميول ورغبات الحاكِم، فهو ظلّ الله في الأرض، ورغباته وميولاته تُمثّل القوانين والأحكام والشرائع. ويُمكن أن نشير بشكل مختصر إلى معالم هذه النظرية في التأريخ الإسلامي من خلال النقاط التالية:

١) إلتزام منهج القمع والمُطاردة وخنق الأنفاس وفرض الآراء بالقوّة والقهر.

---

(١) نهج البلاغة٢: ٨١، الخطبة١٦٩ من خطبة له عليه السلام عند مسير اصحاب الجمل من البصرة.

(٢) نهج البلاغة٢: ٨٥، كلام، ١٧٢ من كلام له في الحجة على من رماه بالحرص.

٢) تبرير العدوان والقتل وأعمال التّشريد والمُطاردة لكل المطالبين بالإصلاح والآمرين بالمعروف النّاهين عن المنكر، بأنَّ هذه الأعمال توجب الاختلاف وشقّ عصا المسلمين، ومُفارقة الجماعة، ولاشكَّ بأنَّ النَّبيّ ﷺ دعا إلى التزام الجماعة، وحفظ المجتمع الإسلامي، ولكن المقصود من كل ذلك – كما هو واضح – إلتزام جماعة المسلمين وحفظ المجتمع الإسلامي نفسه الذي يخضع للقوانين والضوابط الإسلامية، أمّا إذا تحوَّلت الجماعة إلى جماعة الحاكم، والمجتمع والقوانين والضوابط إلى مجتمع وقوانين وضوابط الأهواء والرّغبات والميول، فالقضيّة لها مدلول آخر، كما نصّت على ذلك آيات القرآن الكريم الواضحة والرّوايات النّبوية الثّابتة.

٣) منع الحركة السياسية والفكرية والمذهبية بجميع أشكالها وألوانها، والمؤاخذة عليها حتى بأبسط صورها.

النّظرية الثانية: نظرية الصراعات المذهبية والعقائدية، حيث شهد التأريخ الإسلامي في بعض الأدوار - وحتى في عصرنا الحاضر - بعض الاتجاهات التي ترى أهميّة التركيز إلى حد النّزاع والاقتتال في بعض الأحيان من أجل قضايا صغيرة وجزئيّة، تتحوّل إلى محور للصراعات والاهتمامات العامّة لدى المسلمين، وتستحق المطاردة والمُلاحقة، كما نجد ذلك في زمن المأمون الذي تحوَّل الصراع فيه حول بعض القضايا العقائدية الجزئية، مثل قضية خلق القرآن إلى قضية مهمّة تستحق ملاحقة أحد علماء المسلمين المهمين مثل أحمد بن حنبل، والذي تعرَّض إلى الجلد والسّجن بسببها، وهكذا تحوّلت قضايا الخلافات الفكرية والعقائدية بين الأشاعرة والمعتزلة إلى صراعات عنيفة يتم فيها التفتيش على العقائد والآراء، وتتبنّى كل طائفة من المسلمين رأياً لتدخل في مواجهة الطائفة الأخرى، بحيث تحوّلت هذه القضايا إلى هموم عامّة وقضايا كبيرة في الأمّة. وهكذا الحال في بعض

الخلافات المذهبية في بعض الأدوار، حيث جرت مذابح مُدمِّرة لا رحمة فيها، لمجرد هذه الاختلافات، والتأريخ الإسلامي مليء بمثل هذه الأحداث.

ونجد في عصرنا الحاضر من يُحاول أن يُركِّز دائماً على هذه القضايا الصغيرة ليحوّلها إلى مقامع من حديد، وسيوف مشهورة، ورماح مشرعة، وسهام مصوبة إلى هذه الجماعة وتلك، ولا يسمح بالتّعايش بين هذه الجماعات ما دامت آراؤهم مُختلفة في هذه الالتزامات الفكرية أو الفقهية أو السلوكيّة.

فتُطبع الآن الكتب وبأعداد مليونية من أجل التبشير بهذه الخلافات والتأكيد على هذه الفوارق والفواصل، ويتم تبادل الاتّهامات بين هذه الجماعات والطوائف، وفي كثير من الأحيان تكون اتّهامات ظالمة ومفتعلة، ولا يُسمح للعقول والأذهان، ولا للأساليب العلميّة في التحقيق والدِّراسة للوصول إلى الحقيقة فيها، كما لا يسمع فيها نداء الأخوّة والتعاون والوحدة والتَّفاهم والحوار، من أجل الوصول إلى القواسم المشتركة.

إنَّ هذا المنهج يُمثِّل نظرية في فهم الوحدة الإسلامية، تتَّخذ طابع الأهداف السياسية المُغرضة والخبيثة أحياناً، وتتخذ طابع التعصّب الأعمى، والإصرار على الخطأ والذنب أحياناً أُخرى، وتتَّخِذ طابع التصوّر النّظري لطبيعة العلاقات بين المسلمين الذي ينطلق من الخوف على الفئة والجماعة من الذوبان، أو الضمور، أو التحوّل في الفهم والمواقف في بعض الأحيان الأُخرى.

رؤية اهل البيت عليهم السلام تجسيد للرؤية الاسلامية

إنَّ نظرية أهل البيت عليهم السلام تُعتبر في الحقيقة تجسيداً واقعياً ومنطقياً للنظرية الإسلامية في الوحدة الاجتماعية، والتي تؤكِّد على أنَّ يد الله مع الجماعة،

وأنَّ الشاذّ من الناس للشيطان، كما أنَّ الشاذّ من الشاة للذئب، وأنَّ المسلمين يجب أن يتعايش بعضهم مع البعض الآخر لأنَّ المسلم أخ المسلم لا يخذله ولا يخونه وإنَّ المسلم كفؤ المسلم فلابُدَّ له أن يحترمه، إلى غير ذلك من النّصوص الكثيرة التي أشرنا إلى بعضها، وتزخر بها مدرسة أهل البيت عليهم السلام[1].

إنَّ هذا الموقف النظري لمدرسة أهل البيت عليهم السلام يزداد أهميّة إذا عرفنا أنّهم عليهم السلام كانوا يقولون كل ذلك في ظل الظروف الصعبة التي كان بقية المسلمين يتعاملون فيها معهم بالقسوة والمطاردة، ومحاولات الإبادة والاحتواء، كما يُمكن أن نعرف أهميّة هذا الموقف أيضاً من خلال التطبيق العملي لأبناء هذه المدرسة العلماء الكرام.

وحديث التطبيق حديث واسع وطويل، ولكن لابُدَّ أن نعرف أنَّ هذه المدرسة تنازلت عن الكثير من القضايا الخاصة في سبيل حفظ وحدة المسلمين، والدفاع عن العقيدة الإسلامية والمجتمع الإسلامي، ولعلَّ أوضح هذه المواقف هو الموقف الذي وقفه علماء أهل البيت عليهم السلام وبشكل إجماعي ومن مختلف الانتماءات القومية تجاه الغزو الأجنبي للبلاد الإسلامية، والذي انتهى بسقوط الخلافة العثمانية، حيث وقفوا يدافعون عن هذا الحكم الذي اضطهدهم وطاردهم وأبعدهم عن جميع المواقع الاجتماعية، وخرجوا إلى الجهاد في سبيله، وخصوصاً في العراق، في الوقت الذي تخلّى فيه عامّة علماء أهل السنّة في ذلك العصر عن هذا الحكم لما تعرض له من فساد وانحراف.

---

(١) الكافي٢: ١٦٦، ح٥، باب اخوة المؤمنين بعضهم لبعض.

وهكذا الموقف الرّائع لعلماء أهل البيت عليهم السلام في هذا العصر تجاه القضية الفلسطينية بشكل خاص، بالرغم من أنَّ عامّة أهل فلسطين هم من أهل السنّة، ولكن تعاطفوا معهم ليس على المستوى السياسي والقضية الكبرى فحسب، بل على المستوى الاجتماعي والفردي، وعلى مستوى التّضحية والبذل والعطاء في الدِّماء والأموال والدِّيار.

وكان لموقف الامام الحكيم قدس سره، والإمام كاشف الغطاء قدس سره، وأخيراً الإمام الخميني رضوان الله عليه الذي ارتفع بالقضية الفلسطينية إلى القضية الأولى في مُجمل عمله السياسي.. لقد كان لهذه المواقف الرائعة المعاني والتجسيد الرائع لهذه النّظرية في الوحدة الإسلامية، ولهذا الفهم للأخوّة الإسلامية.

إنَّ قضية الوحدة الإسلامية من القضايا التي تحتاج إلى المزيد من الدراسة والاهتمام والتأمّل، حتى يمكن أن نصل إلى أهدافها النّبيلة المقدَّسة، كما نحتاج فيها إلى منهج وأساليب نتَّبعها ونتبيَّنها في أبحاثنا، لنخرج بها من النظرية إلى التطبيق، وهذا ما سنحاول معالجته ولو بشكل مختصر في البحث الآتي.

التقريب بين المذاهب والوحدة الإسلامية

تتَّخذ قضيّة التقريب بين المذاهب الإسلامية أهميّة خاصة في الوقت الحاضر، ذلك لأنَّها ترتبط بقضية كبرى مهمّة هي قضية الوحدة الإسلامية، حيث تشكِّل قضية التقريب العمود الفقري لقضية الوحدة الإسلامية.

وبشكل مختصر ومُركَّز نحاول هنا أن نتحدَّث عن قضيّة التّقريب في عِدَّة نقاط، تبلور بمجموعها الإطار العام لقضيّة التّقريب في هدفه ومنهجه وأساليبه ونتائجه:

النقطة الأولى: إنَّ الهدف الأساسي للتقريب كما ذكرنا هو الوحدة

الإسلامية، ويمكن أن نرى إلى جانب ذلك بعض القضايا المهمّة والأهداف الأُخرى، حيث يرتبط تطور الفقه الإسلامي من خلال هذا التقريب والتلاقح في الأفكار، وهذا ما حصل في الأدوار الأُخرى من تأسيس الفقه الإسلامي، فإنَّ الفقهاء من جميع المذاهب كانوا يتعايشون ويتدارسون النّظريات الفقهيّة، وأساليب الاستنباط، الأمر الذي أثرى الفقه وجعله قادراً على مواجهة التطوّرات الحياتية في تلك العصور، وفي هذا العصر نجد حاجة ماسَّة لذلك – كما اشرنا في البحث الأول ـ حيث يواجه المسلمون التحديات الحضارية والمشكلات الاجتماعية التي لابُدَّ من استنباط حلولها والمواقف تجاهها من الشريعة الإسلامية.

وبالإضافة إلى ذلك يُمكن أن يُقدِّم هذا التقريب مجموعة من الخيارات المذهبية الإسلامية للمشاكل المتعدّدة، بحيث يكون أمام الإنسان المسلم القدرة على الانتخاب بما يُلائم ظروفه الحياتية، وأوضاعه الاجتماعية، حيث يفتح ذلك أمام المجتهدين الآفاق الواسعة والرّحبة.

وفي موضوع الوحدة الإسلامية لابُدَّ أن نؤكّد العمل التقريبي في جميع المجالات التي ذكرناها للوحدة الإسلامية في آخر البحث الأول من أهميّة معالجة الخلافات المذهبيّة، لا على أساس توحيدها في مذهب واحد، بل بمعنى احترام آراء المذاهب الإسلامية الأُخرى. وكذلك قضية توحيد النظرة الكلية لدور الدين، وصيغة الحكم الإسلامي، و الموقف تجاه أعداء الإسلام، والاهتمام المشترك بالقضايا الإسلامية في العالم الإسلامي، وغيرها من المجالات الأُخرى.

النقطة الثانية: في معالجة أسباب الاختلاف لاجتنابها، فإنَّ تشخيص أسباب الاختلاف يُمثِّل الخطوة الأولى والأساسية في العلاج، والشأن في ذلك هو شأن تشخيص المرض الذي يمثل الخطوة المهمة في العلاج، ويُمكن

إرجاع الأسباب الرئيسية للخلاف إلى الأمور التالية:

١) الهوى، والتّعصب المذموم، والتّخلف الأخلاقي في معالجة القضايا المختلفة المرتبطة بالحوادث التي تواجه المسلمين، وخصوصاً القضايا التأريخية أو العقائدية أو القضايا ذات العلاقة بالخلافات المذهبية.

٢) النشاط المعادي للإسلام الذي يسعى للتخريب بين المسلمين، وتمزيق صفوفهم من خلال إثارة الفتن، والتّركيز على نقاط الضعف والإثارة، وشراء ضمائر ذوي القلوب المريضة، لتسخيرهم لأداء هذه المهمة.

٣) الجهل بأوضاع المسلمين ومعتقداتهم، والاعتماد في معرفة ذلك في الأوهام والظنون غير المشروعة، أو الإشاعات والتهم، أو الروايات والأقوال الشاذّة في هذا المذهب أو ذاك.

٤) الاختلاف في ثبوت النّص الشرعي المروي عن النَّبيّ ﷺ أو الأئمّة، أو العلماء الذين ينتسبون لهذا المذهب أو ذاك ذات الطابع الموضوعي والعلمي، وذلك بسبب الفاصل الزّمني الكبير بين زمن صدور النّص وأيّامنا هذه، حيث وقع في النّصوص الاختلاف والتّزوير والخطأ والاشتباه في النقل.

٥) الاختلاف في فهم النّص ومقارنته بالنصوص الأُخرى، حيث إنَّ القرآن الكريم الذي ثبت نصّه بالتواتر فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وعام وخاص.. وأحاطت به القرائن الحاليّة التي تُسمّى بأسباب النّزول، والتي تلقي ضوء على فهمه وتفسيره، وهكذا الحال أيضاً في النّصوص المرويّة في السنّة النبويّة.

٦) الاختلاف في قيمة النّصوص الصادرة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام وأنّها هل تَرْقى إلى قيمة ما صدر عن رسول الله ﷺ إمّا لأنّهم معصومون أو رواة عن رسول الله ﷺ بشكل صادق ومتقن؟ وكذلك النّصوص المروية عن

الصحابة، وهل أنَّها تنتسب إلى رسول الله أو إلى أشخاصهم؟ وهل أنَّ جميع الصحابة عدول، أو أنَّهم يخضعون للنّقد والتمحيص، شأنهم في ذلك شأن بقيَّة الرّواة؟

ولاشكَّ أنَّ معالجة هذه الأسباب مختلفة في طرقها ووسائلها، ولابُدَّ من دراسة كل واحد منها، ووضع الأساليب المناسبة لهذه المعالجة.

فالتربية الأخلاقية العالية، والتّقوى، والتّعصب لله تعالى، والحرص على المصالح الإسلامية، وتشخيص الأعداء، والحذر من مؤامراتهم وأعمالهم ونشاطهم، والكشف عن ذوي الضمائر الميّتة والقلوب المريضة، وسائل مهمّة في معالجة السبب الأول والثاني.

وكذلك البحث عن معتقدات ومتبنيات المذاهب الإسلامية من مصادرها النّقيّة، والاعتماد في ذلك على أقوال أئمّة هذه المذاهب المعروفة، ومن مُنطلق الأخوّة الإسلامية، وحُسن الظنّ، وروح التّفاهم والمحبّة، كل ذلك له تأثير كبير في معالجة السبب الثالث.

ووضع القواعد والأصول والضوابط المُستنبطة من القرآن الكريم والسنة الصحيحة في إثبات النّص، واتّباع منهج الحوار العلمي الموضوعي، والمناقشة الهادئة، والدّليل المنطقي والشرعي، يُمثِّل أفضل الطرق لمعالجة السبب الرابع والخامس.

والفحص في أدلّة الاتّجاهين، واحترام الآراء العلمية في ذلك، يُمثِّل أفضل طريقة للمعالجة والتقريب بينهما.

النقطة الثالثة: في القضايا الأساسية التي لابُدَّ من الالتزام بها بين المسلمين لإيجاد القاعدة والأرضية التي يقوم عليها بناء التقريب بين المذاهب الإسلامية، فإنَّ التقريب يحتاج إلى أجواء روحية وسياسية واجتماعية وأخلاقية وثقافية مناسبة يعيش وينمو فيها هذا الهدف الحيوي

الهام.

ومن المُلاحظ أنَّ القرآن الكريم اهتمّ بإيجاد هذه الأرضيّة عندما عالج قضية التقريب بين أصحاب الأديان السماوية ودعوتهم لمعرفة الحق، حيث أكَّد على القضايا الأساسية، مثل: التوحيد، والوحي، والنّبوة، والعدل، والأصل الواحد للرسالات، والتمجيد للأنبياء الماضين، وذكر قصصهم وأعمالهم، والحديث عن الأخلاق والمواقف المعنوية والاجتماعية، والموضوعات الثقافية المشتركة، والالتزام بالمنهج العلمي في البحث والرّجوع إلى العقل بعيداً عن التعصب والهوى والعاطفة.

ويُمكن أن نشير إلى بعض المعالم والخصائص لهذه القاعدة والأرضية:

أولاً: التأكيد على دور القرآن الكريم والسنّة النّبويّة وأهل البيت عليهم السلام كقضايا مشتركة ومعترف بها ومُسلَّمة بين المسلمين، فإنَّ القرآن الكريم نصّ ثابت محفوظ من التّحريف يمكن الرجوع إليه وإن اختلف المسلمون في فهمه، ولكن يبقى وجوده عاملاً مُهمَّاً من عوامل وحدتهم، والرّجوع إليه في الخلاف والنّزاع، وكذلك السنّة النّبويّة يرويها المسلمون جميعاً عن أهل البيت عليهم السلام وأصحاب الرّسول، وهناك الكثير من النّصوص المشتركة التي تثبت بالتواتر، أو بالطرق الصحيحة لدى الجميع، ويبقى الاختلاف في ثبوت بعضها أو فهمه مجالاً للحوار والبحث العلمي، مع الاحترام المتبادل للآراء.

وهكذا الحال في الثّقل الآخر للقرآن وهم أهل البيت عليهم السلام فإنَّهم موضوع الاحترام والقبول لدى عامّة المسلمين، وقد ثبت بالنّص القرآني، والسنّة المتواترة، وجوب حُبِّهم والرجوع إليهم[1]، وإن اختلف المسلمون في حدود

---

(١) آية المودة والتطهير وغيرهما وحديث الثقلين المتواتر وغيره.

هذا الحبّ والمرجعية، أو في ما ثبت عنهم من نصوص وحديث ومواقف.

ولذا فإنَّ إثارة الشك حول ثبوت القرآن الكريم، أو تضعيف السنّة النّبويّة، أو الطّعن بأهل البيت عليهم السلام كما فعله بعض شذّاذ العلماء من الفريقين، مِمّا يؤدّي إلى المزيد من الاختلاف والفرقة والتمزّق. ومن هذا المُنطلق يُمكن أن نفهم تأكيد أهل البيت عليهم السلام على هذه الأصول المشتركة، واستنكارهم لمدرسة الرأي في مقابل مدرسة الحديث، لأنَّ مدرسة الرأي تتجه إلى تضعيف السنّة وإهمالها، وتنطلق من دعوى أنَّه لم يثبت من السنّة إلاّ عدد محدود من الأخبار والأحاديث.

ثانياً: التّأكيد على القضايا المشتركة في الأصول والقواعد العلميّة في وسائل الإثبات، مثل: قضية وثاقة الرّاوي، والمُحكم والمتشابه، والنّاسخ والمنسوخ، والعام والخاص، وأنَّ القرآن والسنّة يُفسِّر بعضه البعض الآخر، والاستقراء، وغير ذلك من قواعد المنهج العلمي في البحث كما هو مقرّر في محله.

ثالثاً: الاحترام المتبادل للآراء العلمية والمذهبية، والتعامل معها بروح البحث العلمي، والمناقشة، بعيداً عن روح الاحتراب والاستفزاز والاستخفاف والتّحامل والاتهام، والتأكيد على العلاقات الإيجابية أو العادية التي كانت قائمة بين أئمّة المذاهب أنفسهم، وأخذ بعضهم عن البعض الآخر.

رابعاً: التخلّي عن روح العدوان على المُقدَّسات المذهبية والشعائر الدِّينية الخاصة بأصحاب هذا المذهب أو ذاك، ومنع أساليب التكفير والتفسيق والسب واللعن للمذاهب، أو الأئمّة والعلماء المتمذهبين بها، وكذلك الاعتراف بوجود المذاهب الصحيحة المتعددة - بعد تشخيصها - سواء على المستوى الرسمي أم الثقافي.

خامساً: العمل على اشاعة ثقافة وأخلاقية التقريب بين المذاهب

الإسلامية، وتجسيد مفهوم الأُمّة الإسلامية الواحدة من خلال التناصر بين المسلمين في قضاياهم الحياتية ((**من سمع مسلماً ينادي يا للمسلمين فلم يُجبه فليس بمسلم**)).

النقطة الرابعة: الإشارة إلى بعض الوسائل النّافعة في قضية التقريب، حيث إنَّ قضية التقريب من أجل أن تتحوّل من مجرد رغبة نفسية وهدف نبيل ومقدَّس للمسلمين إلى واقع عملي، يحتاج إلى بعض الوسائل والأساليب، وهنا نشير إلى نماذج من هذه الوسائل:

أولاً: القرآن الكريم في نظر العترة الطاهرة

أُثيرت شُبهة كبيرة وواسعة ضدّ شيعة أهل البيت عليهم السلام باتّهامهم بالقول بتحريف القرآن الكريم، مع أنَّ عامّة كبار علمائهم يقولون بصيانة القرآن الكريم من التحريف، ولاشكَّ أنَّ توضيح نظرة أهل البيت عليهم السلام إلى القرآن وموقفهم العملي تجاهه، سوف يُلقي الضّوء على هذه الحقيقة ويدفع هذا الاتهام، ويمكن معرفة ذلك من العناوين التالية:

١) جُمعَ القرآن الكريم على يد أهل البيت عليهم السلام، حيث كان أول من جمعه هو الإمام علي عليه السلام.

٢) حثَّ أهل البيت: على العناية بالقرآن الكريم من خلال التأكيد - في روايات كثيرة جداً - على فضل قراءته والتدبّر فيه، وفضل حفظه، ومراتب ودرجات حملته.

٣) سلامة القران الكريم من التَّحريف.

٤) التأكيد على حُجيَّة القرآن الكريم في نصّه وظهوره من خلال الاستدلال به على الحكم الشرعي، والعقيدة الإسلامية، والسنّة التأريخية، وغير ذلك من القضايا، وكذلك من خلال جعله مرجعاً لتمحيص النّصوص

التي ترد عن أهل البيت عليهم السلام حيث طلبوا من شيعتهم عرضها على القرآن الكريم قبل الأخذ بها ((**فما وافق القرآن فخذوه وما خالفه فاضربوا به عرض الجدار**)).

٥) الاهتمام بتفسير القرآن الكريم، خصوصاً من خلال طرح المصاديق الحيّة له، وتطبيقه على الواقع المُعاش في كل عصر من عصور المسلمين، والتأكيد على أنّه حيّ باق.

ثانياً: الموقف من الصحابة

لاشكَّ أنَّ الصحابة هم موضع احترام جميع المسلمين، ولكن أُثيرت شبهات حول بعضهم، وحول الموقف منهم، وهنا لابُدَّ من توضيح الرؤية حولهم بشكل موضوعي، وذلك من خلال الأمور التالية:

١) بيان دور الصحابة في زمن الرسول صلى الله عليه وآله في الدِّفاع عن الإسلام، وترسيخ دعائمه، وتضحياتهم العظيمة في سبيله.

٢) التَّمييز بين الصحابة المؤمنين المخلصين الذين يُمثِّلون الأكثرية منهم، وبين المنافقين الذين تحدَّث عنهم القرآن، مِمَّن أضرّوا بالدّعوة الإسلامية في زمن الرّسول وبعده.

٣) موقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من كبار الصحابة الذي كان يَتَّصف بالاحترام والتعاون والانفتاح حتى مع الاختلاف في وجهة النّظر السياسية أو الفكرية، خصوصاً بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله.

٤) التَّمييز في الموقف من الصحابة بين القول بعدالتهم واحترامهم، وبين القول ولو عمليّاً بعصمتهم، وكذلك التَّمييز بين بعضهم والبعض الآخر في العدالة ومستوى الالتزام، وأيضاً التَّمييز في الحجة بين روايتهم، وعملهم، وفتواهم.

ثالثاً: العلاقات المشتركة

توضيح العلاقات المشتركة بين المذاهب الإسلامية في الصدر الأول وفي بدء التأسيس، وذلك من خلال تأليف الكتب، أو كتابة الأبحاث في الموضوعات التالية:

١) رجال الشيعة الذين أخذ عنهم أهل السنّة ‹‹الرّواية أو العلم››، فقد ذكر السيد شرف الدين مائة راوٍ من الشيعة الذين أخذ عنهم أهل السنّة كنموذج لهذه الحالة.

٢) رجال وعلماء أهل السنّة الذين أخذ عنهم رجال الشيعة وعلماؤهم الرّواية والعلم.

٣) الروايات المروية في كتب أتباع أهل البيت من الشيعة الإمامية عن أئمّتهم عن رسول الله ﷺ بشكل مباشر، والمقارنة بينها وبين ما روي في كتب أهل السنّة عن رسول الله ﷺ، فإنّنا سوف نجد تراثاً غنياً من المشتركات، الأمر الذي يؤكّد هذه الأصول المشتركة.

٤) إرجاع الرّوايات التي وردت في الفقه من كتب الشيعة إلى مصادرها في كتب السنّة، والمقارنة في ذلك.

رابعاً: بحوث المقارنة

وسوف نجد من خلال هذه الأبحاث الأواصر القوية بين المذاهب الإسلامية.

الأبحاث المقارنة في الفقه بين المذاهب الإسلامية، خصوصاً في المجالات العبادية، والمعاملات، والأحوال الشخصية، وتشجيع طبع الكتب والكرّاسات فيها، حيث سوف نلاحظ من خلال ذلك ضيق الهُوّة المُفتعلة الفاصلة بين مذاهب أهل السنّة ومذهب أتباع أهل البيت عليهم السلام وبقيّة المذاهب الإسلامية،

إذ قلَّ ما نجد فتوى لعلماء المذاهب الإسلامية لا يوجد قائل بها من علماء أتباع أهل البيت عليهم السلام. وكذلك العكس ولو بشكل نادر.

خامساً: الفصل بين المواقف

خامساً: الفصل في البحث العقائدي والفقهي بين المواقف السياسية والفكرية وبين المواقف الفقهية، أو بين المواقف الفقهية والمواقف العقائدية. فإنَّ هذا الفصل سوف يكون له أثر موضوعي ونفسي في التقريب.

ولاشكَّ أنَّ التقريب في المواقف السياسية بين الحكومات والبُلدان الإسلامية ذات الالتزام الديني بالإسلام، له أثر عظيم في عملية التقريب بين المذاهب، لأنَّ الخلافات السياسية في مثل هذه الحكومات والبُلدان تنعكس على المواقف المذهبية والفقهية والفكرية والثقافية.

سادساً: مراكز التقريب

تشجيع إقامة الجمعيات والمنظمات والمراكز التي تعمل لتقريب المسلمين بعضهم مع البعض الآخر، وإشاعة ثقافة التقريب والتعدّدية المذهبية والوحدة في القضايا الأساسيّة.

سابعاً: الحوار العلمي

تحكيم منطق البلاغ والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والحوار العلمي الهادئ، بعيداً عن التعصب والارهاب الفكري والسياسي، وإثارة النعرات الطائفية والتطرّف في المواقف، وذلك من خلال إقامة المؤتمرات العلمية للبحث والحوار، واللقاءات المشتركة بين العلماء والمفكرين، وكذلك إقامة المؤسسات والمنظمات المشتركة بين جميع علماء المذاهب الإسلامية، للقيام بالنّشاطات الثقافية والاجتماعية المشتركة، واتّخاذ المواقف السياسية

الواحدة تجاه القضايا الكبرى للأُمَّة.

ثامناً: التآلف الاجتماعي

تشجيع عمليّة التعايش الاجتماعي بين أبناء المذاهب الإسلامية من خلال الشركات والمؤسسات الاجتماعية، وتبادل الزيارات واللقاءات والاشتراك في الاحتفالات والمراسيم لهذه الجماعة وتلك، وغير ذلك من الوسائل الاجتماعية، وقد دعى أهل البيت عليهم السلام شيعتهم بشكل خاص إلى هذا التَّعايش من خلال نصوص صريحة وصحيحة، سواء في الممارسة الاجتماعية أم العبادية كما أشرنا سابقاً.

وفي الختام فإنَّ المسلمين إذا اتَّجهوا نحو هذا الهدف المُقدَّس فسوف يجدون أمامهم مجالات واسعة وكثيرة تُقرِّبهم من هذا الهدف، وبالتالي يكونون في موضع الرّحمة الآلهية التي هي وراء كل توفيق وسداد: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء**﴾[1]. والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم النَّبيِّين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

---

(١) القصص: ٥٦.

الفهارس والمصادر

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة
- فهرس الاحاديث الشريفة والروايات
- فهرس المصادر والمراجع
- الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا..﴾..... ٤٨
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا..﴾ ..... ٦١، ١١٤
﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ..﴾ ٥٣
﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ..﴾ ٩٣
﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ..﴾..... ١١٥
﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ..﴾ ١٠٤
﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ..﴾ ١١٥
﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..﴾ ١٠٧
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا..﴾ ٩٥
﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ..﴾ ٢٠١
﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ..﴾ ٦٩
﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ..﴾ ٩٣
﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ..﴾..... ٥٣، ٩٣
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ..﴾..... ٦٨
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى..﴾..... ٦٨
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ..﴾ ٩٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ..﴾ ١١٩
﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا..﴾ ..... ٥٦، ١٢٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا..﴾..... ٢٩، ٩٨
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..﴾..... ٦٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ..﴾ ٦٤

﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ..﴾ ٦٠
﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ..﴾ ١٠٣
﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا..﴾ ١٠٥
﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ..﴾ ٩٥
﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ..﴾ ٩٦
﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا..﴾ ٥٠
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا..﴾ ..... ٥٥، ٦١، ١٠٧
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ..﴾ ٧٦
﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ..﴾ ..... ٦٩، ٨٥
﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ..﴾ ٢١٩
﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ..﴾ ٥٨
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ..﴾ ..... ٩٤، ١١٦
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ..﴾ ٩٢
﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ..﴾ ٩٨
﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا..﴾ ١٧٣
﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا..﴾ ٩٤
﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ..﴾ ١١٠
﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ..﴾ ٩٥
﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ..﴾ ١٧٣
﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ..﴾ ٤٨
﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ..﴾ ٧٣
﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ..﴾ ١٠٥
﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا..﴾ ٩٥

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ..﴾ ..... ٥٧، ٧٢، ١٠٥
﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ..﴾.....٩٧
﴿الم ۞ غُلِبَتِ الرُّومِ..﴾.....٧٩
﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ..﴾ ٧٨
﴿تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ..﴾ ٥٣
﴿ثم جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ..﴾ ١٠٢
﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ..﴾.....٦٤
﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا..﴾ ٧٨
﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ..﴾..... ١٠٧
﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا..﴾.....٩٩
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ..﴾ ٩١
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا..﴾ ٩٨
﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ..﴾ ٤٨
﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ..﴾..... ١١٥
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا..﴾ ٨٤
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ..﴾ ٥٥
﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ..﴾ ..... ١٥٦، ١٧٣
﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ..﴾ ٩٤
﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ..﴾ ١١٨
﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ..﴾.....٥٥
﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ..﴾ ١٠٦
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ..﴾ ٩٠
﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ..﴾ ١١٧

﴿فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ..﴾ ١٠١
﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ..﴾ ٩١
﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ..﴾ ٥٨
﴿فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ..﴾ ٥٦
﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ..﴾ ٨٤
﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ..﴾ ٧٧
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا..﴾ ٥٣
﴿قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ..﴾ ٥٨
﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ..﴾ ..... ٦٠، ٨٦
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ..﴾ ٤٨
﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا..﴾ ١٢٢
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ..﴾ ٦٨
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ..﴾ ٦٢
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ..﴾ ٧١
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ..﴾ ٧٦
﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا..﴾ ٧٠
﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ..﴾ ..... ٤٥، ٥١، ٩٢
﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ..﴾ ٧١
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ..﴾ ١٠١
﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم..﴾ ..... ١١٩، ١٧٨
﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ..﴾ ..... ٨٦، ١٠٠
﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ..﴾ ١٠٦
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ..﴾ ٦٧

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ..﴾ ٦٣
﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ..﴾ ٩١
﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ..﴾ ٧٧
﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ..﴾ .....٦٢، ٧٦
﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ..﴾ ٦٦
﴿لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ..﴾ ٧٠
﴿لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ..﴾ ٦٧
﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء..﴾ ٩٨
﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ..﴾ ١٩٠
﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ..﴾ ٤١
﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..﴾ ٦٦
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ..﴾.....١٠١
﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ..﴾..... ٨٧، ١٤٣
﴿مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ..﴾ ١٦٢
﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ..﴾.....١٤٨
﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ..﴾ ٥٨
﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ..﴾.....٧١
﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ..﴾ ٩٥
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ..﴾ ٦٣
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ آتَيْتُكُم..﴾..... ٦٣، ٧٥
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ..﴾.....٤٥، ٥١
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا..﴾ ٥٤
﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا..﴾..... ١٠٧

﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ..﴾ ٩٠
﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ..﴾ ١١٦
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ..﴾ ٥٦
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ..﴾ ٥٦
﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ..﴾ ٩٠
﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ..﴾ ٩٦
﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا..﴾ ١١١
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ..﴾ ١١٢
﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا..﴾ ..... ١١٢، ١١٦
﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ..﴾ ١١٣
﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ..﴾ ٨٥
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ..﴾ ١٠٨
﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ..﴾ ٨٤
﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ..﴾ ٨٥
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ..﴾ ٩١
﴿وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ..﴾ ١١٨
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ..﴾ ٤٦
﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ..﴾ ٩٥
﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ..﴾ ..... ٨٥، ٩٤
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا..﴾ ٥
﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ..﴾ ١٧٨
﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً..﴾ ٧٤
﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ..﴾ ٩٩

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ..﴾ ١٠٢
﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ..﴾ ٥٨
﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ..﴾ ١٠١
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ..﴾ ..... ٥٧، ٩٦، ١٠٥
﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى..﴾ ..... ١٠١، ١٠٦
﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّه حَقَّ جِهَاده..﴾ ..... ٧٣، ٩٨
﴿وَجَزَاء سَيِّئَة سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ..﴾ ١١٢
﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا..﴾ ٩٣
﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ..﴾ ١٠٩
﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ..﴾ ٦٧
﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ..﴾ ٧٨
﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ..﴾ ..... ١٠٧، ١١٤
﴿وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّه..﴾ ٦٣
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّه..﴾ ٦٦
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّه..﴾ ..... ٦٣، ٧٦
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّه مَغْلُولَةٌ..﴾ ٧٧
﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..﴾ ١١١
﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ..﴾ ١١٧
﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ..﴾ ٧١
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا..﴾ ٥٤
﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً..﴾ ١٩٠
﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ..﴾ ٧٢
﴿وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا..﴾ ١١٨

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..﴾ ١١١
﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا..﴾ ١٠٧
﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..﴾ ١٠٤
﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ..﴾ ١١٧
﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ..﴾ ١٢٢
﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ..﴾ ٧٨
﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ..﴾ ٧٨
﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ..﴾ ١١٣
﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ..﴾ ١٠٦
﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ..﴾ ..... ٥٦، ١٠٤
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ..﴾ ٥٤
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ..﴾ ١٠
﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً..﴾ ١٢٥
﴿وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ..﴾ ٦٥
﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم..﴾ ١٠٢
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ..﴾ ٧٩
﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً..﴾ ٣٨
﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ..﴾ ٨٥
﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ..﴾ ٦٢
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ..﴾ ٦٢
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ..﴾ ٧٤
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ..﴾ ٦٢
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ..﴾ ١٤٤

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ..﴾ ٤٩
﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ..﴾ ٣٦
﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ..﴾ ..... ٦١، ١١٥
﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ..﴾ ٩٧
﴿وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ..﴾ ٩٧
﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ..﴾ ٤٧
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى..﴾ ٨٧
﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي..﴾ ٧٥
﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ..﴾ ٦٧
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ..﴾ ٧
﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ..﴾ ٥٠
﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ..﴾ ..... ٥٥، ٦٤
﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ..﴾ ٦٤
﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ..﴾ ١٢٠
﴿وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ..﴾ ١٧٣
﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا..﴾ ٨٩
﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ..﴾ ١٩٠
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا..﴾ ..... ٦١، ٧٤
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ..﴾ ..... ٧٤، ٧٩
﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ..﴾ ٦٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ..﴾ ١٢٠
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ..﴾ ١٢١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ..﴾ ٨٧

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ..﴾ ١١٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ..﴾ ١٧٨
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ..﴾ ٥٥
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ..﴾ ٨٤
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ..﴾ ١١٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ..﴾ ١١٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ..﴾ ٧١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ..﴾ ١٠٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ..﴾ ..... ٦٠، ١٠٠
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء..﴾ ٩٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء..﴾ ٩٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ..﴾ ١٠١
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ..﴾ ١٥٠
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ..﴾ ٥٦
﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ..﴾ ١٣٥
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ..﴾ ١١١
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ..﴾ ١١٤

فهرس الاحاديث الشريفة والروايات

((اتّقوا على دينكم فاحجبوه بالتّقيّة..)).....١٥٧
((أتى رسول اللهﷺ رجل فقال: يا رسول الله أوصني..)) ١٧٢
((أحب أخاك المسلم وأحب له..)) ١٤٤
((أكلّكم شهد معنا صِفّين؟..)) ١٩٩
((التقية ترس المؤمن،..)) ١٥٩
((التقية في كل شيء يضطر إليه ابن آدم..)) ١٦٤
((التقية في كل ضرورة..)) ١٦٤
((التقية من ديني ودين آبائي..)) ١٥٦
((الحسنة التقية والسيئة الاذاعة..)) ١٧٣
((الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما..)) ١٨٩
((أما علمت أنَّ إمارة بَني أُميّة كانت..)) ١٧٤- ١٧٥
((أنَّ الإمام علياًعليه السلام سمع البرج بن مسهر..)) ٢٠٠
((إنَّ السنّة لا تُقاس، ألا ترى أنَّ امرأة..)).....١٨٨
((إنَّ أمرنا صعب مُستصعب..)) ١٨٣
((ان جيشاً من جيوش المسلمين كان اميرهم..)) ١٣٤
((إنَّ على كل حق حقيقة..)) ١٨٨
((إنْ كان في يدك هذه شيء..)) ١٧٠
((إنَّ هؤلاء قد تمالاوا على سخطة..)).....٢٠٤
((إنَّكم لن تسعوا النّاس بأموالكم..)) ١٥٤
((إنَّما بُعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق)) ١٠٢
((إنَّما جعل التقية ليُحقن بها الدم..)) ١٦٣
((إنّي تارك فيكم الثقلين..)) ١٨١-١٨٦
((أيّ الأعمال أفضل عند الله؟..)).....١٤١
((أيها النّاس قد كثرت عليَّ الكذّابة..)) ١٨٩

((بما صبروا على التقية، ..)) ١٧٣
((بُني الإسلام على خمسة أشياء: ..)) ١٤٢
((حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي..)) ١٨٩
((حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة..)) ١٣٢
((دخلت على ابي الحسن الاول عليه السلام فقال لي: ..)) ١٣٤
((دخلت على أبي عبد الله عليه السلام والبيت غاص ..)) ١٥٤
((رُفع عن أمتي تسع..)) ١٦٣
((روى انه عليه السلام كان جالساً في أصحابه فمرّت ٢٠٠
((سألت أبا عبد الله عليه السلام: بِمَ يكون الرجل مسلماً..)) ١٤١
((سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا..)) ١٣٥
((سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: يُحشر العبد يوم القيامة..)) ١٧٠
((سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كل شيء مردود إلى الكتاب..)) ١٨٨
((سمعت أبا عبد الله «الصادق عليه السلام» يقول: خَلْقٌ في المسجد..)) ١٦٨
((سمعت أبا عبد الله «الصادق عليه السلام» يقول: عليكم بالورع..)) ١٥٣
((سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: ما عُبِد الله بشيء أحبّ..)) ١٦٩
((سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: عليك بالتقية..)) . ١٦٩
((سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: وكان والله..)) . ١٧٣
((سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أنّه ليس من احتمال أمرنا..)) ١٦٨
((فاسألوني قبل أن تفقدوني،..)) ١٨٣
((فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس ....)) ١٢٩
((فإنَّ المغيرة بن سعيد لعنه الله دسَّ..)) ١٨٩
((فما وافق القرآن فخذوه..)) ٢١٦
((فو الله ما زلت مدفوعاً عن حقّي..)) ١٩٤
((في التوراة مكتوب فيما ناجى الله عز وجل به موسى بن عمران..)) ١٧٢

((قال أبو الحسن ‹‹الكاظم عليه السلام››: مُرْ أصحابك أنْ يكفُّوا ألسنتهم..)) ١٦٩
((قال أبو عبد الله عليه السلام: يا سليمان إنَّكم على دين..)) ١٦٧
((قال أبو عبد الله ‹‹الصادق عليه السلام››: عليكم بالصلاة..)) ١٥٣
((قال الحسن بن علي عليهما السلام: القريب من قرَّبته..)) ١٧١
((قال أمير المؤمنين: لا يخرج المسلم في الجهاد مع..)) ١٣٤
((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمرني ربّي بمدارة الناس..)) ١٧٢
((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بَني عبد المطلب إنَّكم لن تسعوا..)) ١٧٢
((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أخبركم بِمَن تحرم عليه النّار..)) ١٧٢
((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: التودّد إلى الناس..)) ١٧١
((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لم يكن فيه تراث..)) ١٧١
((قال لي أبو عبد الله عليه السلام: إقرأ على من ترى..)) ١٥٢
((قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: جُعلت فداك لا أكاد أصل إليك..)) ١٩١
((قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنّي أكون بالباب..)) ١٣٤
((قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام كيف ينبغي..)) ١٥٣
((قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي أجلس في المجلس..)) ١٩٢
((قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ربما احتجنا أن نسأل عن الشيء..)) ١٩١
((قلت للرضا عليه السلام شقّتي بعيدة..)) ١٩١
((قلت له ‹‹الصادق عليه السلام›› في مسح الخفين تقية؟..)) ١٦٥
((قلت له ‹‹الصادق عليه السلام›› كيف ينبغي أن نصنع..)) ١٥٣
((كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها ابو الحسن..)) ١٨٢
((كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها ابو الحسن..)) ١٩٥
((كل عين باكية يوم القيامة غير ثلاث: ..)) ١٣٢
((كل ميّت يُختم على عمله إلاّ المرابط..)) ١٣٢
((كونوا دُعاة للنّاس بالخير بغير ألسنتكم..)) ١٥٤

((لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن علي..)) ١٨٢
((لا دين لمن لا تقيّة له..)) ١٥٧
((لاضرر ولاضرار في الإسلام..)) ١٦٣
((لان للتقية مواضع من أزالها..)) ١٦٤
((لم تبق الأرض إلاّ وفيها مِنّا عالم..)) ١٦٣
((لما جعل المأمون إلى علي ابن موسى الرضا عليه السلام..)) ١٦٥
((ما تريدان العمرة ولكن تريدان الغدرة..)) ١٩٨
((ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منّا أمير..)) ١٩٥
((ما لم يُوافق من الحديث القرآن فهو زخرف..)) ١٨٨
((ما منهم رجل إلاّ وقد أعطاني الطاعة..)) ٢٠٥
((مجاملة الناس ثلث العقل..)) ١٧٢
((من اذاع علينا شيئاً مِن أمرنا فهو..)) ١٧٠
((من أفتى النّاس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم..)) ١٨٨
((من سمع مسلماً ينادي يا للمسلمين..)) ٢١٥
((وأحسن إلى جميع الناس كما تحب أن..)) ١٤٤
((وأحسن إلى جميع الناس..)) ١٥٥
((وأيّ شيء أقرّ لعيني من التّقيّة..)) ١٥٩
((وددت والله أنّي افتديت خصلتين في الشيعة..)) ١٦٧
((وفإن أبيتم إلاّ أن تزعموا إنّي أخطأت..)) ٢٠٠
((يا أبا عمر إنّ تسعة أعشار الدين..)) ١٥٦
((يا مُعلّى اكتم أمرنا ولا تذعه،..)) ١٥٧

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، طبعة دار أحياء التراث العربي، الثانية، ١٣٨٧هـ ق.
- نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، جمعها الشريف الرضي، شرحها وحققها: محمد عبده، الطبعة: الأولى لعام ١٤١٢هـ، نشر دار الذخائر – قم – إيران.
- الخصال: الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري، سنة الطبع: ١٤٠٣هـ، نشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي، الطبعة: الثانية، لعام ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، نشر: مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان.
- الكافي: للشيخ ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، الطبعة: الخامسة، تحقيق: علي أكبر غفاري مطبعة الحيدري، نشر: دار الكتاب الإسلامية - طهران
- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الثانية، لعام ١٤١٤ هـ.
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح): أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة: الثانية، لعام ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع –

بيروت – لبنان.
❖ مستدرك الحاكم: محمد بن محمد الحاكم النيسابوري، نشر دار المعرفة.
❖ تأريخ الطبري (تأريخ الأمم والملوك): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء، الطبعة: الرابعة، لعام ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م نشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان.
❖ الاحتجاج: أبي منصور الطبرسي، طبعة الأعلمي وأهل البيت عليهم السلام، ١٤٠١.
❖ كنز العمال، علاء الدين علي المتقي الهندي.
❖ المحاسن: أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدث)، نشر: دار الكتب الإسلامية – طهران، سنة الطبع: ١٣٧٠هـ.
❖ من لا يحضره الفقيه: للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الطبعة: الثانية، تحقيق: علي أكبر غفاري، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.
❖ مستدرك الوسائل: الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي، تحقيق: مؤسسة ىل البيت لاحياء التراث.
❖ مختصر بصائر الدرجات: للشيخ الجليل حسن بن سليمان الحلي، الطبعة الأولى، منشورات: المطبعة الحيدرية في النجف.
❖ معاني الاخبار: للشيخ الجليل الاقدم ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الناشر: انتشارات اسلامي.
❖ بدائع الصنائع: الامام علاء الدين ابي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي الناشر: المكتبة الحبيبية.
❖ دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة: شهيد المحراب السيد محمد باقر الحكيم قدس سره، نشر: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم قدس سره، النجف الاشرف، ط: الرابعة، مطبعة العترة الطاهرة.

الموضوعات

كلمة المجمع العالمي لأهل البيت ٧
مقدمة الطبعةالرابعة ١١
تمهيد: الوحدة الإسلامية من منظور حضاري ١٥
أهميّة الوحدة الإسلامية ١٧
اتجاه رياح الحرب الباردة ١٧
مستلزمات الموقف الإسلامي في الصراع ٢٥
أ) مواجهة التّحديات المعاصرة ٢٥
كيفية معالجة هذه التحديات ٢٨
ب) تطوير المضمون المعنوي للحالة الإسلامية ٢٩
بين العقل والعاطفة ٣٠
ج) الوحدة الإسلامية ٣٢
أ) مبرِّرات الوحدة الإسلامية ٣٣
ب) مجالات الوحدة الإسلامية ٣٤

الباب الأول

الوحدة الإسلامية من منظور قرآني

الفصل الأول: ظاهرة الوحدة والاختلاف في التأريخ الإنساني ٤٣
ظاهرة الاختلاف ٤٧
الاختلاف بسبب الهوى ٤٨
الاختلاف بسبب العقائد ٥١
الاختلاف والوحدة بين الديانات الآلهية ٥٩
معالجة أسباب الانحراف عند أهل الكتاب ٦٢
إطار الوحدة بين الدِّيانات الآلهية ٦٥

الفصل الثاني: الوحدة في المجتمع الإسلامي ٨١
البعد الأول: اسس الوحدة الإسلامية ٨٣
الأساس الأول: عقيدة التوحيد ٨٣
الأساس الثاني: الطاعة للرسول ﷺ ٨٦
الأساس الثالث: رعاية القيادة الإسلامية للأُمَّة ٩٠
الأساس الرابع: الأُخوّة الإيمانية ٩٢
الأساس الخامس: القاعدة الأخلاقية ١٠٢
أ) العهد والميثاق ١٠٣
ب) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٠٤
ج) الحكم بالقسط والعدل ١٠٥
د) التعاون على البر والتقوى ١٠٦
هـ) إشاعة الخير والبر ١٠٨
البعد الثاني: وسائل تحقيق الوحدة الإسلامية ١٠٩
الأول: الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ١١٠
الثاني: الصلح والمساعي الحميدة ١١١
الثالث: العفو والصفح ١١٢
الرابع: الوقوف في وجه العدوان ١١٣
الخامس: الاعتماد على العلم في معالجة الحوادث ١١٧
السادس: التعامل على أساس ظاهر الإسلام ١٢٠
البعد الثالث: النتائج والآثار ١٢١

الباب الثاني

الوحدة الإسلامية في نظرية أهل البيت عليهم السلام

الوحدة والأولويات الإسلامية ١٢٨
١) العقيدة الإسلامية ١٢٩

٢) الدولة الإسلامية..... ١٣١
٣) الوحدة الإسلامية ١٣٧
الفصل الاول: منهج الوحدة الإسلامية ١٣٩
المَعْلَم الأول: إرساء الوحدة الإسلامية على أساس النّظرية القرآنية ١٤١
المعلم الثاني: تبني قضايا الأُمّة الكبرى ١٤٥
المعلم الثالث: التّعايش الاجتماعي بين جماعات المسلمين ١٤٩
التعايش الاجتماعي بين أبناء المذاهب الإسلامية ١٥١
المعلم الرّابع: التّقيّة..... ١٥٦
قيمة «التّقية» في نظرية أهل البيت..... ١٥٦
علاقة التّقيّة بموضوع الوحدة ١٥٨
نظرة عامّة ومتكاملة لمنهج التَّقيّة..... ١٦١
الأول: التعرض للخطر أو الضرر..... ١٦١
الثاني: كتمان الأسرار..... ١٦٦
الثالث: المُجاملة والتلطّف وحسن المعاشرة مع الناس ١٧٠
الفصل الثاني: هامش الاختلاف والتعدد ١٧٥
أهميّة وجود هامش الاختلاف..... ١٧٧
نظرية أهل البيت عليهم السلام وهامش الاختلاف ١٧٩
أولاً: مجالات الهامش التعدّدي ١٨٠
الأول: الحرّية الفكرية والعقائدية ١٨٠
الثاني: الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية الفقهية..... ١٨٥
الثالث: القبول بالتعدّدية السياسية ١٩٢
ثانياً: الحدود الموضوعية لحركة هذا الهامش ٢٠٢
ضوابط التعدد الفكري والعقائدي..... ٢٠٢
ضوابط التعددية في اطار الفقه والاجتهاد ٢٠٣

حدود التعددية السياسية ٢٠٤
نظريتان في مقابل نظرية أهل البيت عليهم السلام ٢٠٥
رؤية اهل البيت عليهم السلام تجسيد للرؤية الاسلامية..... ٢٠٧
التقريب بين المذاهب والوحدة الإسلامية ٢٠٩
أولاً: القرآن الكريم في نظر العترة الطاهرة..... ٢١٥
ثانياً: الموقف من الصحابة ٢١٦
ثالثاً: العلاقات المشتركة..... ٢١٧
رابعاً: بحوث المقارنة ٢١٧
خامساً: الفصل بين المواقف ٢١٨
سادساً: مراكز التقريب ٢١٨
سابعاً: الحوار العلمي ٢١٨
ثامناً: التآلف الاجتماعي ٢١٩
الفهارس والمصادر..... ٢٢١
فهرس الآيات القرآنية الكريمة..... ٢٢٣
فهرس الاحاديث الشريفة والروايات ٢٣٣
فهرس المصادر والمراجع ٢٣٧